بالدينونة التي بها تدين

التحرر من سجن الإدانة

أدريان إيبنز

بالدينونة التي بها تدين

أدريان إيبنز

إهداء محبة لكارولين هالكيست

التي رقدت على رجاء القيامة في 4 يوليو 2019

الأخت الحبيبة في المسيح

fatheroflove.info

4 يوليو **2020**

جميع الآيات الواردة في هذا الكتاب مأخوذة من ترجمة الفانديك العربية

للكتاب المقدس ما لم يذكر خلاف ذلك

الفهرس

1. عليك أن تحذر 4
2. يوم الدينونة 9
3. العدل والدينونة.. 14
4. أصل الدينونة المصحوبة بالعقاب 19
5. الأفكار والتصورات ... إلقاء اللوم على الآخرين ... والحقيقة.. 24
6. مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ 27
7. هُوَذَا الإِنْسَانُ! 30
8. الحكم على الآب 32
9. إعلان الآب 36
10. وَلاَ أَنَا أَدِينُكِ 41
11. الناموس روحي... 45
12. مكتوبة في ألواح قلب لحمية 48
13. أفكاري ليست أفكاركم 53
14. اَللَّهُمَّ، فِي الْقُدْسِ طَرِيقُكَ. 57
15. فَجَلَسَ الدِّينُ، وَفُتِحَتِ الأَسْفَارُ 63
16. أَنَّكَ تَرَكْتَ مَحَبَّتَكَ الأُولَى.. 73
17. نهرٌ لامعٌ أم نهرُ نارٍ؟ 80
18. لغة قوى الشر 85
19. السياق الخاص بدينونة ما قبل المجيء 90
20. وقت ضيقة يعقوب.. 97
21. بِخَطِيَّةٍ وَاحِدَةٍ صَارَ الْحُكْمُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِلدَّيْنُونَةِ... 103
22. كرسي دينونة المسيح 108
23. تطهير المَقدِس ويوم الكفارة... 114
24. بدون شفيع 124
25. خرونوس وغلق باب الشفاعة.. 128
26. تطهير وتكميل الهيكل الروحي 137

1. عليك أن تحذر

لا يمكن التعبير عن فرحة ملايين الأطفال يوم 24 ديسمبر (ليلة عيد الميلاد - الكريسماس) تعبيرًا حقيقيًا. فأشجار الكريسماس المشعة بالأنوار تقف شامخة على زوايا الشوارع، واللافتات الضخمة المكتوب عليها "أهلاً بك يا سانتا (بابا نويل)" ترحب بهذه الشخصية الغامضة من القطب الشمالي ليأتي ويَنعِم عليهم بالهدايا.

يمر كل هؤلاء الأطفال الأبرياء بتجربة مماثلة لتجربة الرسول يوحنا في سفر الرؤيا. فالفرح البريء بالكريسماس في الطفولة حلو كالعسل في فمهم، لكنهم عندما يدركون أن "سانتا" أو "بابا نويل" هذا من وحي الخيال، فسيجعل ذلك جوف الكثيرين منهم مُرًا.

إن العادات المُصاحبة للكريسماس تكشف الكثير عن البشر. لماذا يحاول الآباء إقناع أبنائهم بشيء غير حقيقي؟ باختصار، لماذا يكذب الآباء على أبنائهم رغم علمهم أن أبناءهم سيتعرَّضون في النهاية لخيبة أمل مربكة عندما يكتشفون أن الأمر كان مُختلقًا؟

والاحتفال بالكريسماس في أستراليا شيء أكثر غرابة. فشهر ديسمبر في أستراليا يقع في منتصف فصل الصيف، ولذلك فمشاهد الثلج والرجل ذي الثياب الحمراء واللحية الطويلة القادم على عربات تجرها غزلان هي حقًا مشاهد غريبة جدًا. وعادةً ما تصل درجة الحرارة يوم العيد إلى 35 درجة مئوية أو أعلى، وهو ما من شأنه أن يخيّب آمال محبي "سانتا" الممتلئين شغفًا به، ولكن لا! فهذه الأسطورة مستمرة بكل ما فيها من أمور شاذة وغريبة، وما يصاحبها بالطبع من هدايا مُفرِحة وتناول الحلويات وكعك العيد.

يجسد "سانتا" العديد من الأشياء حول علم النفس البشري التي تستحق أن نتأمل فيها. فبالإضافة إلى كون هذه العطلة تكشف عن الرغبات التجارية والمادية للباعة والمستهلكين، فكلمات أغنية "سانتا" الشهيرة تُرينا كيف يفكر البشر، والطريقة التى يفهمون وينظرون من خلالها للحياة.

سانتا كلوز قادم إلى المدينة

من الأفضل أن تحذري
من الأفضل ألا تبكي
من الأفضل ألا تعبسي
سأخبرك لماذا
سانتا كلوز قادم للمدينة

إنه يصنع قائمة ويراجعها مرتين

و سوف يكتشف من السيئ ومن الجيد
سانتا كلوز قادم إلى المدينة
إنه يراك وأنتِ نائمة
و يعلم عندما تستيقظين
ويعلم ما إذا كنت جيدة أم سيئة
فكوني جيدة بالله عليك

مانح الهدية يأتي وهو حامل دلغة في ذيله. إنه في الواقع يحتفظ بقائمة بجميع الأشياء التي تفعلها. على ما يبدو أن لديه موهبة الوجود في كل مكان والعلم بكل شيء، فهو يراك وأنت نائم وعندما تستيقظ. ويراجع قائمته مرتين على الأقل، ويعلم ما إذا كنت جيد أو سيء.

منذ نعومة أظافرنا، يعلموننا أننا تحت مراقبة دقيقة، وأن كل ما نقوم به يتم تسجيله في القطب الشمالي. إلا أن السياق الرئيسي الذي تنطلق منه هذه الأفكار هو الخوف، لأنك ينبغي أن تحذر مما قد يحدث لك! فأنت مراقَبٌ وهناك خطر من أنك لن تحصل على هدية جميلة إذا تصرفت بشكل سيء.

على ما يبدو أن معظم الناس لا يرون التناقض الكامن في سانتا كلوز. فهذا الرجل العجوز الشيق الذي يحمل الهدايا والألعاب يدير في حقيقة الأمر عملية مراقبة عالمية ويستخدم مواهبه لإحداث تغيير في سلوكك وتحسين شخصيتك لتصبح من مواطني الدولة الصالحين.

وهذا التناقض الذي يوجد في سانتا كلوز ربما يكون مرتبطًا أيضًا بتناقض مماثل في الديانة المسيحية لاحظه "لورد كاميس" وهو فقيه ومؤرخ وفيلسوف أسكتلندي في القرن الثامن عشر، الذي كتب يقول: "إن الدين المسيحي معروف بروح الوداعة والتسامح والمحبة الأخوية التي يدعو لها. ومع ذلك لم يحدث اضطهاد بهذا الشكل الفظيع في أي دين آخر". وصف "كاميس" هذا التناقض بين المبادئ والممارسات المسيحية بأنه "ظاهرة فريدة في تاريخ الإنسان".[1]

بالطبع، لم يكن "كاميس" أول أو آخر شخص يلاحظ هذا التناقض. كيف يمكن لدين يسوع الذي يدعو للمحبة والرحمة والإحسان للجميع أن ينتج في الكثيرين ممن يزعمون تبعيته مثل هذا السلوك المُحب للسيطرة والقائم على القوة والإرغام؟

وعندما نتعمق أكثر في التاريخ المسيحي، سنجد في شخصية أوغسطينوس البارزة منطقًا لتبرير مبدأ استخدام القوة. إذ نقرأ:

---

[1] https://www.libertarianism.org/publications/essays/excursions/notes-persecution-toleration-history-christianity

"عندما تحدَّى النقاد أوغسطينوس (أول عالم لاهوت مسيحي يدافع دفاعًا منهجيًا عن الاضطهاد) ليأتي بحادثة واحدة استخدم فيها يسوع الإرغام أو الإكراه بدلاً من الإقناع، قام بسحب الآس من جعبته (أي أن الحجة التي سيقدمها ستبرهن مصداقية كلامه). لقد قام بالإشارة إلى قصة الرسول بولس الشهيرة الواردة في أعمال 9: 1 – 18 وهو في طريقه إلى دمشق. فبينما كان في طريقه لاضطهاد المسيحيين، سقط بولس (الذي كان اسمه آنذاك شاول) على الأرض عندما سمع صوت يسوع وأبرق حوله نورٌ من السماء أفقده بصره. حسب فكر أوغسطينوس، من الواضح أن اهتداء بولس هذا ينطوي على إكراه، لأن المسيح "استخدم قوته لإسقاط بولس" كما أنه "ضربه بالعمى الجسدي" (إعاقة استمرت لمدة ثلاثة أيام). وهكذا جاء بولس "إلى الإنجيل بسبب إرغام العقوبة الجسدية"، وهو ما يفند الحجة القائمة على عقيدة التسامح القائلة بأن المسيح لم يستخدم بتاتًا القوة الجسدية بشكل حاسم لا جدال فيه – على الأقل في ذهن أوغسطينوس وأذهان العديد من المسيحيين الذين أتوا بعده وكرروا حجته". [2]

"إن تفسير أوغسطينوس لهذه القصة غريب وذلك في ضوء كلمات يسوع التي تقول "لا تقاوموا الشر"، بمعنى أننا لا نمتلك الحق في إرغام الآخرين على السلوك الجيد أو أن يكونوا صالحين". [3]

إلا أن أوغسطينوس على الرغم من ذلك استطاع أن يضع نظرية "الحرب العادلة" كأساس لحماية السلام ومعاقبة الشر. فمن أجل الحفاظ على السلام والقانون والنظام، يحتاج مواطنو أي دولة تعمل بموجب هذه المبادئ إلى المراقبة والعقاب عندما يتعرض الصالح العام للانتهاك. فيقول: "هناك اضطهاد صالح، تقوم به كنيسة المسيح ضد الزنادقة غير المؤمنين" (أوغسطينوس، الرسالة إلى بونيفاس). [4]

ونسأل هنا - ما هي الثمرة أو النتيجة التاريخية لفكرة أوغسطينوس عن الحرب العادلة أو الاضطهاد الصالح؟ لقد أدت أفكاره إلى ظهور كنيسة العصور الوسطى وما صاحبها من محاكم تفتيش وحملات صليبية وتعرض الملايين للقتل ظنًا أنهم زنادقة ومهرطقين. لم تكن محبة المسيح هي التي تسيطر على هؤلاء المسيحيين، بل الخوف من الدينونة والموت. ربما تكون أنظمتنا الحكومية مختلفة الآن، ولكن ما هو التغيير الذي طرأ على أفكارنا اللاهوتية المتأصلة فينا والسياسات التي ننتهجها؟

---

[2] نفس المرجع

[3] http://maranathamedia.com/book/view/resist-not-evil

[4] https://egregores.blogspot.com/2010/10/augustine-in-defense-of-torturing.html

قام البشر باقتطاف بعض العبارات من الكتاب المقدس التي تتحدث عن الهاوية والجحيم "شيول" التي عادةً ما تُتَرجَم إلى "القبر" واستقرأوا منها سيناريوهات مزعجة للغاية عن التعذيب الذي سيحيق بأعداء الله، والذين نعتبرهم أعداءنا أيضًا، في مكان اخترعناه وأطلقنا عليه اسم "الجحيم".

هل تغيَّرت الأمور اليوم؟ كلا، فنحن ما زلنا مفتونين بالدينونة والموت حتى ولو تغيرت تخيلاتنا. ونعلم أن هذا صحيح عندما نتمنى حلول النقمة والدينونة على أعدائنا. وهذه الرغبات والدوافع الانتقامية هي كالحبكة الدرامية المثالية التي كثيرًا ما تتكرر في الرويات والأفلام، وعادةً ما تُصوَّر بأكبر قدر ممكن من العنف والدموية.

إلا أن الرسول بولس نفسه يعرض لنا فكرة مختلفة تمامًا بشأن السبب الذي يجعلنا نرغب في إتباع المسيح، فالدافع الذي يقدمه لنا هو دافع داخلي تمامًا، وليس دافعًا خارجيًا كذاك الذي يدعو إليه أوغسطينوس، فيقول:

> "لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ تَحْصُرُنَا. إِذْ نَحْنُ نَحْسِبُ هذَا: أَنَّهُ إِنْ كَانَ وَاحِدٌ قَدْ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ، فَالْجَمِيعُ إِذًا مَاتُوا" (كورنثوس الثانية 5: 14).

تعلمنا عقيدة المسيح أن محبة الله العظيمة المُعلنة في شخص المسيح هي الأساس للقوة الداخلية التي تدفعنا لمحبة كل مَنْ هم حوله. هذا الاختبار لا يرحب به الناس عادةً كما يشرح الرسول بولس في رسالته إلى أهل غلاطية بشأن الوارث الذي يتحكم فيه الأوصياء.

> "وَإِنَّمَا أَقُولُ: مَا دَامَ الْوَارِثُ قَاصِرًا لاَ يَفْرِقُ شَيْئًا عَنِ الْعَبْدِ، مَعَ كَوْنِهِ صَاحِبَ الْجَمِيعِ. بَلْ هُوَ تَحْتَ أَوْصِيَاءَ وَوُكَلاَءَ إِلَى الْوَقْتِ الْمُؤَجَّلِ مِنْ أَبِيهِ" (غلاطية 4: 1 و2).

تشعر النفس غير المتجددة وكأنها عبد يخضع لقواعد وقوانين يفرضها عليه الأوصياء حتى يبلغ سن الرشد. التغيير الذي يحدث هو أن روح المسيح يحل على الإنسان ليعلن له صفات الآب الحقيقية.

> "وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ. ثُمَّ بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، **أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخًا: «يَا أَبَا الآبُ». إِذًا لَسْتَ بَعْدُ عَبْدًا بَلِ ابْنًا، وَإِنْ كُنْتَ ابْنًا فَوَارِثٌ للهِ بِالْمَسِيحِ**" (غلاطية 4: 4 – 7).

ما لم يدخل روح المسيح القلب ويصرخ "يا أبا الآب"، سيظل الإنسان يشعر كالعبد الذي يحكمه الآخرون. ونظرًا لعدم شعوره بالاطمئنان والأمان، فالشخص غير المتجدد يشعر برغبة في السيطرة على الآخرين، مما يجعله تحت سيطرة الآخرين، لأن هذا هو المجتمع

الذي ينشأ من أشخاص بهذا الفكر. الإنسان غير المتجدد ينجذب بدون قصد لأشكال الحكم الاستبدادية برغم اعتراضه عليها. وعندما تختفي محبة المسيح وتغيب قوتها الداخلية، فإن مملكة الله المفتقرة لروحه تُحكَم بواسطة رؤساء وزعماء يلجأون لمعاقبة المواطنين وذلك لتعويض افتقارهم لقوة التغيير الداخلية التي تلهمها المحبة.

هذا هو السبب في أن العديد من المعلقين الذين يحذِّرون من النظام الاستبدادي القادم للعالم الجديد ويهاجمونه، هم في الحقيقة يساعدون على تكوين هذه الأشكال من الحكومات. فهوسهم بالحديث المستمر عنه وكيفية الاستعداد له يؤدي إلى زيادة انعدام الأمن والبارانويا (أي جنون الشك والاضطهاد)، مما يؤدي إلى أقلمة الناس وتهيئتهم للتحول لنظام الحكم هذا.

إن العالم الذي نعيش فيه هو نتاج القرارات والاختيارات التي اتخذها الجنس البشري ردًا على محبة المسيح المُشفِقة والباذلة. لقد لمحنا كجنس بشري، قبل ألفي عامٍ، نظرة عن الله قد تغيّر أفكارنا وفهمنا بشكل كامل عن العدالة والدوافع الأساسية التي تشجعنا على العيش. وقد قُضي الأمر بحلول القرن الرابع الميلادي عندما اتخذت الكنيسة المسيحية الشكل الإمبريالي العالمي واتحدت مع الدولة. يريد هذا النظام المزيد من القوة لتنظيم أفكار ومعتقدات أتباعه بغض النظر عن شكل الحكومة التي يتكيف معها، لأن هذا هو ما يريد الإنسان فعله بالسلطة حتى يشعر بالأمان. والنتيجة المترتبة على ذلك هي أننا نعيش الآن في بيئة مراقبة بشكل لم يشهده العالم من قبل بسبب التقدم الهائل في العلوم والتكنولوجيا والهندسة الاجتماعية.

ومن أوغسطينوس إلى توماس الأكويني إلى سانتنا القادم إلى المدينة، نجد أن الحاجة إلى القوائم التي تسجِّل سيئاتنا والخوف من العقاب السائد في مجتمعاتنا أصبحت توجد في كل مكان.

ومن أوغسطينوس إلى توماس الأكويني إلى سانتنا القادم إلى المدينة، نجد أن الحاجة إلى القوائم التي تسجِّل سيئاتنا والخوف من العقاب السائد في مجتمعاتنا أصبحت توجد في كل مكان. نقدم في هذا الكتاب وجهة نظر مختلفة، لكن علينا أولاً تتبع التطور الذي طرأ على الرؤى والنظريات المتعلقة بالدينونة والعدالة الإلهية. فإن كان إرغام الناس على اعتناق المسيحية بالقوة أصبح مترسخًا في أذهاننا وصرنا نعتبر ذلك أنها إرادة الله، فكيف سيؤثر ذلك على فهمنا لدينونة الله وأحكامه والطريقة التي نقرأ بها الكتاب المقدس؟

2. يوم الدينونة

أتذكر وقتًا مميزًا كنت أتناقش فيه مع مجموعة من المسيحيين في شمال غرب الولايات المتحدة. جلسوا وهم في حالة من الذهول عندما شاركت معهم محبة الله ورحمته الأبدية بطريقة لم يفكروا فيها من قبل. بعد أن أنهيت كلامي سألتني إحدى الشابات: "إذا استبعدت التهديد بالعقاب، فما الذي سيجعل الخاطئ يتوب؟ ألا تحتاج إلى التهديد بالعقاب لمساعدة الخاطئ على فهم الضياع والضلال الذي يعيش فيه؟"

شعرت بالحزن في داخلي وأنا أصغي إلى كلمات أوغسطينوس التي كانت تطاردني وهي تُردَّد على لسان تلك الشابة الرائعة والصادقة. إلا أن هذه هي الصورة التي رسمتها المسيحية لأكثر من 1500 سنة للأسف. وبيلي جراهام وهو من من أكثر الوعاظ تأثيرًا ونفوذًا في القرن العشرين أكد أيضًا على هذه الصورة وقدَّم وصفًا مباشرًا لها كما كان يفهمها. فيقول:

> "يعلن الكتاب المقدس أن الله هو إله دينونة وسخط وغضب، وقد حذَّر يسوع مرارًا وتكرارًا من الدينونة فقال: "إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطُونَ عَنْهَا حِسَابًا يَوْمَ الدِّينِ"" (متى 12: 36) والكتاب أيضًا يقول: "يُرْسِلُ ابْنُ الإِنْسَانِ مَلاَئِكَتَهُ فَيَجْمَعُونَ مِنْ مَلَكُوتِهِ جَمِيعَ الْمَعَاثِرِ وَفَاعِلِي الإِثْمِ، وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَتُونِ النَّارِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ" (متى 13: 41 و42). والرُسُل في العهد الجديد كانوا يعلِّمون أن الدينونة ستأتي. فالرسول بولس نجده يقول: "لأَنَّهُ أَقَامَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ مُزْمِعٌ أَنْ يَدِينَ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ، بِرَجُل قَدْ عَيَّنَهُ" (أعمال 17: 31). وقد صرَّح كاتب سفر العبرانيين بالقول: "وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ الدَّيْنُونَةُ" (عبرانيين 9: 27). وقال بطرس الرسول في رسالته الأولى: "الَّذِينَ سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَابًا لِلَّذِي هُوَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ أَنْ يَدِينَ الأَحْيَاءَ وَالأَمْوَاتَ" (بطرس الأولى 4: 5). وقد عبَّر يوحنا الرسول عن ذلك بهذه الطريقة: "وَمُلُوكُ الأَرْضِ وَالْعُظَمَاءُ وَالأَغْنِيَاءُ وَالأُمَرَاءُ وَالأَقْوِيَاءُ وَكُلُّ عَبْدٍ وَكُلُّ حُرّ، أَخْفَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي الْمَغَايِرِ وَفِي صُخُورِ الْجِبَالِ، وَهُمْ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ وَالصُّخُورِ: اسْقُطِي عَلَيْنَا وَأَخْفِينَا عَنْ وَجْهِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَعَنْ غَضَبِ الْخَرُوفِ، لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ يَوْمُ غَضَبِهِ الْعَظِيمُ. وَمَنْ يَسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ؟" (رؤيا 6: 15 – 17).
>
> "تشير مئات النصوص إلى وقت دينونة سيواجهه كل إنسان سبق له وأن عاش على الأرض. لن يتمكن أحدٌ من الفرار. لو حذفت كل النصوص والمراجع التي تشير إلى الدينونة في الكتاب المقدس، لن يتبقى سوى القليل من الكتاب المقدس".

"قدم الله محبته ورحمته وغفرانه للناس. ومن على الصليب، قال للعالم أجمع: "أحبكم". ولكن عندما يتم رفض هذه المحبة عن قصدٍ وعمدٍ، فإن البديل الوحيد هو الدينونة". [5]

عند قراءة النصوص التي استشهد بها القسيس غراهام من الكتاب المقدس، سنجد أن غضب الله سيحل لا محالة على أولئك الذين يتصرفون بشكل سيء، وأن الله يحتفظ بسجل تفصيلي لكل الأعمال التي تقوم بها وسيستخدمه ضد كل مَنْ يخطئ ويتصرَّف بشكل سيء، كما هو الحال في حكاية سانتا كلوز ذلك الرجل ذو الثياب الحمراء واللحية الطويلة القادم من القطب الشمالي. فإذا لم تقبل عطية ابنه، فسوف يلجأ للقوة لإنهاء حياتك بسبب شرورك وعصيانك.

لن يخاطر أحدًا ويعيش في مجتمع لا تكون القوة مطلوبة فيه للحفاظ على القانون. إلا أن هذا ممكنًا كما يوضح القسيس جراهام:

"ومع ذلك، فهذا الإله من شأنه أن يصنع عالمًا غريبًا للغاية، تسوده الفوضى وعدم الالتزام والخراب، ويكون من المستحيل العيش بثقة وطمأنينة وسلام فيه. فلكي يكون للحياة معنى، ينبغي أن تقوم على الشريعة ومعطي الشريعة".[6]

كيف يمكن تحقيق النظام في مجتمع ما دون التهديد بفرض العقوبات على مَنْ لا يلتزم أو يخالف التعليمات؟ ألم يهدد الله آدم وحواء وأخبرهما أنهما إذا أكلا من شجرة معرفة الخير والشر سيموتان؟ تحتوي أسفار موسى على الكثير من التعليمات الخاصة بالعقوبات التي ينبغي أن تطبق على فاعلي الإثم في أمة إسرائيل. فمن المنطقي جدًا أن يُطبَّق التهديد بالعقاب على أولئك الذين يخالفون التعليمات.

فما هي العقوبة التي عادةً ما تشير إليها المسيحية وتعلن أنها في انتظار أولئك الذين يخالفون التعليمات ولا يلتزمون بالقوانين؟ تؤكد التعاليم الكاثوليكية على ما يلي:

"كثيرًا ما يتحدث يسوع عن "جهنم" وعن "النار التي لا تُطفأ" المحفوظة لأولئك الذين يرفضون حتى نهاية حياتهم أن يؤمنوا ويغيّروا مسار حياتهم، والتي يهلك فيها الجسد والنفس على حدٍ سواء. يصرّح يسوع بالقول: "يُرْسِلُ ابْنُ الإِنْسَانِ مَلاَئِكَتَهُ فَيَجْمَعُونَ ... َفَاعِلِي الإِثْمِ، وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَتُونِ النَّارِ"، وأنه سينطق بالحكم "اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ". تؤكد تعاليم الكنيسة على وجود الجحيم وديمومته. وعقوبة الجحيم العظمى هي الانفصال الأبدي عن الله الذي به وحده يستطيع الإنسان أن يمتلك الحياة والسعادة التي خُلِق لأجلها ويشتاق

---

[5] https://decisionmagazine.com/justice-of-god/

[6] المرجع نفسه

إليها". [7]

إن المعاناة الأبدية في لهيب الجحيم هي الوسيلة الأخيرة التي تُستخدم لإكراه الناس على الخضوع لقوانين الله ونظامه. وبطبيعته فالتهديد بهذا النوع من التعذيب والعقاب يتطلب المراقبة والفحص والدينونة لتحديد أهلية الشخص وأحقيته بالحياة الأبدية مع الله في السماء أو الدينونة الأبدية في الجحيم.

معظم الناس على دراية بمقولة: "القرد يرى، القرد يفعل"[8] فأفكارنا وتصوراتنا عن الله تنعكس في الطريقة التي نعيش بها. فنحن نقلد الإله الذي نتصوره. وحتى أولئك الذين يغضبون من فكرة الإله الذي يعذب الخطاة إلى الأبد، يُترَكون لاستبدال ما هو إلهي بما هو بشري. ونجد أن تاريخ البشرية، الملوَّث بالأفكار الاستبدادية عن الله، يكرر الأفكار والأنماط الاستبدادية عينها كما نرى في أحداث الثورة الفرنسية وجرائم التطهير العرقي التي قام بها ستالين وثورة ماو الثقافية وحقول القتل التي تم تنفيذها على يد نظام بول بوت وغيرها من حوادث وعمليات القتل الجماعي.

فأفكارنا وتصوراتنا عن الله تنعكس في الطريقة التي نعيش بها. فنحن نقلد الإله الذي نتصوره.

ونظرًا لكوني أعيش في بيئة ثقافية مشبعة بأفكار المراقبة والفحص والإدانة، فقد تعلمت أن أعيش حياة سرية. وحتى أتجنب رؤية الأعين التي ترى كل شيء كأعين الوالدين والمعلمين ومن هم في سلطة بشكل عام، فأصبحت بالغريزة شخصًا يخفي الأِشياء. وخوفي من العقاب بسبب المراقبة تُرجِم لرغبة في إيجاد طرق لكي لا يراني أحد.

ونجد أن خوف الناس من تعرضهم للانكشاف يظهر بوضوح من خلال التسريب الإلكتروني للبيانات والمعلومات التي تكشف أسرارهم الشخصية التي يحتفظون بها. فأي إنسان يستخدم التكنولوجيا أو الإنترنت ليس في مأمن. وهناك مفارقة غريبة بين عمليات القرصنة وكشف معلومات الناس من خلال خدمات المواعدة والمرافقة الجنسية التي تكشف أسرار الملايين من الناس وعدم أمانتهم.

وقد أصبح الكثير منا على دراية بأن التطبيقات التي تقوم بتحويل الكلام إلى نص توجد في هواتفنا وتلتقط العبارات الرئيسية التي تظهر فجأة في إعلانات الإنترنت أو على YouTube، ونكتشف أن المعلومات التي نشاركها في محادثاتنا الخاصة لم تعد خاصة.

---

[7] https://en.wikipedia.org/wiki/Christian_views_on_Hell

[8] مقولة بلغة مبسطة ظهرت في الثقافة الأمريكية في بدايات عقد 1920، حيث تشير المقولة إلى تعلم عملية معينة دون فهم آلية عملها أو لماذا تعمل أساسًا. أو ربما، بحسب تعريف آخر، يعني التقليد الأعمى الذي يصاحبه غالبًا معرفة ضئيلة وإدراك محدود بالعواقب.

فمجتمعنا مبني على جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات، واستخدامها إما لتسويق وبيع الأشياء، أو للحكم على جودة المواطنين أو الموظفين، أو لمعاقبتنا على الجرائم التي نرتكبها أو التي قد نرتكبها في المستقبل.

من السهل قراءة الكتاب المقدس في هذا السياق. فعلى سبيل المثال، دعونا نلقي نظرة على دانيال 7.

> "كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ وُضِعَتْ عُرُوشٌ، وَجَلَسَ الْقَدِيمُ الأَيَّامِ. لِبَاسُهُ أَبْيَضُ كَالثَّلْجِ، وَشَعْرُ رَأْسِهِ كَالصُّوفِ النَّقِيِّ، وَعَرْشُهُ لَهِيبُ نَارٍ، وَبَكَرَاتُهُ نَارٌ مُتَّقِدَةٌ. نَهْرُ نَارٍ جَرَى وَخَرَجَ مِنْ قُدَّامِهِ. أُلُوفُ أُلُوفٍ تَخْدِمُهُ، وَرَبَوَاتُ رَبَوَاتٍ وُقُوفٌ قُدَّامَهُ. فَجَلَسَ الدِّينُ، وَفُتِحَتِ الأَسْفَارُ" (دانيال 7: 9 و10).

نرى في هذا النص محكمة سماوية كبيرة جدًا تُفحَص فيها جميع بيانات المراقبة التي تم جمعها، ويبدو أن كل شخص في هذه المحاكمة يواجه أجرته أو، على الأرجح، عقوبته. هذا هو الجانب الجاد من قصة سانتا. لم نعد نتعامل مع المعايير السهلة التي نحكم فيها على الأطفال، لكننا نتعامل مع إله قدير معاييره عالية بلا حدود. يعرض لنا دانيال الأصحاح السابع رؤية ليست لإله راكب على زلاجة تجرها غزلان وقادم من القطب الشمالي، بل إله جالس على عرش مهيب تخرج منه النار، ومحاطًا بفيالق من الجند السماويين مستعدين لقتل الأشرار المذنبين.

ربما نلجأ ليسوع ليطمئننا ويعزينا، لكننا نقرأ بعد ذلك ما قاله فترتعد فرائصنا:

> "وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطُونَ عَنْهَا حِسَابًا يَوْمَ الدِّينِ. لأَنَّكَ بِكَلاَمِكَ تَتَبَرَّرُ وَبِكَلاَمِكَ تُدَانُ" (متى 12: 36 و37).

> "اُدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ، لأَنَّهُ وَاسِعٌ الْبَابُ وَرَحْبٌ الطَّرِيقُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْهَلاَكِ، وَكَثِيرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ! مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ، وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ!" (متى 7: 13 و14).

وهذا هو ما جعل الشاب مارتن لوثر، وهو يقود أول خدمة دينية له، يشعر بالخوف والرهبة من بهاء الله وجلاله.

> "قلت لنفسي: "بأي لسان عساني أخاطب هذا الجلال والبهاء، إذ أعلم أن جميع الناس ينبغي أن يرتعدوا وهم في محضر رئيس أرضي؟ من أنا حتى أرفع عينيَّ أو أرفع يديَّ إلى جلال السماء وبهائها؟ فالملائكة يحيطون به. وعندما يتحرك، تهتز الأرض وترتعد. وهل عساني، أنا الإنسان الصغير البائس، أن أقول: "أريد هذا، وأطلب ذاك؟" لأنني تراب ورماد ومليء

بالخطية وأتحدث إلى الإله الحي الأبدي الحق". [9]

هذا النوع من الخوف هو الذي يؤدي إلى العذاب. لقد تطوَّر فكر لوثر، ونراه يعبّر عن استنتاجه الطبيعي على النحو التالي:

> "لم أستطع أن أصدق أن أي شيء أفكر فيه أو أفعله أو أصلي لأجله يرضي الله. لم أحب بل أبغضت ذلك الإله الصالح الذي يعاقب الخطاة".
>
> "بالتأكيد، وبتذمّر شديد (ربما حتى بتجديف)، كنت غاضبًا من الله وقلت: "كما لو لم يكن كافيًا أن الخطاة البائسين الذين بسبب الخطية الأصلية فقدوا أبديتهم، وتعصف بهم كل أنواع المصائب والكوارث من خلال الوصايا العشر، فالله نفسه يضيف إلى آلام الناس ألمًا في الإنجيل وذلك بتهديدنا ببره وغضبه". [10]

أليست هذه هي النتيجة الحتمية لمراقبة الشخص والتحقق لمعرفة ما إذا كان يفعل شيئًا خاطئًا والتهديد بمعاقبته في حالة فشله؟ ألا يشير كل هذا إلى أن هذا الإله يتوقع الفشل وبالتالي يمكنه في الواقع تسهيل عملية الفشل؟

المسيحية تقول أن عدل الله يتطلب العقاب، ولذلك يقدم الله ابنه كذبيحة كفارية. فلكي يرضي الله غضبه الناجم عن مخالفة شريعته، يبذل ابنه الوحيد ليدفع عقوبة موتنا. وهذا يُقدَّم على أنه رحمة. فالموت الذي نستحقه دفعه ابن الله.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو – من هو صاحب الفكرة القائلة بأن العدل يتطلب موت الشرير؟

---

[9] Roland Bainton, *Here I Stand* (NAL, 1978)

[10] أعمال لوثر، المجلد 34 صفحة 336 – 338

3. العدل والدينونة

بالنسبة للمتعمقين في دراسة التاريخ، فالصراع بين حق الملوك الإلهي وسيادة القانون الذي يطبقه برلمانًا منتخبًا يبدو أنهما يمثلان مفهومين مختلفين حول السلطة والحكم. وربما ليس من محض الصدفة أن نفس الممثل هو الذي جسَّد حياة يوليوس قيصر وأوليفر كرومويل في فيلمين، ألا وهو الممثل ريتشارد هاريس. قاد أوليفر كرومويل برلمان إنجلترا لإعدام ملكها تشارلز الأول بتهمة خيانة الشعب. ويوليوس قيصر ثار على جمهورية روما ليؤسس بدايات الإمبراطورية الرومانية. يرجع الفضل لوصوله إلى السلطة إلى ولاء جنوده والانتصارات العسكرية التي حققها.

بغض النظر عما إذا كانت الأمة تحكمها الملكية أو الديمقراطية، هناك شيء واحد يتفق عليه الجميع، ألا وهو استعمال القوة لمنح الصلاحية للقوانين التي تم سنها.

تعريف سيادة القانون في قاموس أكسفورد الإنجليزي هو على النحو التالي: "هو سلطة القانون وتأثيره على المجتمع، وخاصةً عندما يُنظر إليه على أنه قيد على السلوك الفردي والمؤسساتي، (ومن هنا) إنه المبدأ الذي بموجبه يخضع جميع أعضاء المجتمع (بما في ذلك أعضاء الحكومة) على قدم المساواة للقوانين والعمليات القانونية التي يُكشف عنها علنًا". تصور هذه اللوحة الفسيفسائية امرأة تحمل بيدها اليمنى غصن نخيل لمنح الجوائز والمكافآت، وبيدها اليسرى سيفًا لفرض العقوبات على مخالفي القانون.

إن نظرية الحق الإلهي في الحكم السائدة خلال العصور الوسطى تعكس الفكر الرائج آنذاك وهو أن الملك يعتبر الممثل أو النائب عن الله.

أكد الأسقف جاك بينيني بوسيه (1627-1704)، وهو أحد المؤيدين الفرنسيين الرئيسيين لمفهوم الحق الإلهي، أن شخص الملك وسلطانه مقدسان، وأن سلطته على غرار سلطة الأب، وأنه يستمد شرعيته من الله مباشرة ولا يحق لأي قوة أرضية أن تنازعه في حقه الإلهي من السماء، ولا يحكمه على الأرض سوى العقل (أي الأعراف والسوابق). [11]

وفي هذا السياق، صاغ مترجمو الكتاب المقدس خلال العصور الوسطى فهمهم عن العدالة.

---

[11] https://www.britannica.com/topic/divine-right-of-kings

"الْعَدْلُ وَالْحَقُّ قَاعِدَةُ كُرْسِيِّكَ. الرَّحْمَةُ وَالأَمَانَةُ تَتَقَدَّمَانِ أَمَامَ وَجْهِكَ" (مزمور 89: 14).

"السَّحَابُ وَالضَّبَابُ حَوْلَهُ. الْعَدْلُ وَالْحَقُّ قَاعِدَةُ كُرْسِيِّهِ. قُدَّامَهُ تَذْهَبُ نَارٌ وَتُحْرِقُ أَعْدَاءَهُ حَوْلَهُ. أَضَاءَتْ بُرُوقُهُ الْمَسْكُونَةَ. رَأَتِ الأَرْضُ وَارْتَعَدَتْ. ذَابَتِ الْجِبَالُ مِثْلَ الشَّمْعِ قُدَّامَ الرَّبِّ، قُدَّامَ سَيِّدِ الأَرْضِ كُلِّهَا" (مزمور 97: 2 – 5).

يبدو أن مبدأ القوة هو الأساس الذي تقوم عليه عظمة الله وجلاله.

"إِنِّي أَرْفَعُ إِلَى السَّمَاءِ يَدِي وَأَقُولُ: حَيٌّ أَنَا إِلَى الأَبَدِ. إِذَا سَنَنْتُ سَيْفِي الْبَارِقَ، وَأَمْسَكَتْ بِالْقَضَاءِ يَدِي، أَرُدُّ نَقْمَةً عَلَى أَضْدَادِي، وَأُجَازِي مُبْغِضِيَّ. أُسْكِرُ سِهَامِي بِدَمٍ، وَيَأْكُلُ سَيْفِي لَحْمًا. بِدَمِ الْقَتْلَى وَالسَّبَايَا، وَمِنْ رُؤُوسِ قُوَّادِ الْعَدُوِّ" (تثنية 32: 40 – 42).

الاعتقاد الشائع هو أن الله صاحب السيادة والسلطان، وأن جميع قادة المجتمع الذين يحكمون بين الناس يحصلون أيضًا على هذا السلطان منه، وبالتالي يؤسسون العدل على سلطة استخدام السيف (أي استخدام القوة للإرغام والإكراه). فالعدل لديهم هو الحكم على الأفعال بأنها جيدة أو سيئة، وبالتالي فالحسنات تُكافئ والسيئات تُعاقب.

ولذلك فإن الخوف من عقوبة الموت هو الشيء الذي يحفظ الحياة رغم التناقض الذي يوجد في ذلك. لتوضيح هذه الفكرة أكثر، نقرأ أشياء كهذه في الفكر المسيحي:

"إن مطالب الله الخاصة بنيل الحياة الأبدية، والمؤسسة على صفاته العادلة، لم تتغير أبدًا. فالله لا يغير معياره في البر لأننا نرفض أن نطيعه أكثر من قيام القاضي بتغيير حدود السرعة عندما نحصل على مخالفة سرعة. بل أن خطية آدم أضافت عقوبة الموت الجسدي والروحي بسبب العصيان إلى الدين المتعلق بالطاعة الكاملة. وبدون استثناء، فإن غفران الخطايا والحياة الأبدية غير ممكنين بدون الإرضاء الكامل لعدل الله. فالله لن يكون هو الله إذا تنازل عن عدله ليخلص نفسًا واحدة". [12]

توجد فى قلب اللاهوت المسيحي فكرة أن الموت الذى يلحق بمن يخالف الشريعة هو عدل الله. ترتكز هذه الفكرة على الاعتقاد بأن عرش الله مؤسس على التهديد بالموت. كما يتضح أن عرشه مؤسس أيضًا على الدينونة والقصاص من أولئك الذين يخالفون شريعته.

[12] https://bible.org/article/god-s-perfect-and-unchanging-justice-ground-gospel

إلا إننا نقرأ في المزمور 89 أن الرحمة والأمانة تتقدمان أمام وجه الله. فكيف نوفق الرحمة مع هذه الفكرة القائلة بأن العدل يتطلب موت الشرير المخالف للشريعة؟ دعونا نتأمل في المعنى الأصلي للكلمة الإنجليزية Mercy أو الرحمة.

توجد في قلب اللاهوت المسيحي فكرة أن الموت الذي يلحق بالمخالف لشريعته هو عدل الله.

-- من اللاتينية وتعني الأجر المدفوع، كما تعني أيضًا الإحسان والعفو والرفق وذلك في عدد من السياقات الأخلاقية والدينية والاجتماعية والقانونية. [13]

نجد هنا أن نيل الرحمة يتم من خلال الثمن أو الأجر المدفوع. وبالتالي ففي هذا التعريف يمكن نيل الرحمة إذا تم إيفاء الدين الخاص بالعدل. فالعدل ينبغي إرضاؤه للحفاظ على كرامته ونزاهته. ولذلك إذا دُفِعت أجرة الدين، بغض النظر عمن دفعها، فإن العدل يحافظ على نزاهته، ويمكن عندها نيل الرحمة. وهذا يقودنا إلى نظرية المصالحة المسيحية التي تُسمى بـ "البدلية العقابية".

> "البدلية العقابية (والمعروفة أيضًا في الكتابات القديمة بالنظرية العدلية) هي نظرية خاصة بالكفارة في اللاهوت المسيحي، وتنادي بأن المسيح، عن طريق موته الذبائحي الاختياري، عانى بديلاً عن الخطاة، وبهذا قد أرضى الآب وأوجد المصالحة بين الله والبشرية، مستوفيًا بذلك مطالب العدالة حتى يتمكن الله من غفران الخطايا غفرانًا عادلاً". [14]

إن معنى كلمة "رحمة" تُظهِر فكرة الأجرة أو الدين المدفوع. في التقليد البروتستانتي، لا يمكن دفع هذا الدين إلا من خلال موت المسيح نيابةً عنا. وفي التقليد الروماني الكاثوليكي، يمكن للإنسان من خلال أعماله الحسنة أن يساهم في خلاص نفسه. [15]

نلاحظ على وجه الاختصار أن أفكار البشر المتعلقة بالعدل والعدالة، سواء من الكتاب المقدس أو من قبل البشرية بشكل عام، تستند إلى المبدأ القائل بأن العقوبة القاسية أو حتى الموت مطلوب لفرض مبادئ القانون.

لذلك فإن هذا النظام يتطلب المراقبة والدينونة والعقاب والموت. هذه الأشياء متأصلة في مفهوم العدل والعدالة هذا. والسؤال الذي ينبغي طرحه هو: هل يمكن لنظام العدالة هذا أن ينتج مجتمعًا حرًا بلا خوف؟ إذا كان الله بطبيعته هو مُبدِع الموت، وأنه هو السيّد العظيم

---

[13] https://en.wikipedia.org/wiki/Mercy
[14] https://en.wikipedia.org/wiki/Penal_substitution
[15] https://en.wikipedia.org/wiki/Merit_(Christianity)

صاحب السيادة المطلقة والمسؤول عن الموت، إذن أليس الله نفسه، في جوهره، تجسيدًا للموت؟ فإذا كان الله يراقب كل الأعمال التي نقوم بها ويقوم بوزنها وفقًا لمعياره الإلهي لتحديد قدرتنا على الارتقاء إلى المستوى الذي يريده، فكيف يمكن للبشر أن يصلوا لموضع يكونون فيه أحرارًا من الموت ورهبته؟ نجد في هذا السياق أن الدينونة والعقاب والموت لهم صلة مستمرة ودائمة بالله.

من هذا المنطق أود أن أضع أمامك، عزيزي القارئ، ثلاثة نصوص من الكتاب المقدس كنقطة انطلاق لبقية هذا الكتاب.

"أَنَّ الآبَ لاَ **يَدِينُ** أَحَدًا، بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ" (يوحنا 5: 22).

"أَنْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ تَدِينُونَ، أَمَّا أَنَا (يسوع) فَلَسْتُ **أَدِينُ** أَحَدًا" (يوحنا 8: 15).

"الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ، وَلاَ تَنْتَفِخُ، وَلاَ تُقَبِّحُ، وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا، وَلاَ تَحْتَدُّ، **وَلاَ تَظُنُّ السُّوءَ**" (كورنثوس الأولى 13: 4 و5).

وعلى عكس سانتا كلوز الذي لديه قائمة بمن هو الجيد ومن هو السيء، فالله لا يظن السوء ولا يحتفظ بسجل للمخالفات والأخطاء. فإذا كان الله لا يحتفظ بقوائم أو سجلات، فإن كل المبادئ التي يبني عليها البشر فهمهم للعدل والدينونة غير صحيحة.

تتحدى هذه النصوص الثلاثة بشكل مباشر أفكار العدل والدينونة القائمة على التهديد بالموت. يخبرنا يسوع أنه لا هو ولا أبيه يدين أحدًا ولا يجرِّب أو يعاقب أحدًا. وأصحاح المحبة الشهير في الكتاب المقدس يخبرنا أن المحبة لا تظن السوء أي أنها لا تحتفظ بسجل للمخالفات والأخطاء. فالله محبة، ومحبته الكاملة هذه تطرح الخوف كله إلى خارج (يوحنا الأولى 4: 8 و18). وعلى عكس سانتا كلوز الذي لديه قائمة بمن هو جيد ومن هو سيء، فالله لا يظن السوء ولا يحتفظ بسجل للمخالفات والأخطاء. فإذا كان الله لا يحتفظ بقوائم أو سجلات، فإن كل المبادئ التي يبني عليها البشر فهمهم للعدل والدينونة غير صحيحة. كما قال لنا يسوع: "أنتم حسب الجسد تدينون". والكتاب المقدس يخبرنا:

"لِيَتْرُكِ الشِّرِّيرُ طَرِيقَهُ، وَرَجُلُ الإِثْمِ أَفْكَارَهُ، وَلْيَتُبْ إِلَى الرَّبِّ فَيَرْحَمَهُ، وَإِلَى إِلهِنَا لأَنَّهُ يُكْثِرُ الْغُفْرَانَ. لأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، وَلاَ طُرُقُكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ، هكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ" (إشعياء 55: 7 – 9).

هل نحن متأكدون من فهمنا لعدل الله فهمًا صحيحًا؟ كيف يمكننا تفسير نصوص الكتاب المقدس التي ورد ذكرها وجعلها تتوافق مع النصوص الأخرى العديدة التي تخبرنا العكس؟ كيف يمكن للمحبة ألا تظن السوء (أي لا تحتفظ بسجل للمخالفات والأخطاء)، في حين أن نظام العدالة الذي تطرقنا إليه يتطلب مثل هذه الأشياء؟ فهذه الأفكار المتعلقة بعدالة الله متناقضة، ومهمتنا هي حل هذا التناقض بروح الصلاة كي ما تُعلَن لنا حقيقة عدل الله ورحمته.

4. أصل الدينونة المصحوبة بالعقاب

إن حياة يسوع وكلامه يكشفان لنا النور المجيد الذي يشع من صفات الله الآب الحقيقية. عندما قال يسوع أنه لا هو ولا أبيه يدينان أحدًا، وأنهما لا يُجرِّبان أو يُعاقبان أحدًا، فإن السؤال المباشر الذي يجب الإجابة عليه هو: إذا كانا لا يدينان أحدًا، فما هو سبب امتلاء العالم بالدينونة والعقاب؟ لماذا يدين الناس الآخرين كثيرًا وأين بدأ كل هذا؟

عندما جاء الله إلى آدم وحواء في جنة عدن بعد تناولهما من ثمر الشجرة المحرَّمة، هربا واختبآ منه بسبب خوفهما. كانا خائفين من دينونة الله ومن القصاص المُحتَمل الذي كان سيقع عليهما بسبب الأفعال التي كانا يعلمان أنها ليست جيدة. وعندما سؤل عما فعله، أجاب آدم بالقول:

"الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ" (تكوين 3: 12).

وجَّه آدم الإدانة إلى الله واتهمه بانه كان مخطئًا بخلقه امرأة سوف تحرضه على السير في الاتجاه الخاطئ. لقد وضع لوم أعماله على الله. اعتقد آدم أن الله جاء ليقتله كعقاب على الفعل الذي قام به. ألم يقل الله "لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت؟" (تكوين 2: 17).

ونعلم أن آدم كان يخشى الموت من النص التالي:

"فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، **وَيُعْتِقَ أُولئِكَ الَّذِينَ- خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ- كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ**" (عبرانيين 2: 14 و15).

ككائنات بشرية، نحن بالطبيعة نخاف من الموت. فهذا جزء من ميراثنا الذي ورثناه عن آدم. اعتقد آدم أن الله يريد قتله بسبب فشله في اتباع أوامره وإرشاداته. وقد أدان آدم الله ووجَّه اللوم إليه واتهمه بأنه مسؤول عن المشكلة، وبالتالي فإنه (أي الله) لا بد أن يتكفل بعقوبة الموت المتعلقة بالخطأ الذي ارتكبه آدم. لم يصِّرح آدم بهذا الكلام بصورة مباشرة، لكن الكتاب المقدس يخبرنا بما حدث من البداية.

"فَسَيَسْجُدُ لَهُ جَمِيعُ السَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ، الَّذِينَ لَيْسَتْ أَسْمَاؤُهُمْ مَكْتُوبَةً **مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ فِي سِفْرِ حَيَاةِ الْخَرُوفِ الَّذِي ذُبِحَ**" (رؤيا 13: 8).

هل يمكننا التأكد من شعور آدم بهذه الطريقة حقًا تجاه الله وابنه؟

"**لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ للهِ (أي أن العقل الخاطئ في حرب مع الله)**، إِذْ لَيْسَ هُوَ خَاضِعًا لِنَامُوسِ اللهِ، لأَنَّهُ أَيْضًا لاَ يَسْتَطِيعُ" (رومية 8: 7).

عندما تعدى آدم على وصية الله، وقع في الخطية. فصار عقله في حرب مع الله، ولم يعد راغبًا في إطاعة شريعة الله. كان عقله ممتلئًا بأفكار الاشتكاء والدينونة تجاه الله. هذا لأنه اختار الشيطان ليكون سيده وبالتالي بدأ يفكر مثل الشيطان. ماذا كان الشيطان يظن من البدء؟ فلنصغِ إلى ما قاله يسوع لقادة اليهود الذين كانوا يحاولون قتله:

"أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. **ذَاكَ كَانَ قَتَّالًا لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ** لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ" (يوحنا 8: 44).

كان الشيطان يرغب في قتل ابن الله من البدء. كان يرغب في الاستيلاء على مكانة المسيح وأن يصبح معادلاً لله.

كَيْفَ سَقَطْتِ مِنَ السَّمَاءِ يَا زُهَرَةُ، بِنْتَ الصُّبْحِ؟ كَيْفَ قُطِعْتَ إِلَى الأَرْضِ يَا قَاهِرَ الأُمَمِ؟ وَأَنْتَ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: أَصْعَدُ إِلَى السَّمَاوَاتِ. أَرْفَعُ كُرْسِيِّي فَوْقَ كَوَاكِبِ اللهِ، وَأَجْلِسُ عَلَى جَبَلِ الاجْتِمَاعِ فِي أَقَاصِي الشَّمَالِ. **أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ. أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ"** (إشعياء 14: 12 – 14).

نرى في أقوال قادة اليهود وأفعالهم تجلي روح الشيطان تجاه الرب يسوع. وفي كرههم ورغبتهم في قتل ابن الله نرى أشواق الشيطان الذي أراد أن يقتل ابن الله من البدء وأن يستولي على مكانته ليكون معادلاً للآب العلي.

إن الشيطان هو الذي ابتدع روح الاشتكاء والدينونة، فالكتاب المقدس يسميه "المشتكي على الإخوة".

"فَطُرِحَ التِّنِّينُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ، طُرِحَ إِلَى الأَرْضِ، وَطُرِحَتْ مَعَهُ مَلاَئِكَتُهُ. وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا قَائِلًا فِي السَّمَاءِ: الآنَ صَارَ خَلاَصُ إِلهِنَا وَقُدْرَتُهُ وَمُلْكُهُ وَسُلْطَانُ مَسِيحِهِ، **لأَنَّهُ قَدْ طُرِحَ الْمُشْتَكِي عَلَى إِخْوَتِنَا، الَّذِي كَانَ يَشْتَكِي عَلَيْهِمْ أَمَامَ إِلهِنَا نَهَارًا وَلَيْلًا"** (رؤيا 12: 9 و10).

دخلت روح المشتكي إلى قلب آدم وأدان ابن الله ووجَّه له اللوم والإتهام لأنه خلق[16] حواء التي أغرته وأوقعته في التجربة. لقد دخلت روح الدينونة والاشتكاء إلى العالم بواسطة آدم. لم يطلب آدم من الله أن يغفر له، فهو لم يعتقد أن خطيته يمكنها أن تُغتَفر. وعلى عكس نوح، فآدم لم يجد حتى هذه اللحظة النعمة في عيني الله (تكوين 6: 8). لقد كان آدم مملوءًا بالاشتكاء والشك وعدم الإيمان (روح الشيطان)، بدلاً من روح التوبة والإيمان (روح المسيح). يعبّر

[16] خلق الله كل الأشياء بالمسيح يسوع (أفسس 3: 9).

الرسول بولس عن هذه الحقيقة العميقة في الآية التالية:

"وَلَيْسَ كَمَا بِوَاحِدٍ قَدْ أَخْطَأَ هكَذَا الْعَطِيَّةُ. **لأَنَّ الْحُكْمَ مِنْ وَاحِدٍ لِلدَّيْنُونَةِ**، وَأَمَّا الْهِبَةُ فَمِنْ جَرَّى خَطَايَا كَثِيرَةٍ لِلتَّبْرِيرِ" (رومية 5: 16).

يجب أن نمعن النظر في هذا النص لأن الكثير من الناس يعتقدون أن الله يدين آدم في هذا العدد.

"الدينونة أو الحكم أو العقوبة المعلنة. تعبر الكلمة بشكل صحيح عن العقوبة التي يصدرها القاضي. **وهنا يقصد منها الحكم الذي أصدره الله على آدم، بصفته قاضٍ، بسبب الجرم الأوحد الذي اقترفه وأدى إلى هلاك نفسه وذريته"** (تكوين 2: 17 وتكوين 3: 17 – 19 – تفسير ألبرت بارنس).

والعديد من نسخ الكتاب المقدس تبدو وكأنها تدعم الفكرة القائلة بأن الله يدين آدم ويعاقبه.

"ثم إن أثر خطيئة إنسان واحد ليس كأثر الهبة! **فإن الحكم من جراء معصية واحدة يؤدي إلى الدينونة.** وأما فعل النعمة، من جراء معاص كثيرة، فيؤدي إلى التبرير" (رومية 5: 16 – الترجمة التفسيرية).

"وليست الهبة كمثل ما جرت من العواقب خطيئة إنسان واحد. **فالحكم على أثر خطيئة إنسان واحد أفضى إلى الإدانة**، والهبة على أثر زلات كثيرة أفضت إلى التبرير" (رومية 5: 16 – الترجمة اليسوعية).

تشير هذه الترجمات إلى أن معصية آدم جلبت عليه إدانة الله. إلا أننا سبق وأشرنا إلى أن يسوع أخبرنا أن الآب لا يدين أحدًا في يوحنا 5: 22، لذلك ففعل الإدانة هذا لا يمكن أن يكون حقيقيًا. تأمل مثلاً في الاقتباس التالي من ترجمة يونغ الحرفية للكتاب المقدس:

and not as through one who did sin *is* the free gift, **for the judgment indeed *is* of one to condemnation,** but the gift *is* of many offences to a declaration of ‘Righteous,’ Romans 5:16 (YLT)

نلاحظ من هذه الترجمة أن الحكم هو من واحد للدينونة. الكلمة اليونانية المترجمة هنا إلى "مِنْ" هي "إيك" والتي تعني:

"حرف جر أولي يشير إلى الأصل (النقطة التي تبدأ منها الحركة أو الفعل)" – قاموس سترونغ

فآدم هو النقطة البشرية الأصلية للحكم والدينونة.

وهذا مفاده أن الحكم خرج من آدم إلى الدينونة. فآدم هو النقطة البشرية الأصلية للحكم والدينونة. أما المسيح على نقيض ذلك فقد قدَّم عطية مجانية متمثلة في تبريره وذلك مقابل معاص كثيرة. فالمسيح هو عكس آدم، فهو يمنح النعمة والتبرير مجانًا بينما آدم يعطي الحكم والدينونة. لم يفهم معظم العالم المسيحي هذا النص فهمًا صحيحًا.

في بداية الأصحاح الخامس من رسالة رومية نرى نفس المشكلة المتعلقة بمن هو الذي يقوم بفعل الإدانة.

> "وَلكِنَّ **اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا**، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا. فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُتَبَرِّرُونَ الآنَ بِدَمِهِ **نَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْغَضَبِ!**" (رومية 5: 8 و9).

نَخلُصُ به من غضب مَنْ؟ دعونا ننظر إلى بعض الترجمات: [17]

> "ومادمنا الآن قد تبررنا بدمه، فكم بالأحرى نخلص به *من غضب الله*!" (رومية 5: 9 – النسخة القياسية الأمريكية الجديدة).

> "فما أحرانا اليوم، وقد بررنا بدمه، أن ننجو به من غضب الله!" (رومية 5: 9 – النسخة العالمية الجديدة).

أضاف المترجم عبارة "من غضب الله" في النسخة القياسية الأمريكية الجديدة، والمسؤولون عن هذه النسخة يعترفون بذلك إذ يكتبون هذه العبارة بالخط المائل، أما في النسخة العالمية الجديدة وغيرها من الترجمات فهذه العبارة تُكتَب كما هي بدون أي تغيير. إلا أن الأصل اليوناني لا يحتوي على كلمة "الله" على الإطلاق. فلو كان غضب الله هو المقصود في العدد التاسع، فذلك يؤدي إلى تشويش المعنى المقصود في العدد الثامن الذي يبيّن فيه الله محبته لنا. فهل يمكنك إظهار المحبة والغضب تجاه شخص ما في نفس الوقت؟ هل يمكن أن تكون لديك الرغبة في تخليص إنسان وقتله في نفس الوقت؟

نسخة الملك جيمس ونسخة الملك جيمس الجديدة يترجمان هذا النص بشكل صحيح. فهاتان النسختان ببساطة تقولان أننا نخلص من الغضب. غضب مَنْ الذي نخلص منه؟ الآية 10 تخبرنا أننا كنا أعداء مع الله. وبعد ذلك بسبعة أعداد، وتحديدًا في رومية 5: 16 سابقة الذكر، تخبرنا أن الدينونة من آدم خرجت. لذلك فإننا بالمسيح نخلص من الدينونة التي ورثناها عن آدم.

---

[17] هذه النسخ متاحة باللغة الإنجليزية، لكنها لم تُترجَم إلى اللغة العربية.

في هذا السياق يصبح النص الشهير الوارد في رومية 8: 1 أكثر منطقية.

"إِذًا لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ" (رومية 8: 1).

لا يمكن أن تكون هناك دينونة عندما تكون ممتلئًا بروح المسيح لأن المسيح لا يدين أحدًا. عندما تمتلئ بروحه، حينئذ لن تدين أحدًا. هذا ما علمنا إياه الرب يسوع.

"لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا" (متى 7: 1).

يعتقد معظم الناس أننا لا نُدان عندما نكون في المسيح لأن يسوع يحمينا من دينونة الله. هذه فكرة فظيعة ومخيفة عن صفات الله، وهي فكرة كاذبة، لأن يسوع أخبرنا أن الآب لا يدين أحدًا.

عندما نكون في المسيح تتركنا روح الدينونة ويحل محلها روح الآب وابنه – روح لا يدين الآخرين ولذلك نتوقف نحن أيضًا عن إدانة الآخرين.

عندما نكون في المسيح تتركنا روح الدينونة ويحل محلها روح الآب وابنه – روح لا يدين الآخرين فنتوقف نحن أيضًا عن إدانة الآخرين.

هل يمكنك أن ترى أن آدم هو مَنْ حكم على ابن الله وأدانه من البدء، ولأن الدينونة تسبق القتل، فقد ذُبِح الحمل منذ تأسيس العالم؟

عندما نظن أن رومية 5: 16 تقول أن الله كان يوجِّه الإدانة والدينونة لآدم، فإننا نُظهِر أن طريقة تفكيرنا تشبه تمامًا طريقة تفكير آدم، فنظن أن الله هو الشخص الذي يدين في حين أننا نحن في الواقع مَنْ ندين. نُلقي بتفكيرنا على الله ونظن أنه مثلنا.

"هذِهِ صَنَعْتَ وَسَكَتُّ. ظَنَنْتَ أَنِّي مِثْلُكَ. أُوَبِّخُكَ، وَأَصُفُّ خَطَايَاكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ" (مزمور 50: 21).

5. الأفكار والتصورات ... إلقاء اللوم على الآخرين ... والحقيقة

كنت أقرأ مؤخرًا تعليقات الناس بعد أن كتبت في محرك البحث الكلمات التالية: "أنت لست ذات الشخص الذي حسبته". قرأت عددًا من القصص لأشخاص يعبرون عن غضبهم وحزنهم وخيبة أملهم عندما يكتشفون أن الشخص الذي كانوا في علاقة معه لم يكن هو في الحقيقة الشخص الذي يعرفونه. كانت تصوراتهم مختلفة عن الواقع اختلافًا كاملاً.

غالبًا ما يتم تفسير المناسبات التي تؤدي إلى وقوع شخصين في الحب بشكل مختلف تمامًا من قبل الطرفين. والابتسامات والهدايا واللمسات التي عادةً ما تفهمها المرأة على أنها تعني أن الشخص الذي تحبه يهتم بها يمكنها أن تعني شيئًا آخر. للأسف، غالبًا ما تكون هذه المناسبات هي الأوقات التي يكون فيها الرجل على استعداد للقيام بهذه الأشياء للحصول على ما يريد. والعكس يمكنه أن يحدث أيضًا بالطبع، فهناك احتمال من حدوث تلاعب في أي علاقة في عالمنا.

كثيرًا ما تحدث هذه الأشياء عندما نتسرع في الاقتراب من شخص ما قبل توافر الوقت للتعرف أكثر على شخصيته وصفاته.

أثناء قراءتي للقصص، صادفت قصة مختلفة تتحدث عن بعض التحديات التي يواجهها أبونا الذي في السماء في التعامل مع الجنس البشري:

أتوجه بهذه الكلمات لضابط الشرطة الذي أخذني بسيارته للمستشفى

> شعرت بخوف شديد أنك ستصرخ في وجهي وتوبخني وتخبرني أنني أنانية وجبانة لأنني أحاول قتل نفسي. إلا أنك، بدلاً من ذلك، سمحت لي بالجلوس في المقعد الأمامي أثناء قيادتك للسيارة وسألتني إذا كنت أحب الموسيقى القادمة من راديو السيارة. لقد تظاهرت بأنك لا تراني أبكي". [18]

عندما اقترب ضابط الشرطة من هذه السيدة، ظنت أنه سيدينها وأنه سيعاقبها على أفعالها. في هذه القصة تخلت هذه السيدة عن تصورها وفكرتها الأصلية عن الشرطي وبدأت تفسر أفعاله على أنها أفعال متسمة بالاهتمام والشفقة.

لقد كان من الممكن أن تكون لهذه القصة نهاية مختلفة. فحينما طلب منها الشرطي ركوب السيارة، لربما ظنت أنه يرغب في معاقبتها وفضحها بسبب ما كانت تحاول فعله. ولربما صرخت في وجه الشرطي تطلب منه أن يتركها وشأنها. وكل أفعالها كانت ستعتمد على

[18] www.reddit.com/r/UnsentLetters/comments/gg2lps/to_the_police_officer_who_drove_me_to_the/

الطريقة التي كانت تنظر بها إلى الشرطي، ولكان لتصورها تأثيرًا كبيرًا على ما حدث بالفعل.

ماذا لو عادت هذه السيدة إلى منزلها وأخبرت ابنتها عن هذا "الشرطي الفظيع" الذي حاول إيذاءها، وأعطتها فكرة معينة عن الشرطة؟ تصير هذه الفكرة متوارثة وتنتقل إلى الأجيال التالية وهكذا تستمر هذه الفكرة الخاطئة.

عندما أكل آدم من ثمرة الشجرة، فعل ذلك تحت الاعتقاد الخاطئ بأن الله سيقتل زوجته بسبب إثمها. لقد فهم الكلمات التي قالها الله: "وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ" على أنها تعني أن الله سيقتلهما (تكوين 2: 17).

المعنى الحقيقي للكلمات العبرية هو "موتًا تموتا". عندما اقتبست حواء الكلمات التي نطق بها الله أثناء حديثها مع الحيَّة، قامت بتغيير المعنى قليلاً فقالت أننا إذا أكلنا من ثمر الشجرة أننا لا بد أن نموت (تكوين 3: 3). هذا الاعتقاد (التصور) هو الذي قاد آدم للاستنتاج أن الله يريد قتل زوجته. فبتمرد أكل من ثمر الشجرة وقرر مواجهة العواقب والنتائج المترتبة على ذلك.

لم يكن آدم هو الذي انخدع (بمكر الشيطان)، بل المرأة (حواء) انخدعت. لقد كانت أعماله في تحدٍ مباشر لله بناء على الأفكار الخاطئة التي كانت لديه عن صفات الله. لم ينتظر آدم أن يتحدث إلى الله ليطلب منه الإرشاد بشأن ما يتوجب عليه فعله. لكنه أمسك بزمام الأمور وحكم على الوضع، وأصدر حكمه بأن الله يريد إدانتهما، إلا أن آدم في الواقع هو الذي أدان الله. لقد ألقى باللوم والمسؤولية على الله وأسقط ما كان يتصوره عليه. إلا أن أفكاره وتصوراته لم تكن حقيقية.

ظن آدم أن الله كائنًا يحكم ويدين ويعاقب. لقد اعتقد ذلك لأن هذا هو ما فعله في عقله تجاه الله.

1. لقد حَكَمَ على الله بصفته غير عادل.
2. وحَكَمَ على الله بأنه مستوجب الموت.

إن آدم بتصوره لهذه الأشياء عن الله، فذلك ببساطة يعني أنه عندما رأى الله، فالأشياء التي كان يرغب في فعلها تجاه الله، اعتقد وتصوَّر أن الله سيفعل هذه الأشياء به. يقودنا هذا إلى مبدأ هام.

تعمل التصورات والأفكار الخاطئة للأشخاص البارزين في حياتنا كمرآة عندما نكون في محضرهم ونتعامل معهم.

لقد أدى تصور آدم الخاطئ لصفات الله إلى إحداث تمرد في عقله، وقد تطور هذا التمرد وتحول لرغبة غير محسوسة لقتل ابن الله. لذلك، عندما جاء ابن الله إلى آدم في الجنة، خاف

آدم من الشيء الذي تصوَّر فعله بابن الله. لقد أبغض آدم ابن الله وأدانه بسبب الوضع الذي كان فيه وأراد الموت للمسيح، ولذلك كان (أي آدم) يخشى من أن يبغضه ابن الله ويدينه ويرغب في قتله. من المهم جدًا أن نستوعب هذه الفكرة حتى يتسنى لنا فهم الحاجة إلى الدينونة ومعناها.

ونرى تجلي هذا المبدأ في قايين. فبعد قيام قايين بقتل أخيه، خاف عندها من أن يريد الآخرون في قتله.

> "إِنَّكَ قَدْ طَرَدْتَنِي الْيَوْمَ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، وَمِنْ وَجْهِكَ أَخْتَفِي وَأَكُونُ تَائِهًا وَهَارِبًا فِي الأَرْضِ، فَيَكُونُ **كُلُّ مَنْ وَجَدَنِي يَقْتُلُنِي**" (تكوين 4: 14).

يُسمى هذا في علم النفس بالإسقاط النفسي وتعريفه هو كما يلي:

> "حيلة دفاعية من الحيل النفسية اللاشعورية، وعملية هجوم يحمي الفرد بها نفسه بإلصاق عيوبه ونقائصه ورغباته المحرمة أو المستهجنة بالاخرين، كما أنها عملية يقوم فيها الإنسان بإلقاء اللوم على الآخرين بسبب الفشل الذي يواجهه والعقبات التي يضعها أمامه الآخرون والزلات أو الأخطاء التي يوقعونه فيها".[19]

عندما اقترب ابن الله من آدم وهو في الجنة، كان قلب آدم ممتلئًا بالحكم والدينونة والموت تجاهه، فألقى آدم بتفكيره على ابن الله وبالتالي على الله نفسه من أجل الدفاع عن نفسه. لم يكن آدم على وعي أو إدراك بالدوافع التي كانت بداخله، بل أنكر وجودها وأسندها ونسبها إلى الله.

كيف يمكن الوصول إلى آدم؟ وكيف يمكن مساعدته على فهم أفكاره الطبيعية ومشاعره تجاه ابن الله وبالتالي أبيه؟

لقد ورَّث آدم، بصفته المؤسس البشري لإدانة الآخرين، هذه الروح إلى أبنائه، وأبناؤه ورَّثوها لأبنائهم. وهكذا أصبحت روح الدينونة والإدانة تُمارس من قبل البشر أجمعين، فأخطأ الجميع بسببها، وتقود روح الدينونة والإدانة هذه إلى كل أنواع الشر الموجود في العالم.

ما هي العملية المطلوبة حتى يتعرف آدم على حالته الحقيقية، وحتى تنكشف له رحمة وغفران الله الذي كان على أتم الاستعداد للعفو عن بلا مال أو ثمن؟ (إشعياء 55: 1). كيف يمكن للبشر أن يشفوا من أفكارهم الخاطئة المتأصلة فيهم عن الله؟

---

[19] Ar.wikipedia.org/wiki/إسقاط_نفسي

6. مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ

هل سبق لك أن حملت أنواعًا مختلفة من البذور في يدك؟ هل يمكنك معرفة نوع الثمرة التي ستنتجها كل بذرة من هذه البذور؟ يتطلب الأمر عينًا مدربة للتمكن من تحديد الثمرة التي ستنتجها كل بذرة من هذه البذور. فإذا لم تكن لدينا معرفة مسبقة بما هو موجود في البذرة، يتعيّن علينا غرسها في التربة وسقيها بالماء ومراقبتها وهي تنمو حتى يتسنى لنا معرفة ما يوجد في البذرة. وعندما تخرج الزهرة أو الثمرة منها، حينئذ نستطيع أن نتعرَّف على ثمارها ونتذوق تأثيرها ونحدد ما إذا كانت جيدة أو سيئة (متى 7: 16 – 20).

إن البذرة الشريرة في آدم كانت بحاجة للنمو، وقد كان هو بحاجة لتذوق ثمارها الروحية حتى يتمكن من تمييز هويتها وصفاتها ومعرفة ما إذا كانت هذه البذرة جيدة أم شريرة.

"وَقَالَ لآدَمَ: لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلًا: لاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، **مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ**. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ" (تكوين 3: 17 – 19).

إن اللعنة التي حلَّت على الأرض لم تأت من الله، فقد كانت هذه اللعنة كائنة وموجودة في قلب آدم ودخلت إلى الأرض بصفته السيّد المتسلط على الأرض. لكن آدم لم يكن على دراية بامتلاء قلبه باللعنات.

عندما كان الشيطان يتجادل مع الله حول صفات أيوب، شعر باليقين من قدرته على إخراج هذه اللعنة من أيوب. هذه هي الكلمات التي قالها الشيطان لله:

"أَلَيْسَ أَنَّكَ سَيَّجْتَ حَوْلَهُ وَحَوْلَ بَيْتِهِ وَحَوْلَ كُلِّ مَا لَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؟ بَارَكْتَ أَعْمَالَ يَدَيْهِ فَانْتَشَرَتْ مَوَاشِيهِ فِي الأَرْضِ. وَلكِنِ ابْسِطْ يَدَكَ الآنَ وَمَسَّ كُلَّ مَا لَهُ، فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ" (أيوب 1: 10 و11).

بارك الله أيوب بركة عظيمة، وكان الشيطان يأمل أنه عندما تحل المصائب على أيوب أنه سيستطيع أن يُخرِج منه اللعنة التي ورثها (أي أيوب) عن آدم. إلا أننا نجد أن اللعنة خرجت من شفتي زوجة أيوب على الرغم من فقدان أيوب لكل شيء، بما في ذلك أبنائه.

"فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَنْتَ مُتَمَسِّكٌ بَعْدُ بِكَمَالِكَ؟ بَارِكِ اللهِ وَمُتْ!" (أيوب 2: 9).

وقد قدم الرسول بولس وصفًا واضحًا وصريحًا للحالة البشرية إذ قال:

"كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلاَ وَاحِدٌ. لَيْسَ مَنْ يَفْهَمُ. لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ اللهَ. الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ. حَنْجَرَتُهُمْ قَبْرٌ

مَفْتُوحٌ. بِأَلْسِنَتِهِمْ قَدْ مَكَرُوا. سِمُّ الأَصْلاَلِ تَحْتَ شِفَاهِهِمْ. **وَفَمُهُمْ مَمْلُوءٌ لَعْنَةً وَمَرَارَةً**" (رومية 3: 10 – 14).

كان الله على دراية بأن اللعنة والمرارة التي في قلب آدم ستظهر في البذار التي قام بزرعها، سواء كانت هذه البذار كلماته أو ذريته أو بذار الطبيعة والنباتات. فكل هذا سيؤدي إلى ظهور اللعنة التي في قلبه تجاه الله. والله من محبته لآدم منحه الوقت ليرى آثار البذرة التي كانت فيه. وكان على روح الله أن يسكن مع آدم ويتحمل لعناته ومرارته اليومية لإبقائه على قيد الحياة لفترة كافية حتى يتمكن من فهم البذرة التي كانت بداخله.

زَرَعَ آدم، الذي صُنِع من تراب الأرض، بذرةً في زوجته، التي صُنِعت من ضلعة من أضلاعه. ومن أمنا الأرض خرج قايين على صورة أبيه آدم وأمه حواء. وعندما دافع آدم عن نفسه وأخبر الله أن المرأة التي خلقها هي التي تسببت في المشكلة، لعن آدم بذلك الأرض والسماء. لُعِنت الأرض التي صُنِعت منها حواء بواسطة آدم. والمرأة الأرضية سيخرج منها نسل آدم وستظهر النتائج.

عندما نظر آدم إلى منظر ابنه هابيل ملطخًا بالدماء، شهد برعب ثمرة اللعنة التي كانت فيه. لقد نمت في قايين بذرة أبيه، فقد وجَّه اللوم والإتهام والإدانة لله، وقد أظهر هذه الروح بالحكم على أخيه هابيل وإدانته وقتله. لقد كان بمقدور آدم الآن تذوق ثمر البذرة التي زرعها.

فهل سيتمكن آدم من رؤية ثمار بذرته الشريرة الضخمة الناجمة عن هذا الفعل؟ أم أنه سيستمر في ترك هذا الشر ينمو ويكبر بتوجيه أصابع اللوم والإتهام والإدانة لقايين بسبب شره؟

لقد كان كل ذي جسد في الجنة يعيش تحت لعنة آدم. ولم يوجد مكان في الجنة لم يسمع فيه صوته. في كل الجنة خرج مَنطِقه (صوته)، وإلى أقصاها كلماته (راجع مزمور 19: 3 و4). وتحت تأثير الكلام الصادر من آدم، اصطدمت الموجات الصوتية الخارجة من فمه بالمخلوقات سريعة العطب التي كان من المفترض أن تستقبل صوت البركة.

"إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أُبَارِكَ. فَإِنَّهُ قَدْ بَارَكَ فَلاَ أَرُدُّهُ" (سفر العدد 23: 20).

وقبل فترة طويلة من قيام قايين بإدانة أخيه هابيل وقتله، كشف الله لآدم انعكاسًا آخر للعنة التي كانت فيه. ففي رمز اللعنة التي حلَّت على شجرة التين، أوضح المسيح للتلاميذ اللعنة التي حلَّت على الأمة اليهودية والتي اختاروها بأنفسهم والتي كانت ستؤدي إلى هلاكهم ما لم يتوبوا. ومثلما استخدم المسيح اللعنة الحالة على شجرة التين لتلقين سامعيه درسًا، استخدم الله رمز الحمل المذبوح ليكشف عن اللعنة التي اختارها آدم لنفسه والتي كانت ستؤدي إلى هلاكه ما لم يتوب.

"وَصَنَعَ الرَّبُّ الإِلهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا" (تكوين 3: 21).

لقد جاءت هذه الأقمصة التي وفَّرها الله لآدم وحواء على حساب حياة حيوان بريء. ونعلم بعد فترة وجيزة من وقوع هذا الحدث أن هابيل قدَّم ذبيحةً للرب من أبكار غنمه ومن سِمانها. وقد تعرَّف هابيل على النظام المتعلق بتقديم الذبائح من أبيه. كشف الله لآدم ما كان يفعله بابنه عندما شرح له طريقة ذبح الحمل.

"بِذَبِيحَةٍ وَتَقْدِمَةٍ لَمْ تُسَرَّ. أُذُنَيَّ فَتَحْتَ. مُحْرَقَةً وَذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ لَمْ تَطْلُبْ" (مزمور 40: 6).

"لأَنِّي لَمْ أُكَلِّمْ آبَاءَكُمْ وَلاَ أَوْصَيْتُهُمْ يَوْمَ أَخْرَجْتُهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ جِهَةِ مُحْرَقَةٍ وَذَبِيحَةٍ. بَلْ إِنَّمَا أَوْصَيْتُهُمْ بِهذَا الأَمْرِ قَائِلًا: اسْمَعُوا صَوْتِي فَأَكُونَ لَكُمْ إِلهًا، وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي شَعْبًا، وَسِيرُوا فِي كُلِّ الطَّرِيقِ الَّذِي أُوصِيكُمْ بِهِ لِيُحْسَنَ إِلَيْكُمْ" (إرميا 7: 22 و23).

لم يطلب الله هذه التقدمة لإرضائه، فالله في رحمته أظهر لآدم ما في قلبه، وبذلك أعطاه الفرصة لأن يتوب.

لم يطلب الله هذه التقدمة لإرضائه، فالله في رحمته أظهر لآدم ما في قلبه، وبذلك أعطاه الفرصة لأن يتوب. وفي الحمل المذبوح، استطاع آدم أن يرى ثمرة دينونته، فقد كانت النتيجة هي الموت، والأسوأ من ذلك هو موت البريء.

البذرة التي كانت في قلب آدم تجلت في موت الحمل. فقد تجلت في موت الحمل الرغبة الخفية الموجودة في قلب آدم، ألا وهي الرغبة في توجيه اللوم والحكم والدينونة على ابن الله وقتله.

7. هُوَذَا الإِنْسَانُ!

عندما خرجت هيئة ابن الله الملطَّخة بالدماء وتراءت أمام الشعب بعد تعرضه للجلد والاستهزاء والضرب والتعذيب، لم يوجه بيلاطس كلامه للمجتمعين ذلك اليوم في أورشليم فحسب بل لكل البشرية: هوذا الإنسان (يوحنا 19: 5).

عندما نرى ابن الله الحبيب، يقف بنبل أمام المشتكين عليه وهم يصرخون من أجل موته، نعرف الطبيعة الحقيقية لجسدنا. في المسيح يسوع ومحاكمته والدينونة والموت الذي اختبره نرى البذرة الشريرة التي زرعها الشيطان في آدم تتجلى بشكل كامل.

إن المسيح باعتباره ابن آدم ومولودًا من امرأة (غلاطية 4:4) ومصنوعًا من الأرض، لُعِنَ من أجلنا حتى نتمكن من تمييز الطبيعة الحقيقية للشر الكائن بداخلنا. بهذه المعرفة يريد الله منا أن نتوب عن خطايانا وعدم ثقتنا به، ونؤمن بدلاً من ذلك أن نواياه تجاهنا هي نوايا حسنة. سنعرف ما الذي نصلي من أجله ونؤمن أن رحمته ستُمنَح دائمًا لمن يطلبونها منه.

كان الله في المسيح مصالحًا العالم لنفسه (كورنثوس الثانية 5: 19). مثلما سمح الله لآدم أن يقتل الحمل البريء كإنذار لما كان في قلب الإنسان، أسلم أيضًا ابنه من أجلنا، حتى نتعرَّف على حالتنا الحقيقية ونتوب عنها.

عندما يقترب الناس من الصليب وهم في حالتهم الساقطة، فإنهم يشعرون بالرضى والارتياح عندما يرون بفكرهم المُظلِم العدل الإلهي ودينونة خطاياهم.

> "اَلرَّبُّ قَدْ مَلَكَ، فَلْتَبْتَهِجِ الأَرْضُ، وَلْتَفْرَحِ الْجَزَائِرُ الْكَثِيرَةُ. السَّحَابُ وَالضَّبَابُ حَوْلَهُ. الْعَدْلُ وَالْحَقُّ قَاعِدَةُ كُرْسِيِّهِ. قُدَّامَهُ تَذْهَبُ نَارٌ وَتُحْرِقُ أَعْدَاءَهُ حَوْلَهُ" (مزمور 97: 1 – 3).

> "اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ **لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا،** لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ»" (غلاطية 3: 13).

شريعة الله ينبوع حياة للحكيم (أمثال 13: 14)، لكن هذه الشريعة عينها تجلب لعنة على المملوئين باللعنة والمرارة.

> "إِذًا النَّامُوسُ مُقَدَّسٌ، وَالْوَصِيَّةُ مُقَدَّسَةٌ وَعَادِلَةٌ وَصَالِحَةٌ. فَهَلْ صَارَ لِي الصَّالِحُ مَوْتًا؟ حَاشَا! بَلِ الْخَطِيَّةُ. لِكَيْ تَظْهَرَ خَطِيَّةً مُنْشِئَةً لِي بِالصَّالِحِ مَوْتًا، لِكَيْ تَصِيرَ الْخَطِيَّةُ خَاطِئَةً جِدًّا بِالْوَصِيَّةِ" (رومية 7: 12 و13).

آدم هو الذي احتضن ناموس الخطية والموت الذي كان يتطلب الدينونة والموت عن الإثم. قام آدم في خداعه الذاتي بإسقاط هذه الشريعة على الله واعتقد أنها شريعة الله.

"هَلْ يُعَاهِدُكَ كُرْسِيُّ الْمَفَاسِدِ، الْمُخْتَلِقُ إِثْمًا عَلَى فَرِيضَةٍ؟" (مزمور 94: 20).

يقرأ الإنسان الطبيعي كل الأشياء من منظور الدينونة والموت الذي عند آدم. لذلك، يُنظَر إلى صليب المسيح باعتباره دينونة من الله وأمرًا منه بالموت وضعه على ابنه كبديل لآثامنا. كان الله على استعداد لملاقاتنا في ميدان فهمنا لإقناعنا برحمته الأبدية وغفرانه، على أمل أن نخرج من الظلام ونرى أنه لا يديننا، بل أننا نحن مَنْ أسقطنا الدينونة على أنفسنا وحكمنا على أنفسنا بأننا مستوجبون الموت بسبب خطايانا. يتضح هذا من حقيقة الدينونة التي نلقيها على الآخرين ورغبتنا في حلول العقاب عليهم.

في الدينونة والموت الذي اختبره يسوع نتعرف على طبيعة جسدنا الحقيقية واللعنة الكامنة بشكل طبيعي في هيئتنا الأرضية. هكذا يحل البشر مشاكلهم، بالمحاكمة والدينونة والعقاب.

لو تعلَّمت البشرية حقًا درس الصليب، الذي أظهر فسادنا البشري الحقيقي، لربما شهدنا تاريخًا مختلفًا تمامًا في الألفي سنة الماضية. إلا أن بذرة الحق التي تجلَّت في المسيح قبل 2000 عام مكتوب عليها أن تواجه مرة أخرى الحكم والدينونة والموت كجزء من الرفض الأخير لابن الله في شعبه ورسالته من قبل الغالبية العظمى من البشر.

سوف نقوم بدراسة أبعاد هذه العملية الخاصة بالحكم والدينونة، واعتقادنا الخاطئ أن هذا هو حكم الله ودينونته بينما في الواقع هو حكمنا الذي نحكم به على الآخرين ونُسقِطه على الله (أي نتهم الله بأنه هو المسؤول عن ذلك).

مثلما أسلم الله ابنه ليُظهر حقيقتنا وصفاتنا في قصة الصليب، فإن الله على استعداد أيضًا للتضحية بسمعته حتى يُنَظر إليه على أنه قاضي يحب الإدانة لكي نرى نحن أنفسنا في هذه العملية ونتوب عن أفكارنا وتصوراتنا الوهمية تجاهه.

8. الحكم على الآب

"وَقَالَ: إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ ابْنَانِ. فَقَالَ أَصْغَرُهُمَا لأَبِيهِ: يَا أَبِي أَعْطِنِي الْقِسْمَ الَّذِي يُصِيبُنِي مِنَ الْمَالِ. فَقَسَمَ لَهُمَا مَعِيشَتَهُ. وَبَعْدَ أَيَّامٍ لَيْسَتْ بِكَثِيرَةٍ جَمَعَ الابْنُ الأَصْغَرُ كُلَّ شَيْءٍ وَسَافَرَ إِلَى كُورَةٍ بَعِيدَةٍ، وَهُنَاكَ بَذَّرَ مَالَهُ بِعَيْشٍ مُسْرِفٍ" (لوقا 15: 11 – 13).

ما حدث للأب في مثل الابن الضال هو اختبار العديد من الآباء. فعن طريق الاحتكاك بأقرانهم، يبدأ الأبناء في رؤية والديهم من منظور مختلف. والرغبة في إنقاذ أبنائنا من العديد من المخاطر تُفسَّر على أنها تقييد قمعي لحريتهم ومحاولة للتحكم فيهم. صحيح أن الكثير من الآباء يلجأون إلى أساليب التربية المتسلطة والتحكم في أبنائهم ، لكن لم يكن هذا هو الحال في القصة التي رواها يسوع.

إن الابن بطلبه الحصول على نصيبه في الميراث مقدمًا ورغبته في ترك محضر والده، يُظهِر ذلك حكم الابن على أبيه وإدانته له. فبطلبه الميراث هو في الواقع يقول: "لا أستطيع الانتظار حتى تموت. أعطني نصيبي الآن".

ونرى في القصة أن الأب لا ينتقم من الابن أو يدينه، فالآية تقول أنه قَسَمَ لهما، أي ابنيه الإثنين، معيشته. الكلمة المستخدمة باليونانية هي "بيوس" وتعني "الحياة". كان من الممكن أن ينكسر قلب الأب بسبب الحقيقة المحزنة أن ابنه الأصغر يريد أن يتركه. لقد أحب الأب أبناءه محبة عظيمة، والشيء الذي سبَّب له جرحًا عميقًا هو رغبة ابنه في مغادرة البيت، خاصة أن ابنه لم ينضج بما فيه الكفاية وأنه سيعاني كثيرًا بمفرده. لكن الأب أعطاه ما يشاء على الرغم من التكلفة الكبيرة لذلك.

لم يعبر الابن عن أي شكر على هذه العطية وبالتالي فهو لم يقدِّر الشيء المُعطى له. لذلك أنفق المال بعيش مسرف لأنه لم يقدِّر قيمته أو تكلفته. لقد انسحق قلب الأب عندما أعطى هذه الهدية لابنه، إلا أن ابنه لم يقدرها على الإطلاق.

وبعد مرور بعض الوقت، بذَر الابن الميراث المُعطى له وبدأ يعاني من العواقب المترتبة على قراراته السيئة. وعندما ساءت الأمور بشكل كبير، بدأ يفكر في العودة إلى البيت.

"فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ: كَمْ مِنْ أَجِيرٍ لأَبِي يَفْضُلُ عَنْهُ الْخُبْزُ وَأَنَا أَهْلِكُ جُوعًا! أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا. اِجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ" (لوقا 15: 17 – 19).

نستطيع من خلال هذا النص أن نفهم تفكير الابن. فهو لا يعتقد أن بإمكانه التواصل مع أبيه باعتباره ابنًا، بل يتعيّن عليه أن يتعامل مع بصفته خادم أو عبد. عندما كان الابن يعيش في

البيت ويعمل لدي الأب، حكم على أبيه بأنه سيد العبيد. شعر أن أباه كان يسعى للسيطرة عليه وتقييد حريته، لذلك أراد المغادرة.

وعندما عاد الابن إلى البيت، أظهر الأفكار التي كانت لديه عن أبيه. فلم يفكر على الإطلاق في المغفرة، لكنه لم يتخيل سوى العقاب على خطاياه. لقد أصدر هو الحكم، لكنه هذه المرة حكم على نفسه. قَبِلَ أنه لا يستطيع العيش بدون أبيه، لكنه كان يظن أنه ينبغي أن يعاقب الآن وفقًا للسيئات التي ارتكبها. وعلى الرغم من أن ظروفه قد تغيرت، إلا أن نظرته إلى أبيه ظلت كما هي بدون تغيير. لقد ظل يرى أبيه بصفته سيد العبيد.

> "فَقَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ. وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيدًا رَآهُ أَبُوهُ، فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ" (لوقا 15: 20).

لم يكن حكم الابن على أبيه حقيقيًا على الإطلاق، فالأب كان ينتظر ابنه ويصلي من أجله كل يوم. كان يشتاق لعودته. لم يدين ابنه بسبب ما فعله بل سامحه بدون حساب بسبب محبته العميقة لابنه الحبيب.

هل يمكنك أن تتخيل الرجل العجوز يجري نحو ابنه والدموع تنهمر من عينيه؟ وهل يمكنك أن تتخيله وهو يعانق ابنه الحبيب ويقبّله؟ لا غضب ولا حكم ولا دينونة. لا يوجد سوى العطف والمحبة. كيف يتعامل الابن مع تصرفات الأب وأفعاله هذه؟

> "فَقَالَ لَهُ الابْنُ: يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا" (لوقا 15: 21).

إذا سمح لنفسه بالاستقرار التام في حضن أبيه وقبول غفرانه، فسوف ينهار ويبكي مثل أبيه ويبدأ في الاعتراف بالألم الكبير الذي سببه له. إلا أن كبرياءه لا تسمح له بقبول أفعال أبيه. فنراه عوضًا عن ذلك يقول الكلمات التي تدرب عليها مسبقًا. ونجده يريد الدخول في علاقة كالعلاقة التي تربط السيّد بالعبد. فيريد استرضاء أبيه والعمل لديه لتسديد الديون الكثيرة التي كان مدينًا بها له والعيش كالعبد الأجير في بيته. لا يقبل في هذه المرحلة محبة الأب الغافرة.

> "فَقَالَ الأَبُ لِعَبِيدِهِ: أَخْرِجُوا الْحُلَّةَ الأُولَى وَأَلْبِسُوهُ، وَاجْعَلُوا خَاتَمًا فِي يَدِهِ، وَحِذَاءً فِي رِجْلَيْهِ، وَقَدِّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَاذْبَحُوهُ فَنَأْكُلَ وَنَفْرَحَ، لأَنَّ ابْنِي هذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالاًّ فَوُجِدَ. فَابْتَدَأُوا يَفْرَحُونَ" (لوقا 15: 22 – 24).

يواصل الأب إغداق محبته وحنانه على ابنه، أما الابن فيستمر في معاملة أبيه بالطريقة التي كان سيعامل بها نفسه إذا كان مكان أبيه. وها هو الآن يواجه نظام الدينونة الذي يؤمن به، وغير قادر بعد على احتضان محبة أبيه الغافرة.

تنتهي هنا قصة الابن الأصغر. فنراه جالسًا على مائدة الطعام التي أعدها الأب له، مرتديًا ثيابًا جميلة ويُرحَّب به ترحيبًا كبيرًا. قرار الابن النهائي متروك لك عزيزي القارئ. هل ستقبل أفعال الأب المُحبِة لأجلك، أم أنك ستظل عبدًا في قلبك دون أن يعلم أحدًا؟ إن أبانا السماوي لم يحكم عليك أو يدينك قط. لقد أسلم حياته من أجلك لتفعل بها كما يحلو لك. لم يدينك قط بسبب هذا. فهل ستعامله كمعاملة العبد لسيده؟ أم أنك ستتشعر بحضنه الدافئ عندما تعود إليه معترفًا بعدم قدرتك على العيش من دونه؟ وهل ستقبل بنوتك لأبيك؟

إن أبانا السماوي لم يحكم عليك أو يدينك قط. لقد أسلم حياتك من أجلك لتفعل بها كما يحلو لك. لم يدينك قط على هذا.

"وَإِنَّمَا أَقُولُ: مَا دَامَ الْوَارِثُ قَاصِرًا لاَ يَفْرِقُ شَيْئًا عَنِ الْعَبْدِ، مَعَ كَوْنِهِ صَاحِبَ الْجَمِيعِ. بَلْ هُوَ تَحْتَ أَوْصِيَاءَ وَوُكَلاَءَ إِلَى الْوَقْتِ الْمُؤَجَّلِ مِنْ أَبِيهِ. هكَذَا نَحْنُ أَيْضًا: لَمَّا كُنَّا قَاصِرِينَ، كُنَّا مُسْتَعْبَدِينَ تَحْتَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ. وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ. ثُمَّ بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخًا: «يَا أَبَا الآبُ». إِذًا لَسْتَ بَعْدُ عَبْدًا بَلِ ابْنًا، وَإِنْ كُنْتَ ابْنًا فَوَارِثٌ للهِ بِالْمَسِيحِ" (غلاطية 4: 1 – 7).

والابن الأكبر كان يعاني أيضًا من مشاكل متعلقة بالحكم والدينونة كالابن الأصغر. فنلاحظ كيف أن النظام الخاص بالعدل يوجد في الابن الأكبر، لكنه يظهر بطريقة مختلفة بسبب نوع العلاقة التي كان يتمتع بها مع أبيه.

"وَكَانَ ابْنُهُ الأَكْبَرُ فِي الْحَقْلِ. فَلَمَّا جَاءَ وَقَرُبَ مِنَ الْبَيْتِ، سَمِعَ صَوْتَ آلاَتِ طَرَبٍ وَرَقْصًا. فَدَعَا وَاحِدًا مِنَ الْغِلْمَانِ وَسَأَلَهُ: مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هذَا؟ فَقَالَ لَهُ: أَخُوكَ جَاءَ فَذَبَحَ أَبُوكَ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ، لأَنَّهُ قَبِلَهُ سَالِمًا. فَغَضِبَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَدْخُلَ. فَخَرَجَ أَبُوهُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ. فَأَجَابَ وَقَالَ لأَبِيهِ: هَا أَنَا أَخْدِمُكَ سِنِينَ هذَا عَدَدُهَا، وَقَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ، وَجَدْيًا لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ لأَفْرَحَ مَعَ أَصْدِقَائِي. وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ ابْنُكَ هذَا الَّذِي أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ الزَّوَانِي، ذَبَحْتَ لَهُ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ! فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ أَنْتَ مَعِي فِي كُلِّ حِينٍ، وَكُلُّ مَا لِي فَهُوَ لَكَ. وَلكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ وَنُسَرَّ، لأَنَّ أَخَاكَ هذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالًا فَوُجِدَ" (لوقا 15: 25 – 32).

حَكمَ الابن الأكبر على الأب بأنه قاس وغير عادل. كان يخدم أبيه كعبد وليس كابن. وعندما أغدق الأب محبته على ابنه الأصغر، وجَّه الابن الأكبر اللوم والدينونة إليه واعتبره مسرفًا وغير حكيم. يمثّل الابن الأكبر جزءًا كبيرًا من أتباع الكنيسة المسيحية الذين يتبعون الله كعبيد

أملاً في الحصول على مكافأة مقابل الجهود التي يقومون بها. فهم يحتقرون أولئك الذين يذهبون إلى العالم ويفسدون حياتهم مع الزواني وفاعلي الشر. يرتاحون عندما يدينون مَنْ هم في العالم ويقارنون حياتهم الجيدة مع مَنْ هم في الخارج ولن يقبلوهم بمحبة ويسامحونهم على حياتهم الدنيوية. مَنْ مِن الإثنين كان ضياعه أشدّ: الابن الأصغر أم الابن الأكبر؟ الابن الأصغر كان على دراية بكونه ضالاً لكن الابن الأكبر لم يكن على دراية بذلك.

في كلتا الحالتين، حكم الابنان على الأب بأنه سيد العبيد. في كلتا الحالتين لم ير الابنان أي مكان للرحمة. وتوسل الأب للابنين وتضرَّع لهما كي يقبلا محبته وأن يكتفيا بهذه المحبة. كلا الابنين احتاجا إلى إعلان حقيقي عن صفات الأب لتغيير أفكار الحكم والدينونة التي كانت لديهما والتي ورثاها عن آدم.

9. إعلان الآب

كما ذكرنا سابقًا، تخبرنا رومية 5: 16 أن الحكم الذي يؤدي إلى الدينونة نشأ من آدم. لذلك، نرى أن الموت دخل إلى العالم بواسطة رجل واحد.

"مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ" (رومية 5: 12).

الخطية التي ارتكبها آدم كانت تتمثل في الحكم بدينونة. وهذا لا يتوافق على الإطلاق مع صفات الله. فالحكم بدينونة يقود الناس إلى الحكم على الآخرين بالموت. هكذا دخل الموت إلى العالم.

"لاَ يَذُمَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ. الَّذِي يَذُمُّ أَخَاهُ وَيَدِينُ أَخَاهُ يَذُمُّ النَّامُوسَ وَيَدِينُ النَّامُوسَ. وَإِنْ كُنْتَ تَدِينُ النَّامُوسَ، فَلَسْتَ عَامِلًا بِالنَّامُوسِ، بَلْ دَيَّانًا لَهُ" (يعقوب 4: 11).

بهذا الفكر الساقط، يُسقِط البشر صفاتهم على الله ويرونه بطريقة غير صحيحة.

"هذِهِ صَنَعْتَ وَسَكَتُّ. **ظَنَنْتَ أَنِّي مِثْلُكَ.** أُوَبِّخُكَ، وَأَصُفُّ خَطَايَاكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ" (مزمور 50: 21).

لتصحيح أفكار الإنسان الخاطئة عن الله، أرسل أبونا السماوي ابنه إلى العالم ليرينا صفات الآب الحقيقية. يخبرنا يسوع الغرض من مرسليته ومهمته.

"**أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ.** الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ" (يوحنا 17: 4).

مجَّد يسوع الآب، بمعنى أنه أعلن صفاته الحقيقية حينما كان على الأرض. وأثناء حديثه لأحد تلاميذه قال:

"أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! **اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ**، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الآبَ؟" (يوحنا 14: 9).

قال يسوع لفيلبس أن صفات الآب هي نفسها الصفات التي رآها فيلبس فيه. فلكي يتصالح الناس مع الله، لا بد أن يعرفوا ما هي صفاته. بدون استعلان يسوع للعالم لما عرفنا الآب معرفة حقيقية، ولظننا أنه يحكم ويدين مثلنا.

"لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ. **لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ**، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ" (يوحنا 3: 16 و17).

لم يُرسِل الله يسوع إلى العالم ليدينه لأن الله لا يدين أحدًا. لقد أرسل ابنه ليرينا ما هي صفاته وبالتالي ليخلصنا من أفكار الإدانة والدينونة التي تملأ أذهاننا بهذه المعرفة التي نحصل عليها عنه.

"لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ" (يوحنا 3: 18).

إن السبب في أن أولئك الذين يؤمنون باسم يسوع أو صفاته لا يُدانون هو لأنك عندما تتعرف على يسوع، الذي لم يحكم على أحد أو يدين أي شخص، فإنك تعلم أيضًا أن الله لا يحكم على أحد أو يدين أي شخص. أما أولئك الذين لا يؤمنون بيسوع فلا يستطيعون أن يروا حقيقة أن الله لا يدين أحدًا، ولذلك فالميراث الذي نحصل عليه جميعًا من آدم يجعل أولئك الذين لا يؤمنون يدينون الآخرين ويؤمنون خطأ أن الله يدين الخطاة بسبب خطاياهم.

ينبغي أن تؤمن بصفات يسوع وأنه لا يدين لكي تؤمن بأن الله لا يدينك. هذه الحقيقة وحدها يمكنها أن تحررنا من روح الإدانة والدينونة التي ابتليت بها حياتنا.

يعلم الكثيرون أن يسوع جاء ليموت على الصليب، وأن أولئك الذين لا يقبلون الصليب سيدينهم الله وسيهلكون في الجحيم. إذا كان هذا صحيحًا، فلا بد من القول إن الله قد أرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم. إذا كان الله سيدين ولو حتى شخصًا واحدًا لرفضه الصليب، فإن تأثير الصليب بذلك هو الدينونة من الله.

"أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. **الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ**" (يوحنا 17: 4).

كيف استطاع يسوع أن ينجز العمل الذي كلفه به الله في الليلة التي سبقت موته على الصليب؟

> "ثُمَّ قَالَ يَسُوعُ لِرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَقُوَّادِ جُنْدِ الْهَيْكَلِ وَالشُّيُوخِ الْمُقْبِلِينَ عَلَيْهِ: كَأَنَّهُ عَلَى لِصٍّ خَرَجْتُمْ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ! إِذْ كُنْتُ مَعَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ لَمْ تَمُدُّوا عَلَيَّ الأَيَادِيَ. **وَلكِنَّ هذِهِ سَاعَتُكُمْ وَسُلْطَانُ الظُّلْمَةِ**" (لوقا 22: 52 – 53).

كان صلب يسوع عملاً من أعمال الظلمة. فقد كان إتمامًا لرغبة الشيطان منذ البدء، بالإضافة إلى كونه دليلاً وتعبيرًا عما شعر به آدم تجاه ابن الله بعد سقوطه في الخطية.

يُظهر صليب المسيح للجنس البشري ما في قلوبنا، فهو يكشف عن كراهيتنا الطبيعية اللاواعية تجاه الله (رومية 8: 7). بسماحه للجنس البشري بقتل ابنه، وضعنا الله وجهًا لوجه مع الشر الموجود فينا بسبب ميراث الدينونة الذي ورثناه عن آدم.

إن محبة الله محبة لا يُسْبَرُ غَوْرُها إذ أنها تسمح لجنسنا بفعل هذا لابنه. والأكثر روعة أنه بعد معاملتنا السيئة له وتسميره على الصليب، إلا إنه لم يديننا. نجد في كلمات يسوع على الصليب رغبات الله نفسه:

"فَقَالَ يَسُوعُ: يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ ..." (لوقا 23: 34).

"أَيْ إِنَّ **اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ**، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ ..." (كورنثوس الثانية 5: 19).

يظهر لنا الصليب أن الله كان على استعداد أن يغفر لنا حتى بعد أن قتلنا ابنه. وقد أعلن المسيح للكون كله على الرغم من ذلك أن الله رفض إدانتنا وقدَّم لنا الرحمة مجانًا.

"سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: **أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ**، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ" (متى 5: 43 – 45).

إن أبانا يحب أولئك الذين يعتبرونه عدوًا، ويبارك الذين يلعنوه. وقد أظهر يسوع هذا بوضوح عندما كان على الأرض. فهو لم يدين أو يقتل أولئك الذين رفضوه بل حُكِم عليه ودين وقُتِل بواسطة ذرية آدم.

إن يسوع بسماحه لنفسه أن يُحكَم عليه ويُدان ويُقتَل كشف ما في قلوبنا، ليس لإدانتنا، بل ليمنحنا الرحمة والنعمة عندما ندرك حالتنا الشريرة للغاية.

"وَأَمَّا النَّامُوسُ فَدَخَلَ لِكَيْ تَكْثُرَ الْخَطِيَّةُ. وَلكِنْ حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدًّا" (رومية 5: 20).

> إن يسوع بسماحه لنفسه أن يُحكَم عليه ويُدان ويُقتَل كشف ما في قلوبنا، ليس لإدانتنا، بل ليمنحنا الرحمة والنعمة عندما ندرك حالتنا الشريرة للغاية.

نعلم جميعًا أن يسوع كان بريئًا من الجرائم التي أُتهم بارتكابها. كان مصدر فرح وبركة لكل من حوله. لقد شفى المرضى وأقام الموتى وبارك الأطفال وحدَّث الجميع عن محبة أبيه لهم. كما حذّر السالكين في الخطية من حوله وحثهم على التوبة والرجوع عن خطاياهم. واقترنت كلمات التوبيخ الخارجة من فمه بالمحبة والحزن على رافضي الاستماع.

من خلال حياته الكاملة نعرف ما هو المقياس الحقيقي لصفات الله التي تمثل طبيعته. فصفاته هي التي تحدد لنا الحق من الباطل. بدون قبول إعلان الآب هذا، سنشعر بالارتباك عندما نقرأ الكتاب المقدس بسبب الميل الموروث لإلقاء اللوم والإدانة على الله.

يظهر اللوم الذي وضعه آدم على الله عندما سئل عن سبب أكله من ثمر الشجرة المحرَّمة، لكل قارئ للكتاب المقدس. إن الطريقة التي نقرأ بها قصص العهد القديم تتأثر بشكل خاص

بميلنا الطبيعي لإلقاء اللوم على الآخرين وتوجيه الحكم والإدانة إليهم.

إن حياة يسوع التي تجلت على الأرض هي وحدها التي تساعدنا على قراءة قصص العهد القديم بشكل صحيح. فإذا لم نفعل ذلك، وقررنا بدلاً من ذلك رفض مجد صفات الله كما هي معلنة في شخص ابنه، فنحن بذلك نضع برقعًا على وجهنا عندما نقرأ الكتاب المقدس.

"فَإِذْ لَنَا رَجَاءٌ مِثْلُ هذَا نَسْتَعْمِلُ مُجَاهَرَةً كَثِيرَةً. وَلَيْسَ كَمَا كَانَ مُوسَى يَضَعُ بُرْقُعًا عَلَى وَجْهِهِ لِكَيْ لاَ يَنْظُرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى نِهَايَةِ الزَّائِلِ. بَلْ أُغْلِظَتْ أَذْهَانُهُمْ، **لأَنَّهُ حَتَّى الْيَوْمِ ذلِكَ الْبُرْقُعُ نَفْسُهُ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْعَهْدِ الْعَتِيقِ بَاق غَيْرُ مُنْكَشِفٍ، الَّذِي يُبْطَلُ فِي الْمَسِيحِ.** لكِنْ حَتَّى الْيَوْمِ، حِينَ يُقْرَأُ مُوسَى، الْبُرْقُعُ مَوْضُوعٌ عَلَى قَلْبِهِمْ. وَلكِنْ **عِنْدَمَا يَرْجِعُ إِلَى الرَّبِّ يُرْفَعُ الْبُرْقُعُ.** وَأَمَّا الرَّبُّ فَهُوَ الرُّوحُ، وَحَيْثُ رُوحُ الرَّبِّ هُنَاكَ حُرِّيَّةٌ. **وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ"** (كورنثوس الثانية 3: 12 – 18).

إذا كنت ترغب في معرفة الطريقة التي سيتصرف بها الله، اقرأ الأسفار الأربعة الأولى من العهد الجديد التي تتحدث عن إنجيل يسوع المسيح. فهي بمثابة أداة القياس التي تساعدنا على التعرف على صفات الله وطبيعته.

يبيّن لنا يسوع كيف أن الآب لا يدين في قصة الابنين الضالين. إلا أن الابنين هما اللذان أدانا الأب، ولكن ماذا عن النصوص التالية؟

"فَلْنَسْمَعْ خِتَامَ الأَمْرِ كُلِّهِ: اتَّقِ اللهَ وَاحْفَظْ وَصَايَاهُ، لأَنَّ هذَا هُوَ الإِنْسَانُ كُلُّهُ. **لأَنَّ اللهَ يُحْضِرُ كُلَّ عَمَل إِلَى الدَّيْنُونَةِ،** عَلَى كُلِّ خَفِيٍّ، إِنْ كَانَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا" (جامعة 12: 13 و14).

"وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطُونَ عَنْهَا حِسَابًا يَوْمَ الدِّينِ. لأَنَّكَ بِكَلاَمِكَ تَتَبَرَّرُ وَبِكَلاَمِكَ تُدَانُ" (متى 12: 36 و37).

"**لأَنَّهُ لاَبُدَّ أَنَّنَا جَمِيعًا نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ،** لِيَنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا" (كورنثوس الثانية 5: 10).

قد يكون من المغري قراءة هذه الآيات والاستنتاج بأن الله سيدين كل شيء نقوم به، ولكن كيف يمكننا التوفيق بين هذه الفكرة وما أعلنه يسوع في حياته على الأرض وما قاله لنا؟

"لأَنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَدًا، بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ" (يوحنا 5: 22).

"أَنْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ تَدِينُونَ، أَمَّا أَنَا (يسوع) فَلَسْتُ أَدِينُ أَحَدًا" (يوحنا 8: 15).

من المؤكد أنه ستكون هناك دينونة. صحيح أننا سنواجه كل ما فعلناه. السؤال هو مَنْ الذي سيدين؟ هل من الممكن أن يُحضِر الله كل شيء للدينونة دون أن يدين أحدًا؟

ستكون هناك دينونة .. هذا أمر حقيقي، ويسوع يعلن بالضبط كيف ستحدث عملية الدينونة هذه.

10. وَلاَ أَنَا أَدِينُكِ

إليك أبسط نصيحة حتى تتمكن من اجتياز الدينونة دون خوف.

"لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا، لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ، وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ" (متى 7: 1 و2).

لقد قرأت هذه الآية من قبل من خلال فهمي لشخصية سانتا. فيتوجب عليك أن تحذر لأن الله يعد قائمة بكل أعمالك وسيأتي لردها إليك. وبسبب فهمي عن الدينونة الذي ورثته عن آدم، رأيت أن هذه الآية تقول إن حكم الله ودينونته سيحلان على أولئك الذين يحكمون ويدينون. مجرد كتابة هذه الكلمات تجعلني مندهشًا لأنني لم أستطع رؤية التناقض في هذا النوع من التفكير.

فكيف يمكن لله أن يشارك في دينونة دون أن يدين أحدًا؟ دعونا نفكر في القصة التالية:

"أَمَّا يَسُوعُ فَمَضَى إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ. ثُمَّ حَضَرَ أَيْضًا إِلَى الْهَيْكَلِ فِي الصُّبْحِ، وَجَاءَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الشَّعْبِ فَجَلَسَ يُعَلِّمُهُمْ. وَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ امْرَأَةً أُمْسِكَتْ فِي زِنًا. وَلَمَّا أَقَامُوهَا فِي الْوَسْطِ قَالُوا لَهُ: يَا مُعَلِّمُ، هذِهِ الْمَرْأَةُ أُمْسِكَتْ وَهِيَ تَزْنِي فِي ذَاتِ الْفِعْلِ، وَمُوسَى فِي النَّامُوسِ أَوْصَانَا أَنَّ مِثْلَ هذِهِ تُرْجَمُ. فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ؟" (يوحنا 8: 1 – 5).

في هذه القصة نجد أن عددًا من قادة اليهود أحضروا امرأة مسكينة إلى يسوع ليحكم عليها. كلماتهم كانت تشير إلى أنهم كانوا بالفعل قد حكموا عليها وأدانوها بسبب خطية زناها. وعندما يقول الكتاب أنهم أمسكوا بها في ذات الفعل، فهذا يشير إلى أن أولئك الرجال كانت لهم علاقة بذلك الفعل ووقت حدوثه. إلا أن هذه الامرأة قد زنت، وحسب الناموس فما فعلته يعتبر خطية، وأنها تستوجب الموت كما يتضح من كتابات موسى.

"قَالُوا هذَا لِيُجَرِّبُوهُ، لِكَيْ يَكُونَ لَهُمْ مَا يَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَانْحَنَى إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ بِإِصْبِعِهِ عَلَى الأَرْضِ. وَلَمَّا اسْتَمَرُّوا يَسْأَلُونَهُ، انْتَصَبَ وَقَالَ لَهُمْ: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ!" (يوحنا 8: 6 و7).

كان هؤلاء الرجال المخادعون يسعون إلى اصطياد يسوع بين شرائع موسى وشرائع قيصر. غير أن يسوع لم ينطق ولو بكلمة. كان بمقدوره فضح مؤامرتهم الشريرة وكشف كافة أعمالهم الشريرة والحكم عليهم بالموت بسبب الأشياء التي فعلوها، لكن يسوع لم يقل شيئًا، بل اكتفى بالكتابة على الأرض. ضغط هؤلاء الرجال على يسوع ليحصلوا على جواب منه، فأخبرهم أخيرًا أن مَنْ كان منهم بلا خطية فليرم الامرأة أولاً بحجر.

بصفته ابن الله المليء بألوهية أبيه، كان بإمكانه قراءة الأسرار الموجودة في حياة هؤلاء الرجال. أظهر قدرته على القيام بذلك في مكان آخر.

> "قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «اذْهَبِي وَادْعِي زَوْجَكِ وَتَعَالَيْ إِلَى ههُنَا» أَجَابَتِ الْمَرْأَةُ وَقَالتْ: «لَيْسَ لِي زَوْجٌ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: حَسَنًا قُلْتِ: لَيْسَ لِي زَوْجٌ، لأَنَّهُ كَانَ لَكِ خَمْسَةُ أَزْوَاجٍ، وَالَّذِي لَكِ الآنَ لَيْسَ هُوَ زَوْجَكِ. هذَا قُلْتِ بِالصِّدْقِ" (يوحنا 4: 16 – 18).

لم يدينها يسوع بسبب زواجها من خمسة رجال، ثم العيش في علاقة غير شرعية مع شخص سادس. لقد أخبرها ببساطة أنه يعرف تاريخ حياتها. وبطريقة مماثلة قام يسوع بالكتابة على الأرض، معلنًا بذلك علمه بتاريخ حياة أولئك الرجال لكنه لم يدين أحدًا منهم. وكما سأل يسوع المرأة أين زوجك رغم علمه أنها لم تكن في علاقة زوجية، كان يعلم أيضًا أن أولئك الرجال الذين أحضروا الامرأة لم يكونوا بلا خطية. كان يقدم لهم فرصة للتوبة، ومع ذلك رفض إدانتهم والحكم عليهم.

> "ثُمَّ انْحَنَى أَيْضًا إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى الأَرْضِ. وَأَمَّا هُمْ فَلَمَّا سَمِعُوا **وَكَانَتْ ضَمَائِرُهُمْ تُبَكِّتُهُمْ، خَرَجُوا وَاحِدًا فَوَاحِدًا، مُبْتَدِئِينَ مِنَ الشُّيُوخِ إِلَى الآخِرِينَ.** وَبَقِيَ يَسُوعُ وَحْدَهُ وَالْمَرْأَةُ وَاقِفَةٌ فِي الْوَسْطِ" (يوحنا 8: 8 و9).

الأشياء التي كتبها يسوع على الأرض جعلت ضمائر هؤلاء الرجال تبكتهم. لم تكن هذه الكلمات كلمات إتهام أو دينونة بل دعوة لتذكر أمور الماضي كي يشفيهم. أعلن يسوع أنه يعلم أعمارهم والدليل على ذلك هو أنهم خرجوا واحدًا فواحدًا، مبتدئين من الشيوخ. لقد أُحضِر أولئك الرجال إلى الدينونة بسبب رغبتهم في إدانة يسوع والامرأة. وهو تذكير بما حدث في الجنة في البدء. فقد أعطت حواء قلبها للوسيفر واحتضنت بذرته بقبول كذبه وبذلك ارتكبت خطية الزنا الروحي. حكم آدم على ابن الله وأدانه بواسطة المرأة ليبرر أخطائه. فمن خلال دينونة آدم نفسه، جلب الدينونة على نفسه. إن القصة الواردة في يوحنا الأصحاح الثامن هي قصة واقعية لما حدث في البدء.

إن أولئك الرجال الذي أحضروا المرأة حددوا توقيت الدينونة لأنهم أتوا إلى يسوع مع المرأة وألقوها عند قدميه. لم يستدع يسوع أولئك الرجال ليدينهم. جاءوا إليه لكي يدينوه ولكي يدينوا الامرأة.

هذه هي الطريقة التي يُحضِر بها الآب كل شيء للدينونة، فهو يسمح لنا بتلقي نتائج قراراتنا واختياراتنا. إذا كنا نرغب في الإدانة، فإن ظروف الحياة ستحدث بحيث أننا ندين أنفسنا بنفس الطريقة وبنفس الشدة التي ندين بها الآخرين.

لقد كانت ضمائر أولئك الرجال تبكتهم، وأدانوا أنفسهم بالخروج والابتعاد عن يسوع. لم

يطلبوا منه الرحمة لأنهم لم يُظهِروا أي رحمة له أو لتلك المرأة. فكما حكموا على خطايا الآخرين، حكموا أيضًا على خطاياهم، وخرجوا من محضر نور العالم بلا مغفرة.

لكن يسوع لم يحكم عليهم ولم يدينهم. فعندما اقتربوا من محضر ذاك الذي كان معهم طوال حياتهم بروحه، واجهوا سجل حياتهم وجهًا لوجه. وعندما رأوا هذا السجل وهم في محضر المسيح، أدانوا أنفسهم وابتعدوا عن محضره لكي ينسوا ما تم تذكيرهم به، واختاروا الغرق مرة أخرى في الظلام.

> "أَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ السَّيِّآتِ يُبْغِضُ النُّورَ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى النُّورِ لِئَلاَّ تُوَبَّخَ أَعْمَالُهُ" (يوحنا 3: 20).

وبينما يحدث كل هذا، سمعت المرأة المسكينة المغلوبة على أمرها، الكلمات التي مفادها أن أولئك الذين بلا خطية فليرمونها بحجر. لقد جُرِّبت للظن بأن كلمات يسوع كانت بمثابة حكم موت صادر بحقها. وعندما تذكرت كل الأشياء التي فعلتها، بدا أن حياتها قد أوشكت على الانتهاء.

> "فَلَمَّا انْتَصَبَ يَسُوعُ وَلَمْ يَنْظُرْ أَحَدًا سِوَى الْمَرْأَةِ، قَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ، أَيْنَ هُمْ أُولئِكَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكِ؟ أَمَا دَانَكِ أَحَدٌ؟» فَقَالَتْ: «لاَ أَحَدَ، يَا سَيِّدُ!». فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: «وَلاَ أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضًا»" (يوحنا 8: 10 و11).

عندما سأل يسوع الامرأة أين هم المشتكون عليها، كان يطلب منها أن تحكم على الوضع بنفسها. فهل ستصرخ بغضب على الرجال الذين أوقعوها في الفخ واستخدموها كوسيلة لإيقاع يسوع في الفخ؟ فلو ألقت بأصابع اللوم والإتهام والإدانة على مَنْ كانوا حولها، لحكمت على نفسها بأنها هي أيضًا مُدانة وبلا أمل.

عندما نظرت حولها ولم تر أيًا من قادة الكنيسة هناك، ثم نظرت في وجه يسوع، اكتسبت الشجاعة. ملأ الإيمان نفسها وهي تنظر إلى وجه مخلصها البشوش. فيسألها: "أَمَا دَانَكِ أَحَدٌ؟" يخترق السؤال قلبها، والآن لابد أن تحكم هي بنفسها على قضيتها. وها هي أحداث ماضيها تمر أمامها بسرعة، والظلمة التي اكتنفت حياتها تحاول إسقاطها في اليأس والحزن مرة أخرى، لكن المحبة الظاهرة على وجهه وابتسامته البشوشة تجعلها تحكم على نفسها، قائلةً: "لا أحد يا سيدي".

وكما حكمت على قضيتها، كذلك حكم عليها يسوع. إذ قال لها: "ولا أنا أدينك". لقد عكس لها نفس الحكم الذي أصدرته بشأن قضيتها. هذه هي الطريقة التي يُحضِرنا الله للدينونة من خلالها. وهذه هي الطريقة التي سنعطي بها حسابًا عن كل كلمة تخرج من أفواهنا.

أما السبب في أننا ينبغي أن نظهر أمام كرسي المسيح فهو لأن آدم وأبناءه أقروا بوجوب وجود دينونة، إذ حكموا على الله وأدانوا صفاته بأنها متناقضة مع شخصيته الحقيقية. لا يرفض المسيح المشاركة في هذه الدينونة، لكنه يعمل بطريقة تجعل كل شخص يحكم على القضية الخاصة به.

"لأَنَّهُ الأُمَمُ الَّذِينَ لَيْسَ عِنْدَهُمُ النَّامُوسُ، مَتَى فَعَلُوا بِالطَّبِيعَةِ مَا هُوَ فِي النَّامُوسِ، فَهؤُلاَءِ إِذْ لَيْسَ لَهُمُ النَّامُوسُ هُمْ نَامُوسٌ لأَنْفُسِهِمِ، الَّذِينَ يُظْهِرُونَ عَمَلَ النَّامُوسِ مَكْتُوبًا فِي قُلُوبِهِمْ، **شَاهِدًا أَيْضًا ضَمِيرُهُمْ وَأَفْكَارُهُمْ فِيمَا بَيْنَهَا مُشْتَكِيَةً أَوْ مُحْتَجَّةً، فِي الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يَدِينُ اللهُ سَرَائِرَ النَّاسِ حَسَبَ إِنْجِيلِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ**" (رومية 2: 14 – 16).

إذا لم تنظر إلى النصوص المتعلقة بالدينونة في الكتاب المقدس من خلال حياة يسوع، فإن بهاء مجد الآب سيضع برقع ظلام عليها عندما تقرأ الكتاب المقدس.

هذه أخبار سارة للغاية إذا آمنا بنقطتين، ألا وهما:

1. نؤمن أن الله يحبنا ويغفر لنا.
2. نؤمن أن يسوع وهو على الأرض أعلن صفات الآب إعلانًا كاملاً.

إذا لم تنظر إلى النصوص المتعلقة بالدينونة في الكتاب المقدس من خلال حياة يسوع، فإن بهاء مجد الآب سيضع برقع ظلام عليها عندما تقرأ الكتاب المقدس.

السؤال الذي يطرح نفسه في هذه القصة هو: كيف يعرف يسوع خطايا أولئك الرجال الذين أتوا للدينونة؟ ألا يوحي ذلك بأنه يحتفظ بقوائم وسجلات؟ ألا يتحدث الكتاب المقدس عن أسفار خاصة بالدينونة وأننا لا بد أن نُعطي حسابًا عن كل كلمة نتكلم بها؟ إذن ألا يعني هذا أن الله قام بتسجيل كل شيء لاستخدامه في الدينونة؟

11. الناموس روحي

استعرضنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب الآثار المترتبة على استخدام المراقبة والتهديد باستخدام القوة للحفاظ على القانون والنظام في المجتمع. وقلنا أن القانون في مثل هذه البيئة يُفرَض على المواطنين، وهؤلاء المواطنين يلتزمون بالقانون ليس لأنهم على اقتناع بفائدته بل لأنهم يخشون العقوبات والإجراءات التي قد تتخذها إحدى الجهات المسلحة ضدهم بسبب تعديهم عليه.

أريد العودة إلى فقرة في الكتاب المقدس تحدثنا عنها سابقًا، ثم سأحاول التوفيق بين هذه الفقرة والعبارات التي صرَّح بها المسيح.

> "كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ وُضِعَتْ عُرُوشٌ، **وَجَلَسَ الْقَدِيمُ الأَيَّامِ.** لِبَاسُهُ أَبْيَضُ كَالثَّلْجِ، وَشَعْرُ رَأْسِهِ كَالصُّوفِ النَّقِيِّ، وَعَرْشُهُ لَهِيبُ نَارٍ، وَبَكَرَاتُهُ نَارٌ مُتَّقِدَةٌ. نَهْرُ نَارٍ جَرَى وَخَرَجَ مِنْ قُدَّامِهِ. أُلُوفُ أُلُوفٍ تَخْدِمُهُ، وَرَبَوَاتُ رَبَوَاتٍ وُقُوفٌ قُدَّامَهُ. **فَجَلَسَ الدِّينُ، وَفُتِحَتِ الأَسْفَارُ**" (دانيال 7: 9 و10).

إن مشهد هذه المحكمة والأسفار المفتوحة مألوفٌ جدًا لنا. إذا كانت هذه المحكمة السماوية تشير بالفعل إلى دينونة يقوم بها القديم الأيام، أي الله الآب، ويقرر من خلالها من الذي سوف يعيش ومن الذي سوف يموت بسبب عدم الامتثال لشريعته، فكلمات المسيح التالية باطلة:

> "لأَنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَدًا ..." (يوحنا 5: 22).

وهنا ينبغي لنا أن نشير إلى عنصر هام لم نتحدث عنه حتى الأن فيما يتعلق بالناموس أو الشريعة من منظور السماء.

> "فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ **النَّامُوسَ رُوحِيٌّ**، وَأَمَّا أَنَا فَجَسَدِيٌّ مَبِيعٌ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ" (رومية 7: 14).

إن ناموس الله شيء مرتبط بروح الإنسان، وهو ناموس علائقي بطبيعته، كما أنه يخبرك بتأثير روح الله الساكن فيك بدلاً من إخبارك بالأشياء التي يتعيّن عليك فعلها لإرضاء الله.

> "**وَلكِنْ مَنِ اطَّلَعَ عَلَى النَّامُوسِ الْكَامِلِ - نَامُوسِ الْحُرِّيَّةِ** - وَثَبَتَ، وَصَارَ لَيْسَ سَامِعًا نَاسِيًا بَلْ عَامِلًا بِالْكَلِمَةِ، فَهذَا يَكُونُ مَغْبُوطًا فِي عَمَلِهِ" (يعقوب 1: 25).

الشريعة (أو الناموس) التي تُستخدم لفرض الطاعة لا تعتبر شريعة حرية بل شريعة تقيّد وتسلب الحرية. ناموس الله هو نبوة لما يحدث لأولئك الذين يحبون الله ومملوئين بحياته.

> "لأَنَّ هذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَعْهَدُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ: **أَجْعَلُ نَوَامِيسِي فِي أَذْهَانِهِمْ، وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلهًا وَهُمْ يَكُونُونَ**

لِي شَعْبًا" (عبرانيين 8: 10).

كيف يمكن كتابة الناموس (الشريعة) على قلب الإنسان؟ لا يمكن القيام بذلك إلا من خلال علاقة شخصية. فعندما يتعرف الإنسان على الله ويبدأ في الاقتراب منه ومن محبته ويطلب روحه، يبدأ الروح في تغيير قلب هذا الإنسان، ويبدأ ناموس الله في العمل داخلنا تلقائيًا. هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها أن يمنح الناموس عتقًا ويعطي حريةً.

فما هو السبب إذن الذي يجعل البشر يفهمون الناموس على أنه فرضًا ينبغي الالتزام به، وأن الله سيعاقبنا إذا كسرناه؟

"لأَنَّ الْخَطِيَّةَ، وَهِيَ مُتَّخِذَةٌ فُرْصَةً بِالْوَصِيَّةِ، خَدَعَتْنِي بِهَا وَقَتَلَتْنِي" (رومية 7: 11).

كيف خدعتنا الخطية بالناموس؟ الخطية نفسها ليست شخصًا يخدعنا، بل إن الخطية قد أنشأها الشيطان، ومن خلال الخطية غيّر الشيطان الطريقة التي ينظر بها الجنس البشري إلى الناموس. كيف فعل هذا؟

"فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: لَنْ تَمُوتَا! بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ" (تكوين 3: 4 و5).

أقنع الشيطان آدم وحواء بأن حياتهما لا تتوقف على الله. وأقنعهما أنهما حصلا على حياتهما بقوتهما الذاتية وأنهما سيعيشا إلى الأبد. وطالما استمرا في الأكل من هذه الشجرة، فلن يموتا. إذا كان ما قاله الشيطان صحيحًا، فإن أي أوامر يصدرها الله ستبدو مُتَأَمّرة وتعسفية. إذا كنا كبشر قادرين بالفعل على العيش دون الحاجة إلى الاعتماد على الله، فإن أي حركة يقوم بها لتوجيهنا في الطريق الصحيح وقيادتنا يمكن اعتبارها كاستخدام للقوة.

لقد كان الشيطان من خلال هذه الكذبة التي قالها قادرًا على تغيير نظرتنا لناموس الله من كونه ناموس بركة وحرية إلى ناموس قائم على السيطرة والاستبداد. ونحن كجنس بشري بدأنا في رؤية الناموس كقائمة تضمن أشياء فرضها الله علينا، وأنه بعد ذلك سيقيس مستوانا وفقًا لهذا الناموس لتحديد من الذي سيبقيه على قيد الحياة ومن الذي سيميته.

إن هذه النظرة الخاطئة للناموس هي التي تخلق على الفور الحاجة إلى المراقبة والدينونة والعقاب. ولنتذكر أن بولس يخبرنا أن هذا النوع من الدينونة أو الإدانة أتى من آدم وليس من المسيح أو أبيه (رومية 5: 16).

لذلك، فإن أساس مملكة الشيطان هو الكذبة القائلة بأن الإنسان خالد، أو بشكل مباشر أكثر، أن روحه خالدة. وكلمة الله التي تخبرنا أننا نموت عندما نفصل أنفسنا عنه بسبب عصياننا تصير أكذوبة، مما يجبرنا على الاعتقاد بأن الطريقة الوحيدة التي نموت بها تتمثل في قيام

الله بقتلنا قتلاً مباشرًا. هذا هو المبدأ الأساسي الذي تنبثق منه فكرة المراقبة والدينونة والعقاب. ومن خلال هذه الكذبة استطاع الشيطان أن يلحق ضررًا بناموس الله ويؤسس عرش الإثم.

"هَلْ يُعَاهِدُكَ كُرْسِيُّ الْمَفَاسِدِ، الْمُخْتَلِقُ إِثْمًا عَلَى فَرِيضَةٍ؟" (مزمور 94: 20).

فإذا كان الناموس روحيًا ومظهرًا من مظاهر العلاقات الحيّة والطريقة التي تعمل بها، فلكي تنمو هذه العلاقات يجب أن تكون هناك وسيلة لتسجيل معاملات هذه العلاقات حتى تنمو وتتطور، لأن العلاقات تتطور على أساس مجموعة من الذكريات المشتركة.

12. مكتوبة في ألواح قلب لحمية

أشرنا في الفصل السابق إلى أن الله لديه القدرة على كتابة نواميسه على قلوبنا، واضعًا مبادئ محبته في أذهاننا، لأن الناموس روحي بطبيعته ويعالج الأمور الروحية.

لقد صمَّم الله عالمنا بطريقة تجعله يسجّل الذكريات الخاصة بتفاعلاتنا وتعاملاتنا مع الآخرين. فأعيننا وآذاننا وحواسنا الأخرى هي أجهزة تسجيل روحية تقوم بتخزين الذكريات في قلوبنا. وكل شخص تاريخ حياته مكتوب بالكامل في قلبه. ومن خلال هذا السجل نستطيع أن نميز إذا كان وجه شخص ما أو صوته مألوفًا أم لا. يلمح الرسول بولس إلى هذا على النحو التالي:

"أَنْتُمْ رِسَالَتُنَا، **مَكْتُوبَةً فِي قُلُوبِنَا**، مَعْرُوفَةً وَمَقْرُوءَةً مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ. ظَاهِرِينَ أَنَّكُمْ رِسَالَةُ الْمَسِيحِ، مَخْدُومَةً مِنَّا، **مَكْتُوبَةً لاَ بِحِبْرٍ بَلْ بِرُوحِ اللهِ الْحَيِّ**، لاَ فِي أَلْوَاحٍ حَجَرِيَّةٍ بَلْ فِي أَلْوَاحِ قَلْبٍ لَحْمِيَّةٍ" (كورنثوس الثانية 3: 2 و3).

فأعيننا وآذاننا وحواسنا الأخرى هي أجهزة تسجيل روحية تقوم بتخزين الذكريات في قلوبنا. وكل شخص تاريخ حياته مكتوب بالكامل في قلبه.

عندما كان بولس يكرز بالإنجيل للآخرين وقبلوه، بدأ روح الله يكتب في قلوبهم فرح البر بالإيمان. فبدأت حياة الناس تتغير، والسجل الخاص بهذا التغيير كُتِب في قلوبهم بواسطة روح الله.

يشير يسوع إلى روح الله بأنه أصبع الله. لاحظ المقارنة التالية:

"وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ أَنَا **بِرُوحِ اللهِ** أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ!" (متى 12: 28).

"وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ **بِأَصْبعِ اللهِ** أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ" (لوقا 11: 20).

يسجل يسوع بإصبعه على ألواح قلوبنا سجل حياتنا. وهذا السجل يُكتَب في أرواحنا عن طريق الحواس التي أعطانا الله إياها. وهذا السجل لا يخطئ في دقته. فأعيننا لا تستطيع أن تمحي رؤية الأشياء التي رأيناها، وآذاننا لا تستطيع أن تمحي سماع الأشياء التي سمعناها عبر مسيرتنا في الحياة. ربما نحاول نسيان الأشياء التي فعلناها، لكن السجل يظل مكتوبًا في قلوبنا دومًا. ونحن أنفسنا نشترك في كتابة هذا السجل لأننا نحن من يقرر الأفعال التي سنقوم بها وننفذها.

عندما تكون تجاربنا واختباراتنا مباركةً، تكون الذكريات سارة وحلوة، ولكن عندما نفعل أشياء تنتهك حرمة العلاقات المقدسة التي تجمعنا بالإله الذي نعبده والبشر الذي نعيش معهم، فهذه الأشياء تُكتَب بقلم من حديد.

"خَطِيَّةُ يَهُوذَا مَكْتُوبَةٌ **بِقَلَمٍ مِنْ حَدِيدٍ، بِرَأْسٍ مِنَ الْمَاسِ مَنْقُوشَةٌ عَلَى لَوْحِ قَلْبِهِمْ** وَعَلَى قُرُونِ مَذَابِحِكُمْ" (إرميا 17: 1).

الكلمة المستخدمة لتعني "الماس" في الواقع تعني وخز الشوكة كالوخز الذي يشعر به الإنسان عندما يؤنبه ضميره. ولكن لماذا يُكتَب بقلم من حديد؟ عندما يؤنبنا ضميرنا عندما نفعل شيئًا خاطئًا ونستمر في فعل هذه الأشياء، فإن هذه الأفعال تجرح قلوبنا بالشعور بالذنب عندما نقوم بها. كما أن جروح الخطية تقسي قلوبنا فيقل إحساسنا بالخطية. وكلما أخطأنا، كلما ازدادت قساوة قلوبنا حتى تصبح كالحديد تمامًا.

يجب أن نتذكر أن هذه الأشياء مكتوبة في قلوبنا بإصبع الله. نحن من ننفذ الأفعال، لكن روح الله صمَّم نظامًا يكتب من خلاله كل شيء فينا. صمَّم الله هذا النظام ليباركنا لكي تكون ذكرياتنا الجميلة عن الخير دائمًا معنا. لم يصممنا لحمل ذكريات الحزن والذنب. ولكن عندما نخطئ، فإن توسلات روح الله المرفوضة تُكتب في ذاكرتنا. وكلما قاومنا توسلات الروح القدس، كلما ازدادت صلابة قلوبنا إلى أن نصبح مثل فرعون الذي تقسَّى قلبه تمامًا، أي أننا نرفض عمل روح الله في القلب رفضًا كاملاً ودائمًا.

وبهذه الطريقة يمكننا أن نفهم أن الله يستطيع أن يحطّم ويُكسِّر الخاطئ.

"تُحَطِّمُهُمْ بِقَضِيبٍ مِنْ حَدِيدٍ. مِثْلَ إِنَاءِ خَزَّافٍ تُكَسِّرُهُمْ" (مزمور 2: 9).

تأتي ضربة قلم الحديد من قضيب الحديد (المُشار إليه في الآية السابقة) وذلك عندما نقاوم توسلات الروح ونفعل ما نشاء بتمرد على الله. فالعناد المتواصل والمقاومة المستمرة ضد الله تقسّي القلب جدًا لدرجة أن الإنسان يقود نفسه إلى الهلاك. ويتحطم مثل إناء خَزّافٍ بواسطة قضيب أو قلم الحديد الذي يسجِّل ذنوبه وخطاياه العديدة في نفسه فيُحزِن روح الله ويطرده ويكوي ضميره بحديد ساخن.

"وَلكِنَّ الرُّوحَ يَقُولُ صَرِيحًا: إِنَّهُ فِي الأَزْمِنَةِ الأَخِيرَةِ يَرْتَدُّ قَوْمٌ عَنِ الإِيمَانِ، تَابِعِينَ أَرْوَاحًا مُضِلَّةً وَتَعَالِيمَ شَيَاطِينَ، فِي رِيَاءِ أَقْوَال كَاذِبَةٍ، **مَوْسُومَةً ضَمَائِرُهُمْ (أي كويت بالنار)"** (تيموثاوس الأولى 4: 1 و2).

يمكنني تذكر بعض الأحداث التي وقعت في حياتي عندما كنت أُجرَّب لمخالفة ضميري وارتكاب الخطية، وأصبح الشعور بداخلي شديد الحرارة. يتطلب الأمر جهدًا لمقاومة توسلات الروح، فيتعيّن على الشخص أن يرفس مناخس الضمير ليفعل هذا. وإذا قام الشخص

بذلك مرارًا وتكرارًا، ففي نهاية المطاف يتقسّى القلب جدًا فيصبح هشًا ويتحطّم.

لذلك، نرى أن لكل شخص سجلاً مكتوبًا في قلبه. إنه سجل لا يمكن لأحد أن يشكك فيه لأنه مكتوب بإرادة كل إنسان الحرة. وهو سجل روحي، أي أنه غير مكتوب بقلم حقيقي أو حبر أو بشيء من صنع الإنسان. وفي الوقت نفسه، يوجد سجل في السماء خاص بالأعمال التي قمنا بها، لكنه غير مكتوب في كتاب مادي، بل محفور ومنقوش في يدي الله.

"هُوَذَا عَلَى كَفَّيَّ نَقَشْتُكِ. أَسْوَارُكِ أَمَامِي دَائِمًا" (إشعياء 49: 16).

هذا لأن أبانا السماوي قد شهد بروحه كافة أحداث حياتنا. فهو يرى ويشعر بالأشياء التي نفعلها، وهي مكتوبة في قلبه مثلما هي مكتوبة أيضًا في قلوبنا. فكِّر مثلاً في الكيفية التي يحتفظ بها الأب أو الأم في قلبيهما بالذكريات الغالية التي تفكرهما بأبنائهما. لكن السجل الخاص بنا الذي يحتفظ به الله هو أغلى بكثير لديه ويعتز به معزة غير محدودة. فالكتاب يخبرنا أن شعور رؤوسنا جميعها مُحصاة.

"أَلَيْسَتْ خَمْسَةُ عَصَافِيرَ تُبَاعُ بِفَلْسَيْنِ، وَوَاحِدٌ مِنْهَا لَيْسَ مَنْسِيًّا أَمَامَ اللهِ؟ **بَلْ شُعُورُ رُؤُوسِكُمْ أَيْضًا جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ. فَلاَ تَخَافُوا! أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ!**" (لوقا 12: 6 و7).

إلا أن أبانا السماوي ومخلصنا الحبيب لا يحتفظان بسجل مكتوب فيه الأشياء التي نفعلها لمعاقبتنا، لكنهما يسجلان هذه الأشياء من أجل البقاء على اتصال وثيق وحميم معنا. إن حياتنا في يديهما على الدوام، ولذلك يحتفظان في قلبيهما بسجل كامل لحياتنا من أجل الحفاظ عليها. ولهذا السبب يمكننا أن نقول لمن يؤمنون بذلك أن الله قد:

"أَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (أفسس 2: 6).

وسجل حياتنا الموضوع في قلب المسيح هو أيضًا من صنعنا. فهو يسمح لنا بكتابة السجل في قلبه، وبالتالي فنحن منقوشون على كفيه. لذلك فمن الصواب القول أن الله يحتفظ بسجل كامل عن حياتنا، لكنه لا يُكتَب ولا يستخدم للأغراض المتعلقة بالمراقبة والدينونة والعقاب. لكنه مكتوب ومُسجَّل لأن الإنسان عندما تجمعه علاقة محبة بإنسان آخر، فإنه يرغب في الحفاظ عليه والاهتمام به والتفكير فيه بصورة مستمرة.

"كَثِيرًا مَا جَعَلْتَ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهِي عَجَائِبَكَ **وَأَفْكَارَكَ مِنْ جِهَتِنَا. لاَ تُقَوَّمُ لَدَيْكَ. لأُخْبِرَنَّ وَأَتَكَلَّمَنَّ بِهَا. زَادَتْ عَنْ أَنْ تُعَدَّ**" (مزمور 40: 5).

ولهذا السبب كان باستطاعة المسيح قراءة قلوب الرجال الذين أحضروا إليه المرأة التي أُمسِكت وهي تزني. لقد كان بمقدوره قراءة السجل الموجود في قلوبهم وجعلهم أيضًا على دراية به، وعندما جاءوا إلى محضره لم يتمكنوا من إخفاء أو مسح السجل من ذاكرتهم. فما

كتبه المسيح على الأرض كان مجرد تكرار لما كتبه في قلوبهم بإصبع الله، وهو الشيء الذي هم أنفسهم وقعّوا بالموافقة عليه.

لهذا السبب عندما يفتح الله السجلات والأسفار في السماء، فذلك يعني أنه يخاطب قلوب الناس. فهو لا يحتاج إلى سجلات أو كتب مادية كالتي نستخدمها اليوم لأن ناموسه ليس ناموسًا جسديًا بل روحيًا، يعالج أمور القلب والعقل الظاهرة في الجسد.

لا يراقبنا الله بهدف إدانتنا والحكم علينا، لكنه بمحبة يهتم بنا ويرعانا ويفكّر فينا كل يوم ويريد بل ويشتاق أن يباركنا. هذه هي الطريقة التي يحتفظ بها بالسجل في قلبه. عندما نخطئ إلى الله، فإننا نأخذ قلم الحديد ونطعن به جنب المسيح ونصلبه ثانيةً.

> "... وَسَقَطُوا، لاَ يُمْكِنُ تَجْدِيدُهُمْ أَيْضًا لِلتَّوْبَةِ، **إِذْ هُمْ يَصْلِبُونَ لأَنْفُسِهِمِ ابْنَ اللهِ ثَانِيَةً** وَيُشَهِّرُونَهُ" (عبرانيين 6: 6).

لا يتحول قلب المسيح أبدًا إلى حديد، ولذلك ففي كل مرة نكتب فيها أفعال الخطية في أنفسنا ويُجبَر على رؤيتها، ينتاب قلبه عذابًا شديدًا. وهذا يحدث في كل مرة لأنه لا يسمح للخطية أبدًا أن تقسّي قلبه. وعندما نلتقي في نهاية المطاف بالمسيح وجهًا لوجه، فإننا سنواجه السجل بأكمله الذي نقشناه (كتبناه) فيه، وسنقرر حينئذ بأنفسنا إذا كنا سننال الغفران أم لا. سيسألنا: "أما دانك أحدٌ؟" ماذا ستكون إجابتك؟ كيف ستحكم على نفسك عندما تقف أمامه وكل الكلام الذي تكلمت به وكل الأفكار الخفية التي فكرت فيها مكتوبة أمامك في شخص المسيح؟ كيف ستحكم؟ وماذا عن شرورنا التي قمعناها وأخفيناها، هل ستسحقنا وتطغي علينا عندما نواجهها؟ لا يريد المسيح منا أن نتفاجئ أو أن يبتلعنا الخجل والشعور بالذنب في ذلك اليوم الأخير، لكنه يدعونا اليوم أن نترك آلامنا النفسية وأن ندعه يشفينا.

وفي هذا الإطار نفهم أن خالقنا الذي يقول عن نفسه أنه محبة (يوحنا الأولى 4: 8)، لا يحتفظ بسجل خاص بالسيئات التي عملناها لمعاقبتنا، لأن:

> "الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ، وَلاَ تَنْتَفِخُ، وَلاَ تُقَبِّحُ، وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا، وَلاَ تَحْتَدُّ، وَلاَ تَظُنُّ السُّوءَ (أي لا تحتفظ بسجل للأخطاء)" (كورنثوس الأولى 13: 4 و5).

ما هو الفرق بين ذكريات حياتنا المكتوبة في قلب يسوع وبين سجل الأخطاء المحفوظ فيه؟ السجل الذي يحتفظ به يسوع موجود بداخله، وهو جزء منه لأن فيه يقوم الكل ويتكوَّن كل شيء (كولوسي 1: 17). أما سجل الأخطاء فهو شيء خارجي ليس جزءًا من أنفسنا ولا يشعر بأي ألم أو حزن أو خسارة. وهو بلا قلب وبالتالي يمكن أن يتكوَّن منه أساس العقوبة القاسية التي تنطوي على الموت. إلا أن أبانا وابنه لا يحتفظان بسجل قاسٍ بلا قلب لأخطائنا، بل بالأحرى يحتفظ المسيح في صميم قلبه بسجل حياتنا.

هذا المبدأ موضح في الرؤيا الواردة في الأصحاح الخامس من سفر الرؤيا التي تتحدث عن السفر الذي لم يستطع أحد فتحه.

"وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً قَائِلِينَ: **مُسْتَحِقٌ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السِّفْرَ** وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ، لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا للهِ بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ، وَجَعَلْتَنَا لإِلهِنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً، فَسَنَمْلِكُ عَلَى الأَرْضِ" (رؤيا 5: 9 و10).

المسيح مستحق أن يفتح سفر التاريخ البشري لأنه ذُبِح من أجلنا وسار معنا واختبر بشريتنا المتألمة.

أولئك الذين يعبدون إلهًا يصنع قوائم ويفحصها مرتين ليرى ما إذا كنا طالحين أم صالحين، يعبدون إله المراقبة والحكم والدينونة والموت. هذا ليس إله يسوع المسيح الذي لا يحتفظ بسجلات كهذه ضدنا. عندما نلتقي بخالقنا وندخل محضر ذاك الذي يحمل كافة ذكريات حياتنا في قلبه، سنُسأل: "أما دانك أحدٌ؟" كيف ستكون إجابتك وماذا سيكون حكمك؟

13. أفكاري ليست أفكاركم

تطرقنا في الفصل الحادي عشر إلى الكيفية التي غيّرت بها كذبة الشيطان القائلة بأننا نستطيع أن ننال الحياة بعيدًا عن الله فهمنا الكامل للناموس. وفي الفصل الثاني أوضحنا أن عدل الله يختلف عن فهمنا للعدالة. قبل أن نعرض لك أيها القارئ الكريم دراسة مستفيضة عن الدينونة حسب التعليم الكتابي لها، دعونا نتأمل قليلاً في الآثار المترتبة على كذبة الشيطان المتعلقة بالخلود وتأثيرها على فهمنا للعدالة.

1. ادعى الشيطان أننا لن نموت، وأننا إذا أكلنا من ثمر الشجرة المحرَّمة فإننا سنكون مثل الله (تكوين 3: 5).
2. غيَّر هذا أفكار الإنسان وفهمه للناموس. فإن كنا لا نعتمد على الله من أجل الحياة، فإن ناموسه مفروض علينا بدون سبب وجيه.
3. لذلك، فإن الجسد في حالة حرب مع ناموس الله ويرفض الخضوع له (رومية 8: 7).
4. إن انفصال البشر عن الله يؤدي إلى هلاكهم، لأن الله وحده معه الحياة. لكن الشيطان يدعو البشر إلى إسقاط سبب الموت على الله. إذا رأى الإنسان أن ناموس الله هو فرض تعسفي، فمن المنطقي أن نرى العواقب الناجمة عن انتهاك هذا الناموس على أنها أيضًا مفروضة. ونرى حدوث ذلك في حياة قايين الذي أخبره الله بالنتائج الطبيعية المترتبة على أفعاله، لكن قايين ألقى باللوم على الله بسبب واقعه الجديد (تكوين 4: 11 – 14).
5. وبعد ذلك جعل الشيطان الموت عقابًا للتعدي على شريعة الله. وأظهر الله على أنه ظالم ومعتد وأنه هو السبب في إيقاع هذه العقوبة. ونعلم هذا لأن الموت يُصوَّر على أنه عدو الله والإنسان، وأنه شيء تحت سيطرة الشيطان (عبرانيين 2: 14 وكورنثوس الأولى 15: 26).
6. أخبر الشيطان الإنسان أن الموت يمثل عدالة الله وأنه يطلبه بسبب تعدي الإنسان وعصيانه عليه. وبذلك أسقط الشيطان سلطانه على الله، واتهمه بأنه هو منشئ الموت ومُبدعه (مزمور 50: 21 ومزمور 94: 20).
7. ولذلك تُفهم الرحمة، كما أشرنا في الفصل الثالث، على أنها ثمن يُدفَع لتأخير العقوبة أو إزالتها. ففي نظام عدالة الشيطان، الرحمة لا تعني أبدًا مسامحة الشخص بلا مال أو بلا ثمن (إشعياء 55: 1). وفي هذا النظام لابد استرضاء "عدالة الله" بذبيحة، فهو نظام يستلزم فدية من نوع ما.
8. إن القول بأن موت البشر هو عقاب من الله يجعل سلعة الوقت شيئًا قيمته كبيرة جدًا. فوفقًا لهذا الاعتقاد، يُمنَح البشر فترة اختبار كي يؤمنوا أن الله صالح، ولكي يتوقفوا

عن الابتعاد عنه ويبدأوا في الاقتراب إليه، ولكي يسمحوا لله بالكشف لهم عن خطاياهم كي ينالوا الشفاء. إلا أن البشر يفهمون فترة الاختبار في إطار نظام العدالة الخاص بهم، فيعتقدون أنها أعطيت لنا من أجل استرضاء الله بالأعمال الصالحة أو كدليل على التوبة والندم المتمثل في قبول الصليب قبل الدينونة الأخيرة. وهذا يعني أننا نهرب باستمرار من التشخيص والشفاء المقدَّم لنا، وبالتالي تصبح الحياة كالساعة التي تدق وتنذرنا بمرور الوقت فنصبح بلا سلام أو طمأنينة. فيختلجنا دائمًا شعورًا بأن الوقت ينفد وشعورًا بالموت والهلاك ونحن نتسابق من أجل الوصول للدينونة، والتي تعني الآن معاقبة الأشرار وتبرئة الصالحين.

9. إن هذه العملية برمتها غريبة عن أفكار الله. فمبادئ رحمته وعدالته وعقابه تختلف تمامًا عن مبادئنا. لقد تدنَّست هذه المفاهيم النبيلة في أذهاننا بسبب الكذبة القائلة بأننا نحصل على الحياة بقوتنا الذاتية، مما يجعلنا نشعر بدون وعي أننا لسنا بحاجة إلى الله، وأنه إله مستبد ومتغطرس ومحب للسيطرة.

إن تأثير هذه الكذبة القائلة بأننا نحصل على الحياة بقوتنا الذاتية يمكن تفسيره جيدًا من خلال قصة السفينتين اللتين كانتا تبحران باتجاه بعضهما البعض في الليل. فقام ربان إحدى السفينتين بإرسال رسالة عبر الراديو إلى السفينة الأخرى يطلب منها أن تغير مسارها وتبتعد عن طريق سفينته. فجاءته الرسالة عبر الراديو تقول كلا يجب عليك أنت أن تغير مسار سفينتك لتتجنب الاصطدام بنا. فقام ربان السفينة بتهديد الشخص الموجود على الجانب الآخر، وأخبره أنه إذا لم يقم بتغيير مساره فسوف يواجه العواقب المترتبة على ذلك. فجاءه الرد قائلاً: "هنا المنارة. القرار قرارك".

عندما احتضن الجنس البشري الكذبة القائلة أنه باستطاعتنا امتلاك الخلود (أي عدم الموت) وأن نكون مثل الله، فقد غيّرنا بذلك علاقتنا بالله وظننا أنه مثلنا. أما النور القوي المنبعث من المنارة الذي أرسِل بمحبة لحمايتنا من الموت والهلاك فقد فُسِّر على أنه ذا نية عدوانية، وأعدَّ الجنس البشري نفسه لشن الحرب على المنارة. عندما أدركت السفينة الهوية الحقيقية لمصدر النور القادم من الناحية الأخرى، تغيّر التفكير بالكامل، وتم فهم النور على الفور في سياقه الصحيح.

> "فِي كُلِّ ضِيقِهِمْ تَضَايَقَ، وَمَلاَكُ حَضْرَتِهِ خَلَّصَهُمْ. بِمَحَبَّتِهِ وَرَأْفَتِهِ هُوَ فَكَّهُمْ وَرَفَعَهُمْ وَحَمَلَهُمْ كُلَّ الأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ. وَلكِنَّهُمْ تَمَرَّدُوا وَأَحْزَنُوا رُوحَ قُدْسِهِ، فَتَحَوَّلَ لَهُمْ عَدُوًّا، وَهُوَ حَارَبَهُمْ" (إشعياء 63: 9 و10).

هكذا هو الحال فيما يتعلق بالدينونة. نتخيل أن الله مثلنا، ونتخيل أنه هو الذي يحكم ويدين ويعاقب مثلنا. لكن أفكاره ليست أفكارنا.

تهدف دينونة الله إلى جلب الشفاء والإصلاح وليس الإدانة والموت.

ومع ذلك، فلكي نرى حالتنا الحقيقية، يسمح لنا الله بمواجهة الدينونة التي نظن أن الله يمارسها. فلو كان الله ليس لديه دينونة بالطريقة التي نفهمها، فلن نعتبره إلهًا عادلاً.

بسبب كذبة الشيطان عن الحياة، ورثنا طريقة تفكير عن الحياة والموت والعقاب، وقد أدى هذا إلى اضطرار الله لأن يوضح لنا أنه لا يفكر بهذه الطريقة، وذلك في الوقت الذي يحاول أن يجتذبنا ويقربنا إليه. وعليه أن يقترب منا من خلال السماح لنفسه بأن يُنظر إليه على أنه مثلنا، حتى لا نبتعد عنه ظانين أنه ليس عادلاً وصالحًا في أعيننا.

تهدف دينونة الله إلى جلب الشفاء والإصلاح وليس الإدانة والموت.

> "فَقَالَ يَسُوعُ: **لِدَيْنُونَةٍ أَتَيْتُ أَنَا إِلَى هذَا الْعَالَمِ**، حَتَّى يُبْصِرَ الَّذِينَ لاَ يُبْصِرُونَ وَيَعْمَى الَّذِينَ يُبْصِرُونَ" (يوحنا 9: 39).

نتيجة الدينونة التي يقوم بها يسوع هي أن العُمي يُبصِرون، وهو شكل من أشكال الشفاء المرتبطة بالدينونة. وفي نفس الوقت يخبرنا يسوع أن دينونته ستجعل أولئك الذين يظنون أنهم يُبصِرون أن يصيروا عميانًا، أي أنهم يدركون ويفهمون أنهم كانوا عميانًا (رؤيا 3: 17). ولكن لماذا يريدهم يسوع أن يعترفوا بعميهم؟ ذلك لكي ينالوا الشفاء. وقد صف الرب يسوع جزءًا أساسيًا من رسالته فيقول أنه جاء لينادي للعمي بالبصر.

> "رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ **ولِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ**، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ" (لوقا 4: 18).

لن ينال الشفاء إلا من يدركون عميهم. وقد ورد مبدأ الشفاء والإصلاح هذا في العهد القديم في قصص مختلفة.

> "**وَحِينَمَا أَقَامَ الرَّبُّ لَهُمْ قُضَاةً، كَانَ الرَّبُّ مَعَ الْقَاضِي، وَخَلَّصَهُمْ مِنْ يَدِ أَعْدَائِهِمْ** كُلَّ أَيَّامِ الْقَاضِي، لأَنَّ الرَّبَّ نَدِمَ مِنْ أَجْلِ أَنِينِهِمْ بِسَبَبِ مُضَايِقِيهِمْ وَزَاحِمِيهِمْ" (قضاة 2: 18).

رغم أن عمل القضاة لم يكن كاملاً، إلا أننا ما زلنا نرى أن الغرض منه كان يتمثل في العتق من الظلم والاضطهاد. ونرى أن سفر إشعياء يعبر أيضًا عن هذا الموضوع المتعلق بالخلاص والعتق بواسطة الدينونة على النحو التالي:

> "وَأُعِيدُ قُضَاتَكِ كَمَا فِي الأَوَّلِ، وَمُشِيرِيكِ كَمَا فِي الْبَدَاءَةِ. بَعْدَ ذلِكَ تُدْعَيْنَ مَدِينَةَ

الْعَدْلِ، الْقَرْيَةَ الأَمِينَةَ. صِهْيَوْنُ تُفْدَى بِالْحَقِّ، وَتَائِبُوهَا بِالْبِرِّ" (إشعياء 1: 26 و27).

"قَرِيبٌ بِرِّي. قَدْ بَرَزَ خَلاَصِي، وَذِرَاعَايَ يَقْضِيَانِ لِلشُّعُوبِ. إِيَّايَ تَرْجُو الْجَزَائِرُ وَتَنْتَظِرُ ذِرَاعِي" (إشعياء 51: 5).

يكشف الكتاب المقدس أن أفكار الله في الدينونة هي للخلاص والشفاء والإصلاح، وليس للدينونة التي تؤدي إلى الموت. لكن هذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا قبلنا تشخيص الله لمشكلتنا عوضًا عن تشخيصنا لها. وبعد ذلك يمكننا أن نطلب الشفاء ونؤمن أننا سنتغيّر.

لشرح الكيفية التي يشفينا بها الله بالدينونة، يجب علينا التأمل في موضوع المَقدِس، لأن هذا هو الدرس الذي يشرح بالتفصيل العملية التي يخلصنا بها الله.

14. اَللَّهُمَّ، فِي الْقُدْسِ طَرِيقُكَ

وضعت النقاط التي ناقشناها في الفصل السابق فجوة (هوة) كبيرة بين الله والإنسان. لقد إتجه الجنس البشري في طريق مظلم وقاتم بسبب تأثير الشيطان. كيف يمكن لله أن يستردنا ويصلح تفكيرنا الخاطئ؟ وكيف يمكن لأفكارنا أن تصبح مرة أخرى كأفكار الله حتى نتمكن من التعرف على صفاته وفهمها فهمًا حقيقيًا؟

"قَالَ لَهُ يَسُوعُ: **أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ.** لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي" (يوحنا 14: 6).

يسوع هو الطريق إلى الآب وهو حق الآب وحياة الآب. وبالمسيح نتمكن من الرجوع إلى الله. كلمة "طريق" في اليونانية المذكورة في الآية السابقة هي "هودوس" وتعني المسار. هذه الكلمة نفسها مستخدمة في العهد القديم اليوناني في الآية التالية:

"اَللَّهُمَّ، فِي الْقُدْسِ **طَرِيقُكَ**. أَيُّ إِلهٍ عَظِيمٌ مِثْلُ اللهِ؟" (مزمور 77: 13).

وحتى يتمكن الله من الاقتراب إلينا والسكن في وسطنا، بنى له مَقدِسًا، فيخبرنا الوحي:

"فَيَصْنَعُونَ لِي مَقْدِسًا لأَسْكُنَ فِي وَسَطِهِمْ" (خروج 25: 8).

الهدف من السير في طريق المقدِس هذا هو أن تتحوَّل قلوبنا الحجرية لتصير قلوبًا لحمية.

"وَأُعْطِيكُمْ قَلْبًا جَدِيدًا، وَأَجْعَلُ رُوحًا جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكُمْ وَأُعْطِيكُمْ قَلْبَ لَحْمٍ" (حزقيال 36: 26).

الرمز الخاص بالمَقدِس يعرض لنا الخطوات التي ينبغي اتباعها حتى نتمكن من العودة بالكامل إلى الله والتصالح معه.

دعونا نتأمل في التصميم الخاص بنظام المَقدِس.

الدار الخارجية والمَقدِس
قدس الأقداس
القدس
المرحضة
مذبح المحرقة
الباب

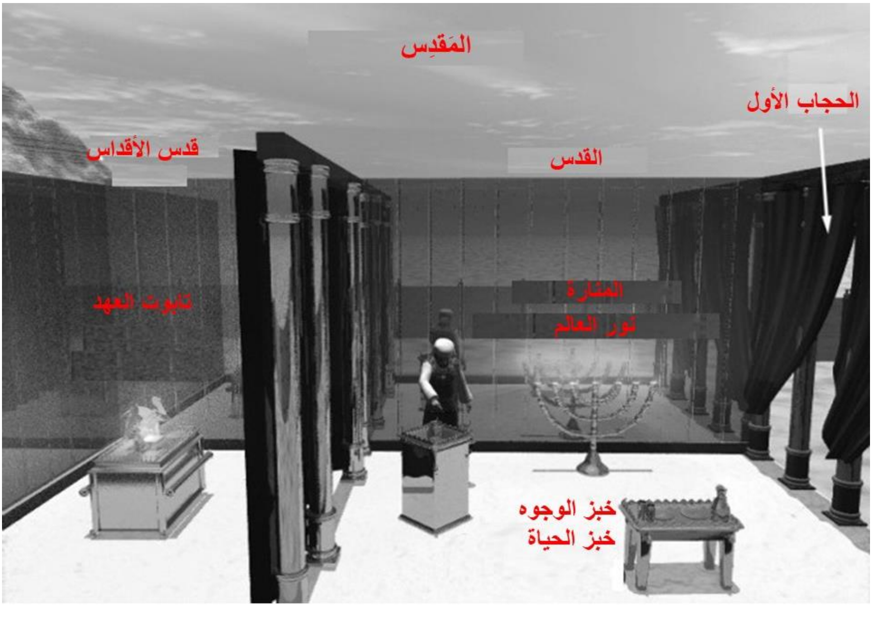
المَقدِس
الحجاب الأول
قدس الأقداس
القدس
تابوت العهد
المنارة
نور العالم
خبز الوجوه
خبز الحياة

يدخل الخاطئ للمَقدِس من الباب الخارجي الذي يؤدي إلى الدار. أما الغرفة التي تُسمَّى بقدس الأقداس في المَقدِس فهي المكان الذي يوجد فيه حضور الله.

هناك العديد من جوانب المَقدِس وخدماته التي يمكن التطرق إليها، لكننا نريد فقط التركيز على بضع نقاط ابتداءًا من الدار الخارجية وحتى الوصول إلى قدس الأقداس.

أولاً، نلاحظ أن كل الأثاث الموجود في الدار الخارجية مغطى بالنحاس أو البرونز. أما الأثاث الموجود في القدس فإما إنه مصنوع من الذهب أو مغطى بالذهب. وهذا التغيير الذي نراه في المعادن يشير إلى تغيير من حيث الجودة، فهو يمثل التغيير الذي يحدث في صفات الشخص وهو ينمو في معرفته وعلاقته بالله. وعنصر النحاس (Brass) مثير للاهتمام لأنه خليط معدني مكوَّن من عنصرين ألا وهما النحاس والخارصين أو الزنك. وهو معدن من صنع الإنسان، لم يخلقه الله.

> "وَصِلَّةُ أَيْضًا وَلَدَتْ تُوبَالَ قَايِينَ الضَّارِبَ كُلَّ آلَةٍ مِنْ نُحَاسٍ وَحَدِيدٍ. وَأُخْتُ تُوبَالَ قَايِينَ نَعْمَةُ" (تكوين 4: 22).

يتحدث الله بطريقة سلبية عن النحاس أو البرونز كشيء ينبغي التخلص منه كالزَغَل.

> "يَا ابْنَ آدَمَ، قَدْ صَارَ لِي بَيْتُ إِسْرَائِيلَ زَغَلًا. **كُلُّهُمْ نُحَاسٌ وَقَصْدِيرٌ وَحَدِيدٌ وَرَصَاصٌ** فِي وَسْطِ كُورٍ. صَارُوا زَغَلَ فِضَّةٍ" (حزقيال 22: 18).

مذبح الذبيحة هو المكان الذي كان يتم تقديم الذبائح الحيوانية فيه. وهو يشير إلى موت المسيح على الصليب من أجل خطايانا. وحقيقة أن رمز ذبيحة المسيح على مذبح من النحاس يشير إلى أن الله يوافق على تفكير الإنسان بشأن ما هو مطلوب لتحدث المصالحة.

عندما أسقط الإنسان سبب موته على الله واتهمه بأنه عقاب منه على خطيته، كان على الله أن يقدم بديلاً للإنسان. لقد كانت هناك حاجة لفدية قبل أن يتمكن الإنسان من قبول رحمة الله والإيمان بأنه راض وأن كرامته محفوظة. إن الله بتوفيره لهذه الذبيحة يكشف أفكار الإنسان وما يحتاجه الإنسان ليؤمن برحمة الله ويتأكد من محبته له. وهذه الأفكار قد تكون أفكار واعية أو باطنية أو حتى غير واعية، لكنها موجودة لأنها ميراث فكرنا الساقط. كل جزء من المَقدِس هو وسيلة من الله للوصول إلى الإنسان والتقرب من عقله ومحاولة لمصالحته مع الآب.

المبدأن الأساسيان اللذان كان الإنسان بحاجة للتصالح عليهما هما الدينونة والموت.

> "وَلَيْسَ كَمَا بِوَاحِدٍ قَدْ أَخْطَأَ هكَذَا الْعَطِيَّةُ. **لأَنَّ الْحُكْمَ مِنْ وَاحِدٍ لِلدَّيْنُونَةِ**، وَأَمَّا الْهِبَةُ فَمِنْ جَرَّى خَطَايَا كَثِيرَةٍ لِلتَّبْرِيرِ. **لأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيَّةِ الْوَاحِدِ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ بِالْوَاحِدِ**، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا الَّذِينَ يَنَالُونَ فَيْضَ النِّعْمَةِ وَعَطِيَّةَ الْبِرِّ، سَيَمْلِكُونَ فِي الْحَيَاةِ بِالْوَاحِدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ!" (رومية 5: 16 و17).

إن آدم هو الذي يحكم للدينونة، وبسبب خطيته مَلَكَ الموت به. ظن آدم أن الله قد أوقع عليه الدينونة وأراد أن يقتله. لذلك، فهذان الجزءان في المَقدِس هما اللذان ينبغي أن ينكشفا في الناس. المَقدِس هو عبارة شكل مستطيل يتكوَّن من مربعين. في وسط المربع الأول يوجد المذبح الذي تقدم عليه الذبيحة، وفي وسط المربع الثاني يوجد تابوت العهد.

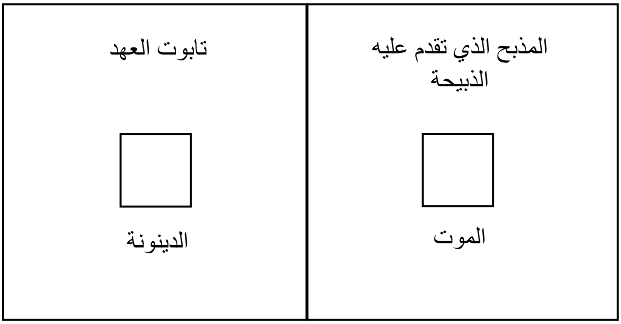

كانت الذبائح تقدم على مذبح الذبيحة كل يوم. لم تحدث الدينونة في يوم الكفارة إلا مرة واحدة في السنة.

> "أَمَّا الْعَاشِرُ مِنْ هذَا الشَّهْرِ السَّابعِ، فَهُوَ يَوْمُ الْكَفَّارَةِ. مَحْفَلًا مُقَدَّسًا يَكُونُ لَكُمْ. تُذَلِّلُونَ نُفُوسَكُمْ وَتُقَرِّبُونَ وَقُودًا لِلرَّبِّ. عَمَلًا مَا لاَ تَعْمَلُوا فِي هذَا الْيَوْمِ عَيْنِهِ، لأَنَّهُ يَوْمُ كَفَّارَةٍ لِلتَّكْفِيرِ عَنْكُمْ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكُمْ. إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لاَ تَتَذَلَّلُ فِي هذَا الْيَوْمِ عَيْنِهِ تُقْطَعُ مِنْ شَعْبِهَا. وَكُلَّ نَفْسٍ تَعْمَلُ عَمَلًا مَا فِي هذَا الْيَوْمِ عَيْنِهِ أُبِيدُ تِلْكَ النَّفْسَ مِنْ شَعْبِهَا" (لاويين 23: 27 – 30).

هذا الوصف الوارد في سفر اللاويين هو انعكاس لأفكار الناس فيما يتعلق بالطريقة التي يتعيّن على الله أن يعمل بها في الدينونة. آدم هو الذي أدخل الحكم والدينونة والموت إلى العالم. إن طريق المَقدِس يكشف لنا أفكارنا الحقيقية، وبعد ذلك نستطيع مقارنة ما نفكر فيه بحياة يسوع وندرك أن تفكيرنا خاطئ. هكذا تتم المصالحة. إنها عملية تكشف لنا أن نظام المبادئ والقيم الأخلاقية الذي ورثناه هو نظام خاطئ، ومن ثم نتوب وننال الغفران. وهكذا تكتمل عملية المصالحة.

تؤمن غالبية الأديان أنه نظرًا لأن الله يأمر بتقديم الذبائح ويظهر كقاضي في قدس الأقداس في يوم الكفارة، فهذا يدل على شخصيته الحقيقية. لكن هذا الفكر خاطئ. فالله يشبه يسوع وهذه الأشياء المكتوبة في الناموس هي انعكاس لصفاتنا وما نحن عليه. والله يرينا هذه الأشياء لكي نتوب ونبتعد عنها.

إن الله يلتقي بنا عند مذبح النحاس، وهو مذبح مصنوع من معدن صممه ابن قايين. لم يرد

أبانا السماوي منا ذبائح ولم يطلبها منا، لكنه سمح بها ليكشف لنا عن طبيعتنا وصفاتنا. ظننا أن الله بحاجة للاسترضاء قبل أن يتمكن من تقديم الغفران لنا، ولم نؤمن أننا نستطيع أن ننال العفو والمغفرة إلا عندما يُسفَك دمٌ. هذه الفكرة الوثنية فظيعة، لكننا لم ندرك ذلك. فعظَّم الله خطايانا في هذه الذبائح، وفي نفس الوقت أقنعنا بواسطة هذه الفكرة النحاسية التي صنعها الإنسان أننا نستطيع نيل الغفران.

لا يدين الله أحدًا (يوحنا 5: 22 و8: 15)، لكنه يسمح لنا أن نفهمه بهذه الطريقة ليبيّن لنا ما نظن أنه يتوجب عليه فعله لإنهاء هذا الصراع. من الطبيعي الظن أن الله ينبغي أن يمنحنا الوقت للتوبة، وفي النهاية يدين الجميع ويقتل العصاة غير المطيعين ويكافئ مَنْ يطيعون.

إذا استطعنا أن نضع في اعتبارنا أن المَقدِس هو وسيلة لجذب الناس إلى الله، فسنقبل أن ما يحدث فيه لا يمثل طبيعة الله وصفاته، بل يمثل أشياء مستعد لفعلها للوصول إلينا حيثما نكون.

دار المَقدِس مصنوعة من النحاس، أما القدس وقدس الأقداس فمصنوعان من الذهب والفضة. لا توجد إشارة في الدار الخارجية إلى الله، لأن هذا الجزء هو إشارة للبشر. والدليل على ذلك هو أن الله يخبر شعبه في وقت معين من هذه العملية أن يتركوا الدار عند قياس هذا النظام أو دراسته.

> "ثُمَّ أُعْطِيتُ قَصَبَةً شِبْهَ عَصًا، وَوَقَفَ الْمَلاَكُ قَائِلًا لِي: «قُمْ وَقِسْ هَيْكَلَ اللهِ وَالْمَذْبَحَ وَالسَّاجِدِينَ فِيهِ. **وَأَمَّا الدَّارُ الَّتِي هِيَ خَارِجَ الْهَيْكَلِ، فَاطْرَحْهَا خَارِجًا وَلاَ تَقِسْهَا، لأَنَّهَا قَدْ أُعْطِيَتْ لِلأُمَمِ**، وَسَيَدُوسُونَ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ شَهْرًا" (رؤيا 11: 1 و2).

والقدس لا يمثل طبيعة الله بشكل كامل لأن الله أقدس المقدسين دائمًا. فكيف يكون الله قدوس في مكان وأقدس المقدسين في مكان آخر؟ إن القدس يكشف التطور الذي يحدث في أفكار البشر وهم يبحثون عن الحق، وهو لا يعد إعلانًا كاملاً عن صفات الله الحقيقية. وحتى قدس الأقداس لا يمثل صفات الله تمثيلاً كاملاً لأن الله لم يرغب أبدًا في الذبائح ولم يطلب ذبائح ومحرقات (مزمور 40: 6 وهوشع 6: 6). فكل هذا هو احتواء لأفكار البشر وتصوراتهم. وهي عملية يرينا الله من خلالها صفاتنا الحقيقية، ويدعونا بعد ذلك لمقارنة هذه الصفات بصفات المسيح والتوبة عندما نرى الفارق.

عندما كنت شابًا في أواخر سني المراهقة، فعلت أشياءًا جعلتني أشعر بالذنب بشكل كبير، وأدركت إلى حد ما حالتي المريضة بالخطية وأردت المساعدة. كان موت يسوع على الصليب هو ما دفعني للإيمان أن الله قد غفر لي خطاياي. هذا الإيمان ضروري للخلاص. وبمجرد أن صدّقت أن خطاياي قد غُفرت وبدأت أتعرف أكثر على صفات الله من خلال قراءتي عن يسوع، بدأت أشياء كثيرة في حياتي تتغير.

بعد سنوات قليلة من تطور فهمي، بدأت في الحكم على الآخرين وإدانتهم لعدم إتباعهم ما هو صواب. كنت أفعل ذلك سرًا أكثر بكثير مما أفعله علانية. لقد حكمت على الناس لأنني رأيت أن الله يدين الناس لارتكابهم الخطأ. وقد سمح لي أن أراه بهذه الطريقة لكي تتكشف روح الدينونة بداخلي وأتمكن من رؤيتها. لقد سمح لي أن أراه في يوم الكفارة كديان مخيف وقدوس مستعد أن يهلك الخطاة المذنبين الذين لم يخضعوا له أو يطيعوا أوامره.

فإعلان الدينونة هو بالضبط ما يحتاجه البشر لرؤية حالتهم الطبيعة والتعرف على ميلهم الطبيعي للحكم والإدانة.

ثم في اللحظة المناسبة، أراني ما قاله ابنه عنه في يوحنا 5: 22 والطريقة التي تصرَّف بها يسوع نفسه في يوحنا 8: 15. عندما قرأت هذه النصوص وقارنت نفسي بها، بكيت لأيام. تبت وطلبت من الله أن يغفر لي. وفجأة أصبحت على دراية بحالتي وإدانتي للآخرين، وهذا هو ما كنت بحاجة إليه. فإعلان الدينونة هو بالضبط ما يحتاجه البشر لرؤية حالتهم الطبيعية والتعرف على ميلهم الطبيعي للحكم والإدانة.

هذه هي الطريقة التي تعامل بها الله مع التلاميذ في متى 15: 22-28. لقد تصرَّف بطريقة سمحت بانكشاف تعصبهم ضد المرأة الكنعانية. وعندما شفى يسوع ابنة المرأة أخيرًا، كان على التلاميذ الاختيار. كان عليهم أن يروا التعصب الكائن في طبيعتهم والتوبة عن ذلك، أو يتوقفوا عن الإيمان بيسوع.

هذا هو السبب في أن الكثير من الناس لن يقبلوا الإله الحقيقي وابنه. فهم لن يتخلوا عن الرغبة في الحكم والإدانة، بل ويقتبسون الكثير من آيات الكتاب المقدس لإثبات أن الله يحكم على الناس ويدينهم. كل هذه النصوص موجودة لتختبرنا وتكشف ما بداخلنا. وهي تعمل بنفس الطريقة التي يبدو وكأن الرب يسوع ينعت فيها المرأة الكنعانية بالكلبة. ينبغي لنا أن نفحص وندرس هذه النصوص بعناية أكبر.

في الفصل القادم سوف نتطرق إلى الفهم الجماعي للدينونة وانفتاح الأسفار في السماء وذلك في ضوء يوم الكفارة الذي ناقشناه سابقًا.

15. فَجَلَسَ الدِّينُ، وَفُتِحَتِ الأَسْفَارُ

يعطينا تسلسل الأحداث الوارد في دانيال الأصحاح السابع والثامن وقتًا محددًا جدًا للوقت الذي ستقع فيه أحداث الدينونة. وفي العهد الجديد تحدث الرسول بولس إلى فيلكس الوالي عن مجيء وقت دينونة في المستقبل.

"وَبَيْنَمَا كَانَ يَتَكَلَّمُ عَنِ الْبِرِّ وَالتَّعَفُّفِ **وَالدَّيْنُونَةِ الْعَتِيدَةِ** أَنْ تَكُونَ، ارْتَعَبَ فِيلِكْسُ، وَأَجَابَ: أَمَّا الآنَ فَاذْهَبْ، وَمَتَى حَصَلْتُ عَلَى وَقْتٍ أَسْتَدْعِيكَ" (أعمال 24: 25).

تساعدنا الأحداث الواردة في دانيال الأصحاح السابع على تحديد ميعاد حدوث هذه الدينونة. يرى دانيال في الرؤيا أربعة حيوانات (وحوش) خارجة من البحر. الأول أشبه بالأسد، والثاني دب، والثالث نمر، والرابع وحش بدون اسم. بعد قيام هذه الوحوش الأربعة تحدث الدينونة، وبعد ذلك تأتي مملكة المسيح التي سيمتلكها شعب الله.

"هؤُلاَءِ الْحَيَوَانَاتُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي هِيَ أَرْبَعَةٌ هِيَ أَرْبَعَةُ مُلُوكٍ يَقُومُونَ عَلَى الأَرْضِ" (دانيال 7: 17).

تمثل هذه الوحوش الأربعة أربعة ملوك أو، كما هو موضح أدناه، أربع ممالك.

"فَقَالَ هكَذَا: أَمَّا الْحَيَوَانُ الرَّابعُ **فَتَكُونُ مَمْلَكَةٌ رَابِعَةٌ عَلَى الأَرْضِ** مُخَالِفَةٌ لِسَائِرِ الْمَمَالِكِ، فَتَأْكُلُ الأَرْضَ كُلَّهَا وَتَدُوسُهَا وَتَسْحَقُهَا" (دانيال 7: 23).

من هذه المملكة الرابعة نشأت وقامت عشر ممالك، وبعد ذلك قامت مملكة أخرى مختلفة في طبيعتها عن الممالك الأخرى، وثلاث ممالك تُذَّل وتُخضَع حتى تتمكن هذه المملكة من القيام.

"وَالْقُرُونُ الْعَشَرَةُ مِنْ هذِهِ الْمَمْلَكَةِ هِيَ عَشَرَةُ مُلُوكٍ يَقُومُونَ، وَيَقُومُ بَعْدَهُمْ آخَرُ، **وَهُوَ مُخَالِفٌ الأَوَّلِينَ، وَيُذِلُّ ثَلاَثَةَ مُلُوكٍ"** (دانيال 7: 24).

يتحدث القرن الصغير هذا بعظائم ضد العلي ويغيّر أوقات الله وشريعته المقدسة ويضطهد قديسي الله لمدة ثلاثة أزمنة ونصف.

"وَيَتَكَلَّمُ بِكَلاَمٍ ضِدَّ الْعَلِيِّ وَيُبْلِي قِدِّيسِي الْعَلِيِّ، وَيَظُنُّ أَنَّهُ يُغَيِّرُ الأَوْقَاتَ وَالسُّنَّةَ، وَيُسَلَّمُونَ لِيَدِهِ إِلَى زَمَانٍ وَأَزْمِنَةٍ وَنِصْفِ زَمَانٍ" (دانيال 7: 25).

كما أشرنا سابقًا، هناك مشهد دينونة وبعد ذلك تأتي مملكة المسيح وتسود إلى الأبد.

"فَيَجْلِسُ الدِّينُ وَيَنْزِعُونَ عَنْهُ سُلْطَانَهُ لِيَفْنَوْا وَيَبِيدُوا إِلَى الْمُنْتَهَى. وَالْمَمْلَكَةُ وَالسُّلْطَانُ وَعَظَمَةُ الْمَمْلَكَةِ تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ تُعْطَى لِشَعْبِ قِدِّيسِي الْعَلِيِّ. مَلَكُوتُهُ مَلَكُوتٌ أَبَدِيٌّ، وَجَمِيعُ السَّلاَطِينِ إِيَّاهُ يَعْبُدُونَ وَيُطِيعُونَ" (دانيال 7: 26 و27).

إذا نظرنا إلى تسلسل الأحداث التاريخية من وقت دانيال وحتى الوقت الحاضر، فإننا نرى بالفعل أنه كانت هناك أربع إمبراطوريات عالمية حدث بعدها الانقسام الذي أدى إلى تكوين القوى العشر في أوروبا التي جاءت بعدها البابوية التي هيمنت على شؤون العالم لأكثر من 1000 سنة.

تمثل الإمبراطوريات العالمية الأربع بابل ومادي وفارس واليونان وروما.

1. بابل	606 ق.م – 536 ق.م
2. مادي وفارس	536 ق.م – 331 ق.م
3. اليونان	331 ق.م – 168 ق.م
4. روما	168 ق.م – 476 م

هذا التسلسل المكوّن من أربع ممالك والتفكك الذي يحدث للمملكة الرابعة وانشقاقها لعشر ممالك، يتوافق مع الرؤية الواردة في دانيال الأصحاح الثاني. فمن خلال دراستنا لسفر دانيال نعلم أن دانيال أخبر ملك بابل أن الملك هو رأس الذهب، وأنه ستقوم بعد مملكته ثلاث إمبراطوريات عالمية. يمكننا تلخيص المعلومات الخاصة بالقرن الصغير الواردة في دانيال الأصحاح السابع على النحو التالي:

1. خرج من الحيوان (الوحش) الرابع – دانيال 7: 7 و8	1. البابوات خلفوا القياصرة
2. من ضمن القرون العشرة – دانيال 7: 8	2. ارتقت البابوية السلطة من بين الأمم الأوروبية.
3. مختلف عن باقي القرون – دانيال 7: 24	3. البابوية سلطة دينية وسياسية على حد سواء
4. منظره أشد هولاً من باقي القرون – دانيال 7: 20	4. تمارس سلطة أعظم من سلطة الملوك
5. قلع (أسقط) ثلاث ممالك – دانيال 7: 8 و20 و24	5. طردت قبائل الهيرولي والوندال أو الفاندال والقوط الشرقيين
6. يتكلم بكلام ضد العلي – دانيال 7: 25	6. إدعت أنها تمثل الله على الأرض وأن لديها سلطان لمغفرة الخطايا
7. يبلي قديسي العلي – دانيال 7: 25	7. ما بين 50 و150 مليون شخص قتلوا على يد البابوية
8. يظن أنه يغيّر الأوقات والسنة – دانيال 7: 25	8. استبدلت السبت بالأحد وألغت الوصية الثانية
9. يحكم لمدة زمان وزمانين ونصف زمان – دانيال 7: 25	9. استمرت هيمنة البابوية وسلطتها من سنة 538 ميلادية وحتى 1798 ميلادية.

إن تحديد القرن الصغير على أنه البابوية التي قامت بعد ممالك العالم الأربعة يشهد عليه

العديد من علماء الكتاب المقدس على مر القرون.

الاسم	التاريخ	القرن الصغير	إنسان الخطية	المرأة الواردة في رؤيا 17	ضد المسيح (المسيح الدجال)
الولدنسيون	القرن الثاني عشر		البابوية	الكنيسة الكاثوليكية	
إبرهارد الثاني (سالزبورغ)	1246 ميلادية	البابوية			
جون ميليز	1367 ميلادية		البابوية	البابوية	البابوية
جون ويكلف	1379 ميلادية	البابوات	البابوية	البابوية	البابوات
جون هس	1412 ميلادية		البابوية	البابوية	البابا
جيرولامو سافونارولا	1497 ميلادية		البابوية	البابوية	
مارتن لوثر	1522	البابوية	البابوية	البابوية	البابوية
فيليب ميلانشثون	1543	البابوية			البابوية
جون نوكس	1547	البابوية	البابوية	البابوية	البابوية
وليام تيندال	1550		البابوية	البابوية	البابوية
جون هوبر	1550		البابوية	البابوية	البابوية
نيكولاس ريدلي	1554			البابوية	البابوية
توماس كرانمر	1582	البابوية	البابوية	البابوية	البابوية
جيمس الأول ملك	1600	البابوية	البابوية	البابوية	البابوية

إنجلترا					
السير اسحق نيوتن	1727	البابوية	البابوية	البابوية	البابوية
جون ويسلي	1764		البابوية	البابوية	البابوية

إن القصد من التوضيح السابق ليس لإدانة جماعة أو منظمة معينة. فقيام هذه السلطة هو انعكاس للطبيعة البشرية ويكشف عن صفات البشر جميعهم. إن إدانة قادة البابوية هو دليل على أننا نحمل نفس الفكر ونفس الروح. لكن هدفنا هو التعرف على الحركات النبوية التي ظهرت على مدار التاريخ البشري والتعلم منها.

تخبرنا الآية الواردة في دانيال 7: 25 أن القرن الصغير سيحكم لمدة زمان وزمانين ونصف زمان. أما سفر الرؤيا الأصحاح الثاني عشر فيتحدث عن هذه الفترة عينها ويشير إليها بأنها تبلغ 1260 يومًا.

> "فَأُعْطِيَتِ الْمَرْأَةُ جَنَاحَيِ النَّسْرِ الْعَظِيمِ لِكَيْ تَطِيرَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ إِلَى مَوْضِعِهَا، حَيْثُ تُعَالُ **زَمَانًا وَزَمَانَيْنِ وَنِصْفَ زَمَانٍ**، مِنْ وَجْهِ الْحَيَّةِ" (رؤيا 12: 14).

> "وَالْمَرْأَةُ هَرَبَتْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ، حَيْثُ لَهَا مَوْضِعٌ مُعَدٌّ مِنَ اللهِ لِكَيْ يَعُولُوهَا هُنَاكَ **أَلْفًا وَمِئَتَيْنِ وَسِتِّينَ يَوْمًا**" (رؤيا 12: 6).

هذه الفترة التي تبلغ 1260 يومًا ليس لها معنى إلا عندما يتم تطبيق المبدأ العبراني – مبدأ اليوم بسنة.

> "كَعَدَدِ الأَيَّامِ الَّتِي تَجَسَّسْتُمْ فِيهَا الأَرْضَ **أَرْبَعِينَ يَوْمًا، لِلسَّنَةِ يَوْمٌ**. تَحْمِلُونَ ذُنُوبَكُمْ **أَرْبَعِينَ سَنَةً** فَتَعْرِفُونَ ابْتِعَادِي" (سفر العدد 14: 34).

> "فَإِذَا أَتْمَمْتَهَا، فَاتَّكِئْ عَلَى جَنْبِكَ الْيَمِينِ أَيْضًا، فَتَحْمِلَ إِثْمَ بَيْتِ يَهُوذَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا. **فَقَدْ جَعَلْتُ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ عِوَضًا عَنْ سَنَةٍ**" (حزقيال 4: 6).

استمرت الهيمنة البابوية من سنة 538 ميلادية وحتى سنة 1798 ميلادية عندما أخذ الفرنسيون البابا أسيرًا، فانتهت بذلك سلطة البابوية الزمنية. لقد كانت الدينونة ستبدأ بعد ذلك بفترة قصيرة، وحتى نتمكن من التعرف على الوقت المحدد لحدوث ذلك، يجب علينا الرجوع إلى دانيال الأصحاح الثامن ومقارنة تسلسل الأحداث الوارد في ذلك الأصحاح مع الأحداث الواردة في دانيال الأصحاح الثاني ودانيال الأصحاح السابع.

إن الرؤيا الواردة في دانيال الأصحاح الثامن تقدم لنا صراعًا بين كبش وتيس. نرى في هذه الرؤيا أن تيس المعز حطَّم الكبش بقرنه البارز، وحل محله في السلطة. وبعد ذلك انكسر قرن

التيس الأصلي وجاء مكانه أربعة قرون، وبعد ذلك خرج قرن صغير من أحد القرون الأربعة.

لا يتبقى لنا أدنى شك في هوية الكبش والتيس لأن الملاك جبرائيل قال لدانيال:

> "أَمَّا **الْكَبْشُ الَّذِي رَأَيْتَهُ** ذَا الْقَرْنَيْنِ فَهُوَ مُلُوكُ **مَادِي وَفَارِسَ. وَالتَّيْسُ الْعَافِي مَلِكُ الْيُونَانِ**، وَالْقَرْنُ الْعَظِيمُ الَّذِي بَيْنَ عَيْنَيْهِ هُوَ الْمَلِكُ الأَوَّلُ (أي الإسكندر الأكبر)" (دانيال 8: 20 و21).

بعد وفاة الإسكندر الأكبر، انقسمت اليونان إلى أربع أمم، كان يحكمها قادته العسكريون (فالقرون ترمز إلى الحكَّام أو القوى). نعلم أن القرن الصغير الذي خرج من أحد قرون تيس المعز أصبح أعظم من اليونان نفسها والتي كانت أقوى من مادي وفارس، ذلك لأن الكتاب يقول:

الكبش	"وَعَظُمَ" شأنه	دانيال 8: 4
تيس المعز	"فتَعَظَّمَ تَيْسُ المَعْزِ جِدًّا"	دانيال 8: 8
القرن الصغير	"وَعَظُمَ جِدًّا"	دانيال 8: 9

القوة الوحيدة التي خلفت اليونان وكانت أعظم من اليونان هي روما. خرجت روما من إحدى الأمم الأربع التي خلفت اليونان، فقد غزت مقدونيا أولاً وانتصرت عليها وتوسعت من هناك.

يخبرنا الكتاب أن القرن الصغير هذا تعظَّم إلى رئيس الجند، أي المسيا يسوع المسيح. صلبت روما المسيح وتمَّمت هذه النبوة. ويخبرنا الكتاب أيضًا أن القرن الصغير هذا طرح الحق على الأرض وفعل فظائع عديدة، فاندهش دانيال جدًا مما يقوله القرن الصغير هذا. سمع دانيال بعد ذلك محادثة بين كائنين قدوسين حول المدة التي سيُداس فيها شعب الله ويتعرَّض فيها الهيكل للخراب. جاءه الجواب على النحو التالي:

> "فَقَالَ لِي: إِلَى أَلْفَيْنِ وَثَلاَثِ مِئَةِ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، فَيَتَبَرَّأُ الْقُدْسُ" (دانيال 8: 14).

عندما نقارن بين دانيال 7 ودانيال 8 نجد علاقة مثيرة جدًا للاهتمام بين الدينونة التي تحدث في دانيال 7 وتطهير المَقدِس (الهيكل) في دانيال 8.

دانيال 7	الحدث	دانيال 8
الأسد	بابل	-
الدب	مادي وفارس	الكبش
النمر	اليونان	التيس
الوحش	اليونان	التيس
مشهد الدينونة	**الدينونة**	**تطهير المَقدِس**
مملكة المسيح	المجيء الثاني	وَبِلاَ يَدٍ يَنْكَسِرُ

ما هو وجه الشبه بين تطهير المَقدِس والدينونة؟ كان تطهير المَقدِس اليهودي يحدث كل سنة أثناء الاحتفال بيوم الكفارة.

> "وَيَكُونُ لَكُمْ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً، أَنَّكُمْ فِي الشَّهْرِ السَّابعِ فِي عَاشِرِ الشَّهْرِ تُذَلِّلُونَ نُفُوسَكُمْ، وَكُلَّ عَمَل لاَ تَعْمَلُونَ: الْوَطَنِيُّ وَالْغَرِيبُ النَّازِلُ فِي وَسَطِكُمْ. لأَنَّهُ فِي هذَا الْيَوْمِ يُكَفِّرُ عَنْكُمْ لِتَطْهِيرِكُمْ. مِنْ جَمِيعِ خَطَايَاكُمْ أَمَامَ الرَّبِّ تَطْهُرُونَ" (لاويين 16: 29 و30).

> "أَمَّا الْعَاشِرُ مِنْ هذَا الشَّهْرِ السَّابعِ، فَهُوَ يَوْمُ الْكَفَّارَةِ. مَحْفَلًا مُقَدَّسًا يَكُونُ لَكُمْ. تُذَلِّلُونَ نُفُوسَكُمْ وَتُقَرِّبُونَ وَقُودًا لِلرَّبِّ" (لاويين 23: 27).

لقد أوصي الشعب أن يُذللوا نفوسهم (أي أن يفحصوا أنفسهم بعمق ليروا ما إذا كانت هناك أي خطية غير مُعتَرف بها، أو أي شيء من شأنه أن يفصلهم عن الله). كان يوم الكفارة أيضًا يوم دينونة للشعب، لم يكن مجرد خدمة تخص الفرد (إذ أن الذبائح اليومية المُقدَّمة خلال العام كانت متكفلة بذلك)، بل كان الغرض منه التكفير عن خطايا الشعب وإزالتها في نهاية العام. فمن خلال الدم كان الخاطئ ينال مغفرة بواسطة الذبائح التي كانت تُقدَّم خلال العام، وكانت ذنوبه تنتقل رمزيًا منه إلى المَقدِس. وفي يوم الكفارة كانت تحدث عملية تطهير لكل الخطايا المتراكمة في المَقدِس. أما الخطايا غير المُعتَرف بها فكانت تحكم على كون الخاطئ مذنبًا في يوم الكفارة، ويتحمل بسببها العقاب الناجم عنها. كان الخاطئ يتطهَّر كل يوم بدم الذبائح المقدمة خلال العام، لكن المَقدِس كان لا يزال، بصورة رمزية، يحمل خطايا الشعب. أما في يوم الكفارة، فما كان يحدث هو أن المَقدِس نفسه يتطهَّر.

هناك الكثير من التفاصيل التي يمكننا عرضها، لكن النقطة الأساسية هنا هي أن تطهير

المَقدِس هو عمل دينونة كان يحدث في اليوم العاشر من الشهر اليهودي السابع، وكان يُدعى يوم الكفارة أو يوم الغفران.

من هذا يمكننا البدء في تحديد موعد حدوث هذه الدينونة، لأن المحادثة بين الكائنين المقدسين أشارت إلى أن الأمر سيستغرق 2300 يومًا. لم يضبط دانيال قوته عندما أخبره الملاك أن الرؤيا هي لأيام كثيرة، وقد حدث ذلك قبل أن يتمكن جبرائيل من تعريف دانيال بموعد نهاية الـ 2300 يوم. إلا أن رد فعل دانيال لما قاله الملاك له يشير إلى كونه يفهم أن المدة أطول من مجرد 2300 يوم حرفي أو ما يعادل ست سنوات فقط، وهي فترة قصيرة كان يتوجب على دانيال الفرح عند سماعها. لكن الأصحاح الثامن من سفر دانيال ينتهي بعدم قدرة دانيال على فهم نبوة الـ 2300 سنة، لأنها كانت تمثل فترة طويلة لم يستطع دانيال أن يتصورها بل وجعلته مريضًا وضعيفًا لأيام.

وفي الفصل التالي نجد أن دانيال يصلي بحرارة. وقت هذه الصلاة هو بعد مرور بضع سنوات على الرؤيا التي رآها في دانيال 8. صلَّى دانيال صلاة جميلة جدًا وطلب من الرب أن يغفر له ولشعبه. ثم جاء جبرائيل إلى دانيال ليُفهِمه الرؤيا التي سبق أن رآها ولم يفهمها.

> "وَأَنَا مُتَكَلِّمٌ بَعْدُ بِالصَّلاَةِ، إِذَا بِالرَّجُلِ جِبْرَائِيلَ الَّذِي رَأَيْتُهُ فِي الرُّؤْيَا فِي الابْتِدَاءِ مُطَارًا وَاغِفًا لَمَسَنِي عِنْدَ وَقْتِ تَقْدِمَةِ الْمَسَاءِ. وَفَهَّمَنِي وَتَكَلَّمَ مَعِي وَقَالَ: يَا دَانِيآلُ، **إِنِّي خَرَجْتُ الآنَ لأُعَلِّمَكَ الْفَهْمَ.** فِي ابْتِدَاءِ تَضَرُّعَاتِكَ خَرَجَ الأَمْرُ، وَأَنَا جِئْتُ لأُخْبِرَكَ لأَنَّكَ أَنْتَ مَحْبُوبٌ. **فَتَأَمَّلِ الْكَلاَمَ وَافْهَمِ الرُّؤْيَا**" (دانيال 9: 21 – 23).

في دانيال الأصحاح التاسع أخبر جبرائيل دانيال بنبوة زمنية جديدة مدتها 70 أسبوعًا مقسمة إلى ثلاثة أجزاء. سبعة أسابيع لإكمال الهيكل، وإثنان وستون إسبوعًا إلى أن يأتي المسيح، ثم أسبوع أخير. ينطبق مبدأ اليوم بسنة أيضًا على نبوة السبعين أسبوع هذه. والمفتاح الذي يساعدنا على فهمها هو وجود وقت بداية لها.

> "فَاعْلَمْ وَافْهَمْ أَنَّهُ **مِنْ خُرُوجِ الأَمْرِ لِتَجْدِيدِ أُورُشَلِيمَ وَبِنَائِهَا إِلَى الْمَسِيحِ الرَّئِيسِ** سَبْعَةُ أَسَابِيعَ وَاثْنَانِ وَسِتُّونَ أُسْبُوعًا، يَعُودُ وَيُبْنَى سُوقٌ وَخَلِيجٌ فِي ضِيقِ الأَزْمِنَةِ" (دانيال 9: 25).

صدر الأمر بتجديد أورشليم وبنائها في ثلاثة مراسيم من ثلاثة ملوك فارسيين، وقد سُجِّل ذلك في سفر عزرا.

> "وَكَانَ شُيُوخُ الْيَهُودِ يَبْنُونَ وَيَنْجَحُونَ حَسَبَ نُبُوَّةِ حَجَّيِ النَّبِيِّ وَزَكَرِيَّا بْنِ عِدُّو. فَبَنَوْا وَأَكْمَلُوا **حَسَبَ أَمْرِ إِلهِ إِسْرَائِيلَ وَأَمْرِ كُورَشَ وَدَارِيُوسَ وَأَرْتَحْشَسْتَا مَلِكِ فَارِسَ**" (عزرا 6: 14).

المرسومان الأولان يتعلقان فقط ببناء الهيكل، لكن مرسوم أرتحشستا كان يشتمل على تجديد أورشليم بأكملها ومنح شعبها الاستقلالية التامة ليحكم نفسه وفقًا لشريعة الله. صدر هذا المرسوم عام 457 قبل الميلاد. عندما نجمع كل هذه المعلومات ونضعها معًا، يمكننا تصويرها كما هو موضح في الصفحة الأخيرة من هذا الفصل.

هذه المعلومات معقدة إلى حد ما، لكن الهدف من سردها هو أن نُظهر من نبوات دانيال أن هناك وقتًا محددًا لعملية الدينونة قبل مجيء المسيح. ومشهد الدينونة الوارد ذكره في دانيال 7 عندما يتم ربطه بالنبوات الواردة في دانيال 8 ودانيال 9 سنكتشف أنه يبدأ في سنة 1844 ميلادية. وهو الوقت الذي فُتِحت فيه الأسفار وبدأت الدينونة. لقد بدأ في سنة 1844 ما يُعرَف بأزمنة النهاية الحقيقية، وذلك لعدم وجود نبوات زمنية أخرى بعدها واقتراب العالم من النهاية. والشيء المثير للاهتمام أن هذا الوقت هو وقت حدوث الثورة الصناعية، فنرى أنه خلال الـ 150 سنة الماضية تغيرت أشياء أكثر من الـ 1800 سنة التي سبقت 1844. ولم يسبق للإنسان على الإطلاق امتلاك القدرة على تدمير العالم الذي يعيش فيه بهذا الشكل.

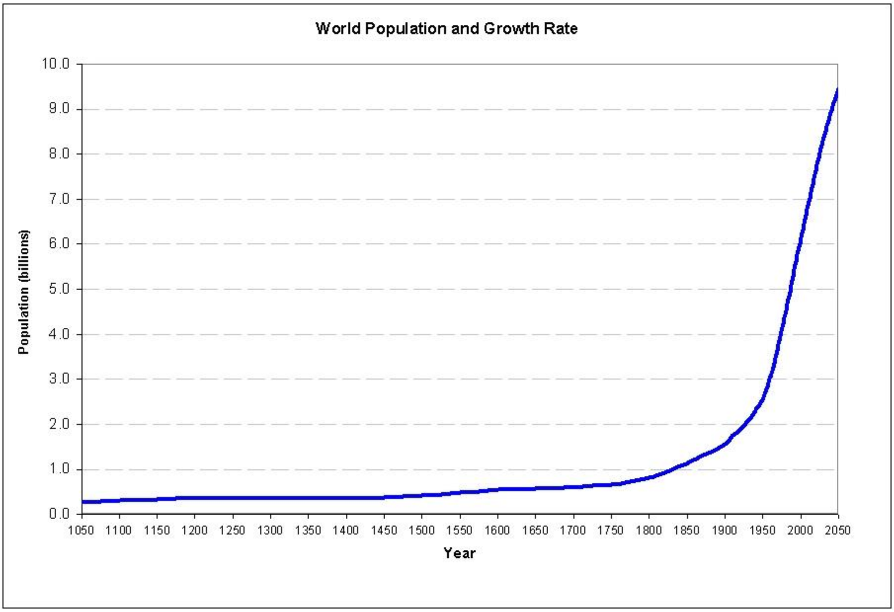

أما بعد عام 1844 فهو ما يُشار إليه في النص التالي:

"أَمَّا أَنْتَ يَا دَانِيآلُ فَأَخْفِ الْكَلاَمَ وَاخْتِمِ السِّفْرَ إِلَى وَقْتِ النِّهَايَةِ. **كَثِيرُونَ يَتَصَفَّحُونَهُ وَالْمَعْرِفَةُ تَزْدَادُ**" (دانيال 12: 4).

كما نجد تأكيدًا على حدوث هذه الدينونة في رسالة الملاك الأول الواردة في رؤيا 14.

"ثُمَّ رَأَيْتُ مَلاَكًا آخَرَ طَائِرًا فِي وَسَطِ السَّمَاءِ مَعَهُ بِشَارَةٌ أَبَدِيَّةٌ، لِيُبَشِّرَ السَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ وَكُلَّ أُمَّةٍ وَقَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ، قَائِلًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: **خَافُوا اللهَ وَأَعْطُوهُ مَجْدًا، لأَنَّهُ قَدْ جَاءَتْ سَاعَةُ دَيْنُونَتِهِ**، وَاسْجُدُوا لِصَانِعِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَالْبَحْرِ وَيَنَابِيعِ الْمِيَاهِ" (رؤيا 14: 6 و7).

السؤال الكبير الذي ينبغي أن يُطرح هو: لماذا يُصوَّر الله على أنه يُشرِف على جلسة محكمة تُفتَح فيها أسفار وسجلات ويواجه فيها الناس دينونة مع أن الرب يسوع قال أنه لا هو ولا أبيه يدين أحدًا؟ يسألنا يسوع السؤال التالي:

"فَقَالَ لَهُ: يَا إِنْسَانُ، مَنْ أَقَامَنِي عَلَيْكُمَا قَاضِيًا أَوْ مُقَسِّمًا؟" (لوقا 12: 14).

تاريخ الدينونة

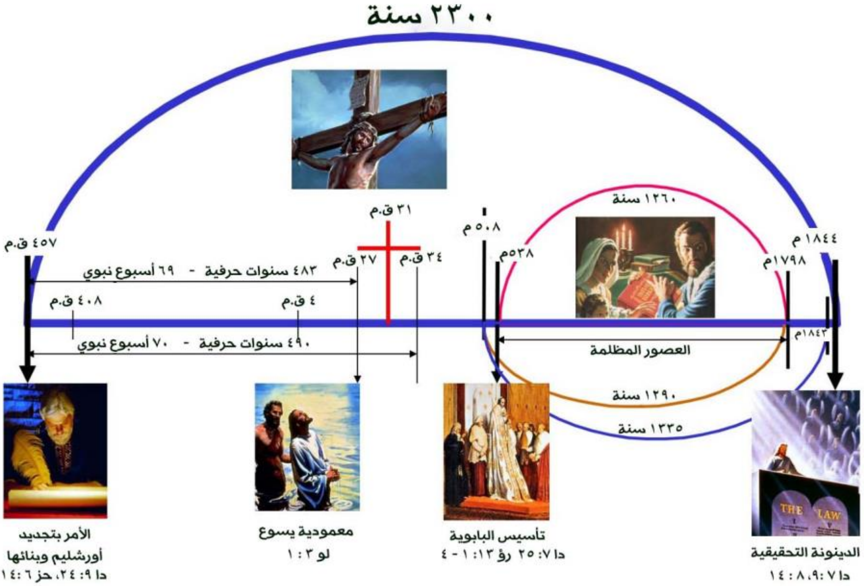

16. أَنَّكَ تَرَكْتَ مَحَبَّتَكَ الأُولَى

في الليلة التي سبقت موت يسوع، كانت تجري بين التلاميذ محادثات مثيرة للاهتمام.

> "**وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ أَيْضًا مُشَاجَرَةٌ مَنْ مِنْهُمْ يُظَنُّ أَنَّهُ يَكُونُ أَكْبَرَ.** فَقَالَ لَهُمْ: مُلُوكُ الأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ، **وَالْمُتَسَلِّطُونَ عَلَيْهِمْ يُدْعَوْنَ مُحْسِنِينَ.** وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَيْسَ هكَذَا، بَلِ الْكَبِيرُ فِيكُمْ لِيَكُنْ كَالأَصْغَرِ، وَالْمُتَقَدِّمُ كَالْخَادِمِ" (لوقا 22: 24 – 26).

تخيل حزن المسيح وهو يستمع إلى تلاميذه وهم يتشاجرون فيما بينهم مَنْ منهم ينبغي أن يكون الأعظم. يشير ذلك إلى أن التلاميذ كلهم كانوا يدينون واحدهم الآخر فيما يتعلق بمَنْ الذي يحق له الخدمة في المنصب الأعلى. ولم يكونوا قادرين إطلاقًا على رؤية الآلام التي بدأ الرب يسوع في الإحساس بها بالفعل، متجاهلين عن عمد وقصد ما كان على وشك الحدوث.

وفي وقت لاحق من تلك الليلة عندما حاول يسوع إيقاظ بطرس وتنبيهه للخطر الذي يحيق به، نجد أن بطرس يقارن نفسه مرة أخرى بالآخرين، مُصدِرًا بذلك حكمه وإدانته عليهم.

> "فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: وَإِنْ شَكَّ فِيكَ الْجَمِيعُ فَأَنَا لاَ أَشُكُّ أَبَدًا" (متى 26: 33).

إذا كان أتباع يسوع المقرَّبين له لم يزالوا ممتلئين بهذه الروح ويدينون الآخرين ويعتبرونهم أقل منزلة منهم، يتضح جليًا أن مسألة الدينونة والحكم على الآخرين متأصلة بعمق في قلب الإنسان.

ولكن بعد صلب المسيح وقيامته، تغير التلاميذ تغييرًا تامًا. فقد تواضعوا أمام الله وأمام واحدهم الآخر وقبلوا انسكاب الروح في يوم الخمسين.

> "وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ **كَانَ الْجَمِيعُ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ**، وَصَارَ بَغْتَةً مِنَ السَّمَاءِ صَوْتٌ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَمَلأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ" (أعمال 2: 1 و2).

نقرأ كلمات بطرس بعد هذا الوقت:

> "ارْعَوْا رَعِيَّةَ اللهِ الَّتِي بَيْنَكُمْ نُظَّارًا، لاَ عَنِ اضْطِرَارٍ بَلْ بِالاخْتِيَارِ، وَلاَ لِرِبْحٍ قَبِيحٍ بَلْ بِنَشَاطٍ، وَلاَ كَمَنْ يَسُودُ عَلَى الأَنْصِبَةِ، بَلْ صَائِرِينَ أَمْثِلَةً لِلرَّعِيَّةِ" (بطرس الأولى 5: 2 و3).

إن محاولة فرض السيطرة على الآخرين وإصدار الأحكام عليهم هي تجربة يمكنها التغلب علينا بسهولة، ولا سيما عندما تواجه الكنيسة التحديات المتعلقة بالتعاليم الكاذبة. واجهت

كنيسة أفسس تحديًا كبيرًا فيما يختص بموضوع العقيدة والتعليم، ونلاحظ كلمات الرب يسوع حول هذه المسألة.

"أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ وَتَعَبَكَ وَصَبْرَكَ، وَأَنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَحْتَمِلَ الأَشْرَارَ، **وَقَدْ جَرَّبْتَ الْقَائِلِينَ إِنَّهُمْ رُسُلٌ وَلَيْسُوا رُسُلًا، فَوَجَدْتَهُمْ كَاذِبِينَ**" (رؤيا 2: 2).

كلمة "جرَّبت" تدل على الفحص والتدقيق. لقد رد قادة كنيسة أفسس على المعلمين الكاذبين بروح الفحص والتدقيق والدينونة. وقد نجح القادة في تفنيد البدعة التي كانت تسعى لدخول الكنيسة، لكن ذلك تطلب ثمنًا باهظًا.

"لكِنْ عِنْدِي عَلَيْكَ: **أَنَّكَ تَرَكْتَ مَحَبَّتَكَ الأُولَى.** فَاذْكُرْ مِنْ أَيْنَ سَقَطْتَ وَتُبْ، وَاعْمَلِ الأَعْمَالَ الأُولَى، وَإِلاَّ فَإِنِّي آتِيكَ عَنْ قَرِيبٍ وَأُزَحْزِحُ مَنَارَتَكَ مِنْ مَكَانِهَا، إِنْ لَمْ تَتُبْ" (رؤيا 2: 4 و5).

في سعيهم لتطهير الكنيسة من التعاليم الخاطئة، فقد القادة محبتهم الأولى. سهل جدًا أن نبدأ في التحذير من الأشخاص الذين يحملون أفكارًا نعلم أنها خاطئة. صحيح أننا بحاجة إلى قول الحق ومقارنته بالتعاليم الخاطئة، ولكن عندما نبدأ في إقصاء الناس وإبعادهم، نبدأ في فقدان محبتنا لهم. فما يحدث هو أننا ننتقل من محبتنا الأولى وشغفنا بالكرازة بالإنجيل إلى رغبة مستمرة في الدفاع ضد البدع والهرطقات. ونرى هذا الإتجاه في الكنيسة الأولى في العدد الكبير من الكتب التي كُتِبت للتحذير ضد فرق معينة، على سبيل المثال كتب مثل: "ضد الوثنيين" ، "ضد المانويين" ، "ضد مرقيون" ، "ضد السابالية" ، "ضد أيونوميوس" "ضد فيجيلانتي"، إلخ.

كان فقدان المحبة الباذلة (أغابي) في كنيسة أفسس بمثابة ضربة مروعة للكنيسة. لم تُكتب رسائل الكنائس السبع إلى تلك الكنائس المحلية فحسب خلال تلك الفترة، بل كانت أيضًا نبوة للكنيسة في فترات زمنية متعاقبة من عصر الرسل حتى يومنا هذا. نحن نعلم هذا لأنه كان هناك أكثر من سبع كنائس في آسيا. فالكنائس التالية كانت هي أيضًا في آسيا: فريجيا وبامفيليا وغلاطية وبونتوس وكابادوكيا. لكن الكنائس السبع تم اختيارها لأنها تمثل الكنيسة المسيحية على مر جميع العصور منذ زمن المسيح.

"طُوبَى لِلَّذِي يَقْرَأُ وَلِلَّذِينَ يَسْمَعُونَ أَقْوَالَ النُّبُوَّةِ، وَيَحْفَظُونَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهَا، لأَنَّ الْوَقْتَ قَرِيبٌ" (رؤيا 1: 3).

يشير يوحنا إلى السفر بأكمله على أنه نبوة وليس فقط ابتداءًا من السبعة ختوم فصاعدًا. الرقم 7 هو رقم الكمال الروحي، ويحتل مكانًا بارزًا في أعمال الله، وقد ورد الرقم 7 أكثر من أي رقم آخر في الكتاب المقدس. نقرأ على سبيل المثال:

"وَفَرَغَ (أكمل) اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ" (تكوين 2: 2).

لذلك، تمثل الكنائس السبع تاريخ الكنيسة المُكتمِل أو المفروغ منه على الأرض منذ مجيء المسيح الأول وحتى مجيئه الثاني. علاوة على ذلك، تمثل السبعة ختوم العملية الكاملة المتمثلة في ختم كنيسة الله خلال نفس الفترة الزمنية. تأمل في التطور التالي للفكر في الكنائس:

الكنيسة	المعنى	التطور في الفهم المتعلق بالدينونة
1. أفسس (31 – 100 م)	المرغوبة	"**وَقَدْ جَرَّبْتَ الْقَائِلِينَ إِنَّهُمْ رُسُلٌ** وَلَيْسُوا رُسُلًا، فَوَجَدْتَهُمْ كَاذِبِينَ" (رؤيا 2: 10).
2. سميرنا (100 – 313 م)	ذات الرائحة الحلوة عندما تُدقّ أو تُكسَّر	"لاَ تَخَفِ الْبَتَّةَ مِمَّا أَنْتَ عَتِيدٌ أَنْ تَتَأَلَّمَ بِهِ. **هُوَذَا إِبْلِيسُ مُزْمِعٌ أَنْ يُلْقِيَ بَعْضًا مِنْكُمْ فِي السِّجْنِ لِكَيْ تُجَرَّبُوا**" (رؤيا 2: 10).
3. برغامس (313 – 538 م)	زواج كثير	"أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ، وَأَيْنَ تَسْكُنُ حَيْثُ **كُرْسِيُّ الشَّيْطَانِ**" (رؤيا 2: 13).
4. ثياتيرا (538 – 1519 م)	ينبري أو يبلى	"وَمَنْ يَغْلِبُ وَيَحْفَظُ أَعْمَالِي إِلَى النِّهَايَةِ **فَسَأُعْطِيهِ سُلْطَانًا عَلَى الأُمَمِ، فَيَرْعَاهُمْ بِقَضِيبٍ مِنْ حَدِيدٍ، كَمَا تُكْسَرُ آنِيَةٌ مِنْ خَزَفٍ**، كَمَا أَخَذْتُ أَنَا أَيْضًا مِنْ عِنْدِ أَبِي" (رؤيا 2: 26 و27).
5. ساردس (1519 – 1798 م)	الأمور المتبقية	"مَنْ يَغْلِبُ فَذلِكَ سَيَلْبَسُ ثِيَابًا بِيضًا، **وَلَنْ أَمْحُوَ اسْمَهُ مِنْ سِفْرِ الْحَيَاةِ**، وَسَأَعْتَرِفُ بِاسْمِهِ أَمَامَ أَبِي وَأَمَامَ مَلاَئِكَتِهِ" (رؤيا 3: 5).
6. فيلادلفيا (1798 – 1844 م)	المحبة الأخوية	"هنَذَا أَجْعَلُ الَّذِينَ مِنْ مَجْمَعِ الشَّيْطَانِ، مِنَ الْقَائِلِينَ إِنَّهُمْ يَهُودٌ وَلَيْسُوا يَهُودًا، بَلْ يَكْذِبُونَ، **هنَذَا أُصَيِّرُهُمْ يَأْتُونَ وَيَسْجُدُونَ أَمَامَ رِجْلَيْكَ**، وَيَعْرِفُونَ أَنِّي أَنَا أَحْبَبْتُكَ" (رؤيا 3: 9).
7. لاودكية (1844 – وحتى الوقت الحالي)	حقوق الشعب أو دينونة الشعب	"لأَنَّكَ تَقُولُ: إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ، وَلاَ حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ، وَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ الشَّقِيُّ وَالْبَئِسُ وَفَقِيرٌ وَأَعْمَى وَعُرْيَانٌ" (رؤيا 3: 17).

من المثير جدًا للاهتمام أن القادة في كنيسة أفسس كانوا يفحصون الآخرين ويدينونهم، ثم انعكست هذه الروح مرة أخرى على الكنيسة في الحقبة التالية عندما جُرِّبت الكنيسة وأُدينت بواسطة العالم. الكلمة اليونانية نفسها تُستَخدم للإشارة إلى هاتين الكنيستين. هل أحدثت روح الحكم على الآخرين وإدانتهم فجوة في الكنيسة مما أدى بعد ذلك إلى تعرضها لما كانت تفعله بالآخرين من قبل؟ (راجع متى 7: 1).

بسبب الاضطهاد الذي تعرضت له الكنيسة في عهد سميرنا، كانت الكنيسة مستعدة للمساومة وتقديم التنازلات والحصول على مقعد على طاولة روما. كلمة برغامس تعني الزواج الفعلي، وفي تلك الفترة اتحدت الكنيسة بالدولة وبدأت في الجلوس على كرسي دينونة الشيطان. أدى ذلك إلى تمكين الشيطان من تأسيس كرسي دينونته داخل الكنيسة في الحقبة الثالثة من تاريخ الكنيسة المسيحية.

عندما تأسس كرسي دينونة الشيطان، احتضنت الكنيسة خلال العصور المظلمة روح الدينونة المسيح احتضانًا شديدًا لدرجة أن المسيح يقول عنها أنها أصبحت متسلطة على الأمم، وتحكم بقبضة حديدية وتسحق أولئك الذين يقاومون سلطتها. واجه الكثيرون من أبناء الله الحقيقيين دينونة وحُكِم عليهم بعقوبة الموت خلال تلك الفترة. لقد سيطرت روح الدينونة والحكم على الآخرين والقتل بالكامل على الكنيسة المسيحية خلال هذه الحقبة.

هذا هو السياق الوارد في دانيال 7 والعظائم التي يتكلم بها القرن الصغير.

> "كُنْتُ مُتَأَمِّلًا بِالْقُرُونِ، وَإِذَا بِقَرْنٍ آخَرَ صَغِيرٍ طَلَعَ بَيْنَهَا، وَقُلِعَتْ ثَلاَثَةٌ مِنَ الْقُرُونِ الأُولَى مِنْ قُدَّامِهِ، وَإِذَا بِعُيُونٍ كَعُيُونِ الإِنْسَانِ فِي هذَا الْقَرْنِ، وَفَمٍ مُتَكَلِّمٍ بِعَظَائِمَ" (دانيال 7: 8).
>
> "وَكُنْتُ أَنْظُرُ وَإِذَا هذَا الْقَرْنُ **يُحَارِبُ الْقِدِّيسِينَ فَغَلَبَهُمْ، حَتَّى جَاءَ الْقَدِيمُ الأَيَّامِ، وَأُعْطِيَ الدِّينُ لِقِدِّيسِي الْعَلِيِّ**، وَبَلَغَ الْوَقْتُ، فَامْتَلَكَ الْقِدِّيسُونَ الْمَمْلَكَةَ" (دانيال 7: 21 و22).

> فدينونة الله هي في الواقع تبرئة (تزكئة) لشعبه من الإتهامات التي وجهها له الشيطان بواسطة قادة الكنيسة

أما السياق الخاص بالدينونة ابتداءًا من عام 1844 فهو رد على الإتهامات الموجهة إلى شعب الله من قبل قوة القرن الصغير التي كانت تحكم من كرسي الشيطان. فدينونة الله هي في الواقع تبرئة (تزكية) لشعبه من الإتهامات التي وجهها له الشيطان بواسطة قادة الكنيسة. وفي قصة المرأة التي أُمسِكت في ذات الفعل، نجد أن قادة اليهود حكموا عليها وأدانوها وأحضروها إلى يسوع كي يفحص قضيتها، لكن يسوع بدلاً من محاكمتها

وإدانتها قلب الحكم عليهم. وبطريقة مماثلة، بعد أن حكمت الكنيسة على العديد من الناس بالموت، فإن القديم الأيام يقلب الدينونة على الكنيسة. مَنْ الذي رأى الرحمة في محضر الرب يسوع قبل ألفي سنة في قصة تلك المرأة؟ ومَنْ الذي غادر وهو يشعر بالدينونة وتبكيت الضمير؟ مَنْ الذي سيرى الرحمة في دينونة القديم الأيام في نهاية الزمان؟ ومَنْ الذي سيرى نفسه مدانًا ومحكومًا عليه؟

بالنسبة لأولئك الذين لديهم إيمان يسوع ويرون صلاح الآب من خلال عيني ابنه، فإنهم لا يفهمون دينونة الله على أنها تعني الأحكام الصادرة بحق أبناء الله، بل أنها تعني الدفاع عن أبناء الله من الإتهامات التي يوجهها إليهم الشيطان من خلال قادة الكنيسة. يسمح الله بحدوث هذه الدينونة لأنها تكشف ما في قلوب أبناء الله عندما يواجهون محاكمة الشيطان التي يقوم بتنفيذها من خلال عملائه. فهل يثق أبناء الله به في هذه الدينونة، أم يتخلون عن ثقتهم بالله فيواجهون المحاكمة النارية؟

وبعد قرون عديدة من الاضطهاد، صرخ شعب الله حتى ينتقم الله لهم من أعدائهم بسبب ما فعلوه بحقهم. وقد ورد ذكر ذلك في الختم الخامس الذي يوازي الكنيسة الخامسة من الكنائس السبع.

> "وَلَمَّا فَتَحَ الْخَتْمَ الْخَامِسَ، رَأَيْتُ تَحْتَ الْمَذْبَحِ نُفُوسَ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ، وَمِنْ أَجْلِ الشَّهَادَةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُمْ، وَصَرَخُوا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلِينَ: حَتَّى مَتَى أَيُّهَا السَّيِّدُ الْقُدُّوسُ وَالْحَقُّ، لاَ تَقْضِي وَتَنْتَقِمُ لِدِمَائِنَا مِنَ السَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ؟" (رؤيا 6: 9 و10).

ذاقت الكنيسة الأمرين وملايين من شعبها قتلوا، إلا أن روح الانتقام بقيت بين شعب الله وكذلك رغبتهم أن يهلك الله أعداءهم. عندما ننظر إلى هذه الأحداث التاريخية، نصبح على دراية أكثر بطبيعة قلب الإنسان. من المؤكد أن أوائل المؤيدين في الكنيسة لاستخدام القوة من أجل السيطرة على الفكر البشري، مثل أوغسطينوس، لم يتخيلوا مقدار البشاعة والظلام الذي ستنتج عنه هذه الأفعال. لقد كنا بحاجة لهذه الأحداث التاريخية حتى نتعلم منها وكي تنكشف أمام أعيننا طبيعتنا الجسدانية عديمة الرحمة والمُحِبة للعنف والوحشية.

لم يستطع الله أن يخبرنا أن هذه هي صفاتنا، لأننا لم نكن لنصدقه أو نفهمه، مثل الطفل الذي لا يصدق والديه ويحتاج بالفعل للمس الشيء الساخن قبل أن يصدق أن يده ستحترق. لهذا سمح الله لبذرة الخطية أن تنمو حتى يرى الكون كله تطورها ويفهم ثمرها، وحتى يعرف أنه لا يوجد شيء إيجابي في الخطية ولا توجد شرعية لإتهامات الشيطان الموجهة ضد شريعة الله وحكمه. ولذلك يقول الكتاب عن الله أنه "هُوَ صَانِعٌ هَلاَكًا تَامًّا. لاَ يَقُومُ الضِّيقُ مَرَّتَيْنِ" (ناحوم 1: 9).

سميت كنيسة فيلادلفيا بكنيسة المحبة الأخوية. كانت هذه الكنيسة كنيسة صغيرة وضعيفة لكنها اتبعت الحق وكانت فيها محبة كثيرة. كلمات يسوع لهم – "هنَذَا أُصَيِّرُهُمْ يَأْتُونَ وَيَسْجُدُونَ أَمَامَ رِجْلَيْكَ" – تتحدث عن رغبتهم في اعتراف الآخرين بهم وتقديرهم. فعندما تكون صغيرًا وضعيفًا ومضطهدًا، تزداد التجربة المتعلقة بالرغبة في اعتراف الآخرين بمجهوداتك وتقديرهم لها. فنجد أن الرب يسوع يقدم كلمات التشجيع للمؤمنين في فيلادلفيا بلغة يستطيعون فهمها. فأعداؤهم سيسجدون أمامهم، والأخطاء التي تألموا بسببها ستُصحَّح. إنها لغة الحكم والدينونة.

لم يفهم المؤمنون في عهد كنيسة فيلادلفيا (التي انتهت حقبتها بحلول عام 1844) ما كان بقلوبهم. لقد كانوا يفهمون تطهير المَقدِس في ذلك الوقت على أنه يعني أن الرب يسوع سيأتي ويدين العالم، وأن الله سينتقم لهم من الأشرار، وأن مضطهديهم ورافضيهم سيعاقبون. ولكن عندما لم يحدث ذلك في يوم الكفارة سنة 1844، أصيبت هذه المجموعة العظيمة من المؤمنين، والتي تسمى بالمجيئيين، بخيبة أمل كبيرة، وقد أصبح هذا الحدث معروفًا بـ "خيبة الأمل العظمى". بسبب الطريقة التي ظنوا أن الله سيتصرف بها في عام 1844، أراد الله منهم أن يفكروا في صفاتهم المُحبة للدينونة، ولكن للأسف، فمعظمهم تركوا الإيمان وظلوا محتفظين بتلك العيوب التي كانت متأصلة في قلب الإنسان ولم تُشفَ. لقد تُرِكت هذه البذرة للكنيسة الأخيرة لتنكشف تمامًا ويتم التعامل معها من قبل البشر.

الكنيسة الأخيرة هي كنيسة لاودكية التي تعني دينونة الشعب، فهي كنيسة الدينونة. فالميراث البشري المتعلق بالدينونة والإدانة يصل ذروته في هذه الكنيسة. ويرسل الله من خلالها رسالة إلى العالم معلنًا أن الدينونة قد بدأت. وفي هذه الدينونة يُرى الله كأنه يصعد إلى كرسي الدينونة ليصل إلى سجلات الحياة الخاصة بأولئك الذين إدعوا الإيمان بالمسيح.

كيف يفهم شعب الله هذه الدينونة؟ يتوقف ذلك على كيفية فهمهم لصفات الله. إذا كانوا يرون الله كمدعي عام يتصفح السجلات ليمحو أولئك الذين لا يحصلون على الدرجات الكافية، فإنهم بطبيعة الحال سيتطبّعون بهذه الصفات أثناء تعاملهم مع إخوتهم في البشرية. هذه الكنيسة تحكم على نفسها بأنها "غنية وقد استغنيت ولا حاجة لها إلى شيء" وتعتبر نفسها متفوقة على الآخرين.

بسبب روح الدينونة هذه، يجب على الرب أن يكشف لنا ما في قلوبنا وذلك بسماحه لنا أن نوجه إليه صفة القاضي الديان الذي سيدين ويهلك أولئك الذين يرفضون الحق كما يعرفه المؤمنون. وفي نفس الوقت، فمَن هم على دراية بصفات الله الحقيقية سيؤمنون أن الله هو الذي يدافع عنهم ضد إتهامات الشيطان. وهذا الإتهامات توجَّه إليهم إما بشكل مباشر بإخبارهم أنهم خطاة ميؤوس منهم ولن يحققوا أبدًا الانتصار، أو إنها توجَّه من قبل أعضاء الكنيسة الذين يرون أن النور الجديد المتعلق بصفات الله يمثل تهديدًا.

إن مشاهد الدينونة من سنة 1844 هي لقديسي الله كي يروا أنفسهم وما في قلوبهم حقًا. كما أنها تكشف أن هذا هو ما نرغب فيه بالطبيعة، وأن هذه هي العملية التي نظن أنها ضرورية لإنهاء الصراع العظيم.

الحقيقة هي أنه منذ عام 1844، نجد أن صفات الله على وجه التحديد وبالدرجة الأولى هي التي يُحكَم عليها وتُدان. الكلمات الواردة في رؤيا 14: 7 يمكننا أن تُقرأ بطريقتين:

> "قَائِلًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: خَافُوا اللهَ وَأَعْطُوهُ مَجْدًا، **لأَنَّهُ قَدْ جَاءَتْ سَاعَةُ دَيْنُونَتِهِ،** وَاسْجُدُوا لِصَانِعِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَالْبَحْرِ وَيَنَابِيعِ الْمِيَاهِ" (رؤيا 14: 7).

لقد جاءت ساعة دينونته! مَنْ الذي يقوم بعملية الدينونة؟ الله أم نحن؟ يخبرنا الرب يسوع أن الله لا يدين أحدًا، لذلك نحن من نحكم عليه وندينه، وكما ندين الله هكذا سنرى أن دينونته موجَّهة إلينا.

> "فَمَاذَا إِنْ كَانَ قَوْمٌ لَمْ يَكُونُوا أُمَنَاءَ؟ أَفَلَعَلَّ عَدَمَ أَمَانَتِهِمْ يُبْطِلُ أَمَانَةَ اللهِ؟ حَاشَا! بَلْ لِيَكُنِ اللهُ صَادِقًا وَكُلُّ إِنْسَانٍ كَاذِبًا. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: **لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي كَلاَمِكَ، وَتَغْلِبَ مَتَى حُوكِمْتَ**" (رومية 3: 3 و4).

كيف نحكم على الله أو ندينه؟ هل الله يدين الناس ويحكم عليهم ويقتلهم؟ أم أنه مثل يسوع الرحيم الرؤوف الشفوق الذي يحب أعداءه ويفعل الخير لمن يبغضونه؟ وكما تدين ...

17. نـهرٌ لامعٌ أم نـهرُ نـارٍ؟

يلعب دانيال الأصحاح السابع دورًا حاسمًا للغاية في نظرتنا إلى الله باعتباره القاضي الديان الذين يحكم على فاعلي الشر ويهلكهم. تصف الرؤيا الواردة في هذا الأصحاح تعاقب الممالك التي سيطرت على العالم وقهرت منافسيها. ثم نقرأ بعد ذلك عن قوة القرن الصغير التي تخرج من روما والتي قمنا بوصفها من قبل فصلين.

> "كُنْتُ مُتَأَمِّلًا بِالْقُرُونِ، وَإِذَا بِقَرْنٍ آخَرَ صَغِيرٍ طَلَعَ بَيْنَهَا، وَقُلِعَتْ ثَلاَثَةٌ مِنَ الْقُرُونِ الأُولَى مِنْ قُدَّامِهِ، وَإِذَا بِعُيُونٍ كَعُيُونِ الإِنْسَانِ فِي هذَا الْقَرْنِ، **وَفَمٍ مُتَكَلِّمٍ بِعَظَائِمَ"** (دانيال 7: 8).

ما هي بعض العظائم التي تكلم بها القرن الصغير؟

> "يتمتع البابا بكرامة عظيمة ومكانة سامية جدًا، فهو ليس مجرد إنسان، بل وكأنه الله ونائب الله ..." (المصدر - Lucius Ferraris، "Papa II"، Prompta Bibliotheca، Vol. VI، pp. 25–29).

> "يتمتع بطرس وخلفاؤه بالسلطة لفرض قوانين تعليمية وتحريمية، وكذلك لديهم السلطة الخاصة بمنح الإعفاء من هذه القوانين، وإلغائها عند الحاجة. **ومن حقهم الحكم على المخالفات المرتكبة ضد هذه القوانين وفرض العقوبات أو الصفح عنها. وتشمل هذه السلطة القضائية أيضًا قدرتهم على غفران الخطايا.** ذلك لأن الخطية هي انتهاك لقوانين المملكة السمائية، وتقع في دائرة اختصاص قضاتها المعينين" (الموسوعة الكاثوليكية، المجلد الثاني عشر، صفحة 265).

ادعى الباباوات أنهم آلهة على الأرض، وادعوا أن لديهم القوة والسلطان للحكم على منتهكي هذه القوانين وإدانتهم. وخلال هذه الفترة التي تُدعى بالعصور المظلمة، قامت البابوية، من خلال سلطات محاكم التفتيش، بالمراقبة والحكم والدينونة، مما أدى إلى تعرض ملايين الأشخاص إلى الموت في العديد من البلدان التي كانت تحكمها.

كانت نظرة الكنيسة الرومانية إلى الله تقوم على توجيه الحكم والدينونة للذين لم يتبعوا الإيمان والتعاليم كما حددوها هم. وفي نهاية فترة سيادتها وهيمنتها، يقول الكتاب أنها تُبلي أي تضطهد قديسي العلي (دانيال 7: 25)، وبعد ذلك تتغيّر الرؤيا إلى المشهد السماوي المتعلق بالدينونة.

> "كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ وُضِعَتْ عُرُوشٌ، وَجَلَسَ الْقَدِيمُ الأَيَّامِ. لِبَاسُهُ أَبْيَضُ كَالثَّلْجِ، وَشَعْرُ رَأْسِهِ كَالصُّوفِ النَّقِيِّ، وَعَرْشُهُ لَهِيبُ نَارٍ، وَبَكَرَاتُهُ **نَارٌ مُتَّقِدَةٌ.** نَهْرُ نَارٍ جَرَى وَخَرَجَ مِنْ قُدَّامِهِ. أُلُوفُ أُلُوفٍ تَخْدِمُهُ، وَرَبَوَاتُ رَبَوَاتٍ وُقُوفٌ قُدَّامَهُ. فَجَلَسَ الدِّينُ، وَفُتِحَتِ الأَسْفَارُ" (دانيال 7: 9 و10).

في هذا المشهد نرى جلسة محكمة تُفتَح فيها أسفار وسجلات للفحص، وجميع ملائكة السماء يجتمعون لمشاهدة هذا الحدث. لا تخبرنا هذه الرؤيا أن القديم الأيام تكلَّم ولو حتى بكلمة واحدة، لكنها ببساطة تنتقل إلى الحدث التالي.

"كُنْتُ أَنْظُرُ حِينَئِذٍ مِنْ أَجْلِ صَوْتِ الْكَلِمَاتِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا الْقَرْنُ. كُنْتُ أَرَى إِلَى أَنْ قُتِلَ الْحَيَوَانُ وَهَلَكَ جِسْمُهُ وَدُفِعَ لِوَقِيدِ النَّارِ. أَمَّا بَاقِي الْحَيَوَانَاتِ فَنُزِعَ عَنْهُمْ سُلْطَانُهُمْ، وَلكِنْ أُعْطُوا طُولَ حَيَاةٍ إِلَى زَمَانٍ وَوَقْتٍ" (دانيال 7: 11 و12).

يبدو في هذه الآية أن الله أدان أفعال القرن الصغير، وبعد ذلك أهلكه ودفعه لوقيد النار، لكن الآية لا تقول أن الله هو الذي فعل ذلك. فبما أن الآب لا يقول شيئًا، فإننا مدعوون لتمييز شخصية الآب هنا. الأمر يشبه الطريقة التي تعامل بها الرب يسوع مع تلاميذه.

"وَإِذَا امْرَأَةٌ كَنْعَانِيَّةٌ خَارِجَةٌ مِنْ تِلْكَ التُّخُومِ صَرَخَتْ إِلَيْهِ قَائِلَةً: ارْحَمْنِي، يَا سَيِّدُ، يَا ابْنَ دَاوُدَ! اِبْنَتِي مَجْنُونَةٌ جِدًّا. **فَلَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ.** فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: اصْرِفْهَا، لأَنَّهَا تَصِيحُ وَرَاءَنَا" (متى 15: 22 و23).

عندما التزم يسوع الصمت أثناء تعامله مع الامرأة الكنعانية، فسَّر التلاميذ هذا الصمت على أنه حكمًا أو دينونة أصدرت بحق هذه الامرأة. وقد تم التنبؤ عن هذا الحدث في الكلمات التالية من سفر المزامير:

"تَجْلِسُ تَتَكَلَّمُ عَلَى أَخِيكَ. لابْنِ أُمِّكَ تَضَعُ مَعْثَرَةً. **هذِهِ صَنَعْتَ وَسَكَتُّ. ظَنَنْتَ أَنِّي مِثْلُكَ.** أُوَبِّخُكَ، وَأَصُفُّ خَطَايَاكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ" (مزمور 50: 20 و21).

التزم يسوع الصمت حتى تنكشف صفات التلاميذ الحقيقية. وهذا هو ما يحدث في دانيال الأصحاح السابع. فالآب يلتزم الصمت وبعد ذلك تقع سلسلة من الأحداث. ونلاحظ أنه بسبب الكلمات التي تكلم بها القرن، قُتِل الحيوان (الوحش) وهلك جسمه ودُفِع لوقيد النار.

"كُنْتُ أَنْظُرُ حِينَئِذٍ **مِنْ أَجْلِ صَوْتِ الْكَلِمَاتِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا الْقَرْنُ.** كُنْتُ أَرَى إِلَى أَنْ قُتِلَ الْحَيَوَانُ وَهَلَكَ جِسْمُهُ وَدُفِعَ لِوَقِيدِ النَّارِ" (دانيال 7: 11).

القرن الصغير المُشار إليه في دانيال الأصحاح السابع يرمز إلى المرأة الجالسة على وحش في رؤيا الأصحاح السابع عشر. ترمز المرأة إلى الكنيسة (إرميا 6: 2)، والوحش الجالسة عليه يرمز إلى قوى العالم الحاكمة. والقرون العشرة هي عشرة ملوك يحكمون في نهاية تاريخ الأرض. كيف تهلك المرأة ومَنْ الذي يهلكها؟

"وَأَمَّا الْعَشَرَةُ الْقُرُونِ الَّتِي رَأَيْتَ عَلَى الْوَحْشِ فَهؤُلاَءِ سَيُبْغِضُونَ الزَّانِيَةَ، وَسَيَجْعَلُونَهَا خَرِبَةً وَعُرْيَانَةً، وَيَأْكُلُونَ لَحْمَهَا وَيُحْرِقُونَهَا بِالنَّارِ" (رؤيا 17: 16).

نرى هنا أن القرن الصغير والمرأة الجالسة على الوحش كلاهما محترقين بالنار. تخبرنا الآية السابقة أن ملوك الأرض هم الذين يُهلِكون المرأة، ويمثلون نفس القوة التي لدى القرن الصغير. وهذا يعني أن الله لا يهلك القرن الصغير، بل يهلك القرن الصغير نفسه بالكلمات العظيمة التي يتكلم بها.

"مَعْرُوفٌ هُوَ الرَّبُّ. قَضَاءً أَمْضَى. الشِّرِّيرُ يَعْلَقُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ" (مزمور 9: 16).

"فَسَكَبْتُ سَخَطِي عَلَيْهِمْ. **أَفْنَيْتُهُمْ بِنَارِ غَضَبِي. جَلَبْتُ طَرِيقَهُمْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ،** يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ" (حزقيال 22: 31).

يعرفنا الله بالطريقة التي يسير بها سخطه. فهو يسمح للقرارات التي يتخذها الأفراد والكنائس والأمم بأن ترتد مرة أخرى على الأشخاص الذين يتخذون هذه القرارات سواء كانت خيرًا أو شرًا. لا يتدخل الله لاستخدام القوة، بل يسمح للأحداث باتباع مسارها الطبيعي حتى يحصد الإنسان ما يزرعه عندما يأتي وقت الحصاد.

"لاَ تَضِلُّوا! اَللهُ لاَ يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا. لأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِجَسَدِهِ فَمِنَ الْجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَادًا، وَمَنْ يَزْرَعُ لِلرُّوحِ فَمِنَ الرُّوحِ يَحْصُدُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً" (غلاطية 6: 7 و8).

ومثلما أحضر الفريسيون الامرأة إلى المسيح للحكم عليها وإدانتها لكنه لم يقل شيئًا سوى الكتابة على الأرض، فإن القديم الأيام في الدينونة أيضًا لا يقول شيئًا سوى الكتابة بهدوء على تراب قلوب البشر، حتى يدركوا حقيقة ما يفعلونه فيتوبوا أو يستمروا في عنادهم وتمردهم فيَهلِكون أنفسهم.

عندما ننظر إلى مشهد العرش، نتخيل أن الله يقف كقاضٍ لإصدار حكمه على فاعلي الشر. لذلك نرى النار الخارجة منه على أنها لهيب نار يُرسَل لإنذار الأشرار بأنهم على وشك أن يدفعوا ثمن جرائمهم بقوة عنيفة تخرج من عرش الله.

"نَهْرُ نَارٍ جَرَى وَخَرَجَ مِنْ قُدَّامِهِ" (دانيال 7: 10).

الكلمات "نهرُ نارٍ" يمكن ترجمتها إلى "نهر لامع". تمكننا هذه الفكرة من التعرف على مشاهد أخرى متعلقة بالعرش.

"وَقُدَّامَ الْعَرْشِ **بَحْرُ زُجَاجٍ شِبْهُ الْبَلُّورِ**" (رؤيا 4: 6).

"وَأَرَانِي **نَهْرًا صَافِيًا مِنْ مَاءِ حَيَاةٍ لاَمِعًا كَبَلُّورٍ**، خَارِجًا مِنْ عَرْشِ اللهِ وَالْخَرُوفِ" (رؤيا 22: 1).

النهر الخارج من عرش الله هو نهر الحياة اللامع. أينما يجري هذا النهر توجد حياة.

"وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ حَيَّةٍ تَدِبُّ حَيْثُمَا يَأْتِي النَّهْرَانِ تَحْيَا" (حزقيال 47: 9).

إن التزام الآب الصمت في مشهد العرش هذا يدعونا للحكم على الطريقة التي يتعامل بها مع الموقف. عندما ننظر إلى هذا المشهد، نرى أن ساعة دينونته قد جاءت" (رؤيا 14: 7). نحن مَنْ نقرر حقيقة صفاته في تلك اللحظة. فهل ننظر إلى الآب من خلال الكلمات التي قالها ابنه عنه (يوحنا 5: 22)؟ أم أننا ننظر إلى الآب من خلال الطبيعة التي أُعطيت لنا من آدم – الطبيعة التي تدين وتحكم إلى الدينونة (رومية 5: 16)؟

نتذكر كما أشرنا في الفصل الأخير أن روح الدينونة دخلت إلى الكنيسة بعد فترة قصيرة من خدمة المسيح على هذه الأرض. فقد نجح الشيطان في تأسيس كرسي دينونته في الكنيسة وبدأ في الحكم على المؤمنين وإدانتهم. لكن أفعال العلي في الدينونة تتمثل في الدفاع عن أبناء الله ضد الإتهامات الموجَّهة ضدهم بواسطة القرن الصغير.

> "وَكُنْتُ أَنْظُرُ وَإِذَا هذَا الْقَرْنُ يُحَارِبُ الْقِدِّيسِينَ فَغَلَبَهُمْ، **حَتَّى جَاءَ الْقَدِيمُ الأَيَّامِ، وَأُعْطِيَ الدِّينُ لِقِدِّيسِي الْعَلِيِّ**، وَبَلَغَ الْوَقْتُ، فَامْتَلَكَ الْقِدِّيسُونَ الْمَمْلَكَةَ" (دانيال 7: 21 و22).

فالله لا يقاضي أو يضطهد أحدًا، ولكنه ببساطة يدافع عن أبنائه المخلصين ضد إتهامات الشيطان الموجَّهة لهم.

إن الدينونة تختبر قلوب أبناء الله. ففكرة جلوس الله كقاضٍ يمكنها أن تقود البشر إلى إسقاط رغبتهم الطبيعة في الحكم والإدانة على الله في الدينونة. فنحن بطبيعتنا البشرية نرغب في إدانة الآخرين ونريد الموت والهلاك لأعدائنا، فنُسقِط هذه الأفكار على الله ونظن أنه هو أيضًا يرغب في إدانة أعدائه وقتلهم. لكن الله ليس بهذه الصورة. فالله لا يقاضي أو يضطهد أحدًا، ولكنه ببساطة يدافع عن أبنائه المخلصين ضد إتهامات الشيطان الموجَّهة لهم.

إن الشيطان يشتكي عليهم ليلاً ونهارًا، ويهمس بإتهاماته في أذهانهم. أما القديسون فيصرخون إلى الله لينقذهم من هذه الإتهامات. وأبناء الله إما أن يصرخون إلى الله ليمنحهم النعمة والقوة، أو أنهم يبدأون في الحكم على الآخرين وإدانتهم كما يتصورون أن الله سيفعل بالنيابة عنهم. ما هي الطريقة التي ستتصرف بها في هذه الدينونة؟

إن القرن الصغير بسبب حكمه على الآخرين وإدانتهم، سوف يتعرَّض شخصيًا إلى الحكم والدينونة والهلاك في نهاية المطاف بسبب الكلام الذي يتكلم به والأفعال التي يقوم بها. فالله لا يُشمَخ عليه. فإذا زرع الإنسان بذار الحكم والدينونة، فإنه سيواجه أيضًا حكمًا ودينونة.

فلنتبع إذن كلمات الرب يسوع وتوجيهاته وأن لا ندين أحدًا (متى 7: 1). الخيار لنا فيما يتعلق بالدور الذي سنلعبه في هذا الحكم.

18. لغة قوى الشر

قبل موته بفترة قصيرة نطق يسوع بهذه الكلمات التي تقطّع القلب:

"إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟ أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟" (متى 27: 46).

الكلمات التي قالها يسوع لم تكن عبرانية بل آرامية. دفع هذا الكثيرين إلى الاعتقاد بأن يسوع كان يتحدث في معظم الأحيان باللغة الآرامية. كانت هذه سمة بارزة في فيلم "آلام المسيح" الذي قام بإخراجه الممثل والمُخرِج الأمريكي ميل جيبسون.

هناك الكثير من الأدلة التي تؤكد على أن اللغة العبرانية كانت منتشرة على نطاق واسع في زمن المسيح. ونعرف ذلك من اللوحة التي عُلِقت فوق رأس المسيح أثناء صلبه، وأيضًا من خلال الطريقة التي خاطب بها بولس جمهور المستمعين إليه.

"وَكَتَبَ بِيلاَطُسُ عُنْوَانًا وَوَضَعَهُ عَلَى الصَّلِيبِ. وَكَانَ مَكْتُوبًا: «يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ مَلِكُ الْيَهُودِ ». فَقَرَأَ هذَا الْعُنْوَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ، لأَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي صُلِبَ فِيهِ يَسُوعُ كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ. **وَكَانَ مَكْتُوبًا بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَالْيُونَانِيَّةِ وَالّلاَتِينِيَّةِ**" (يوحنا 19: 19 و20).

"فَلَمَّا أَذِنَ لَهُ، وَقَفَ بُولُسُ عَلَى الدَّرَجِ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الشَّعْبِ، فَصَارَ سُكُوتٌ عَظِيمٌ. **فَنَادَى بِاللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ** قَائِلًا ..." (أعمال 21: 40).

وعندما كلّم يسوع بولس وهو في طريقه إلى دمشق، كلمه بالعبرانية:

"**فَلَمَّا سَقَطْنَا جَمِيعُنَا عَلَى الأَرْضِ، سَمِعْتُ صَوْتًا يُكَلِّمُنِي وَيَقُولُ بِاللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ:** شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟ صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ" (أعمال 26: 14).

ووصف الأماكن مثل "جباثا" و"جلجثة" هي أيضًا بلسان عبراني (راجع يوحنا 5: 2 ؛ 19: 13 و17 ؛ رؤيا 9: 11 و16: 16).

جدير بالذكر أن العديد من الترجمات الحديثة غيَّرت الكلمة اليونانية المستخدمة للإشارة إلى العبرانية، وترجمتها على أنها تعني الآرامية.

"فَلَمَّا سَقَطْنَا جَمِيعُنَا عَلَى الأَرْضِ، **سَمِعْتُ صَوْتًا يُكَلِّمُنِي وَيَقُولُ بِاللُّغَةِ الْآرامية:** شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟ صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ" (أعمال 26: 14 – الترجمة العالمية الجديدة).

يحاول علماء اللغة الكتابيين تبرير هذا التغيير في الكلمة فيقولون أنه قد تم الاستغناء التدريجي

عن اللغة العبرانية بصفتها اللغة الشائعة، وأن التعبير عن اللغة العبرانية في النص يشير ببساطة إلى اللغة الشائعة في ذلك الوقت ألا وهي الآرامية. إلا أن هذا يغير معنى الكلمة نفسها وينفي الإشارة الواضحة إلى اللغة العبرانية في النص. فالعبرانية والآرامية لغتان مختلفتان ومنفصلتان، وكان الاقتباس من أسفار الوحي المقدسة ينبغي أن يتم بالعبرانية لأنه لم تكن هناك توراة آرامية في ذلك الحين.

يصبح هذا الموقف أكثر إثارة للاهتمام عندما ننظر إلى الطريقة التي يفكر بها اليهود عن الآرامية.

> لقد ميَّز اليهود أنفسهم تمييزًا واضحًا بين العبرانية والآرامية. لم تكن اللغة العبرانية هي لغة العلوم والآداب فحسب، بل تم أيضًا اعتبارها لغة الحياة اليومية الاعتيادية. ووفقًا للمشناه، لا مكانة للغة الآرامية في أرض إسرائيل. إما اللغة المقدسة (العبرانية) أو اللغة اليونانية. ولم تكن للغة الآرامية "هيبة" ولم نُأمر بتقديم الولاء لها، كما قال صفري وشتيرن، بينما كانت اللغة العبرانية تتمتع بهذين الأمرين. وحتى في أزمنة التلمود المتأخرة، كان ممنوعًا إخراج مخطوطة آرامية محترقة من النار في يوم السبت، إلا أن ذلك كان مسموحًا إذا كانت المخطوطة مكتوبة بنص عبراني. وكان الخروج من المجمع أثناء قراءة الأسفار المقدسة العبرانية ممنوعًا، ولكن ذلك كان مسموحًا إذا كانت القراءة باللغة الآرامية. بل أن حفظ أسفار الوحي باللغة الآرامية لم يكن كافيًا، في حين أن مجرد الاستماع إليها باللغة العبرانية، دون فهم كلمة واحدة منها، كان يعد تتميمًا لواجبات المرء".
>
> بالنسبة للشعب اليهودي، كانت اللغة العبرانية هي "اللغة المقدسة"، بينما كانت الآرامية تعتبر "لغة قوة الشر" [من زوهار]. لا يعني ذلك أن الآرامية رُفضِت رفضًا تامًا، بل كانت تُعتبر لغة ثانوية للغة العبرانية - "لغة الآباء" الحقيقية ووسيلة الكلام المحكي. ولذلك يصرح التلمود اليروشليمي بالقول:
>
> "أربع لغات لها قيمة: اليونانية للغناء، واللاتينية للحرب، والآرامية للرثاء والألحان الحزينة، والعبرانية للكلام".
>
> لقد كان مكان اللغة الآرامية هو الرثاء والألحان الحزينة، أما العبرانية فكانت مكانتها مرتفعة وكانت تستخدم كلغة المحادثات اليومية والعبادة. ولذلك إذا لم يتحدث الأب اليهودي مع ابنه باللغة العبرانية منذ نعومة أظافره من وقت لآخر وتعليمه الشريعة، فكأنه دفنه. أما فيما يتعلق بالآرامية، فقد حذّر الحاخامات، على النقيض من ذلك، قائلين:

"مَنْ يقدم طلبات شخصية [في الصلاة] باللغة الآرامية، لا تنبته الملائكة الخادمة له، لأن الملائكة لا يفهمون اللغة الآرامية".

هذا، بالطبع، ليس موقفًا كتابيًا رسميًا، ولكنه يعكس فقط مشاعر علماء اليهود السلبية تجاه الآرامية. وهناك حادثة أخرى تتعلق بغمالائيل الذي تلقى بولس تعليمه تحت قدميه (أعمال 22: 3)، والذي دونت كلماته الثاقبة بخصوص المسيحيين في أعمال 5: 34 – 40، وهو جالس على أعتاب الهيكل غير المكتمل. فأراه شخص ما نسخة من الترجمة الآرامية لسفر أيوب، وهي الترجمة الأولى والوحيدة لذلك السفر في ذلك الحين. لكنه شعر بالاشمئزاز الشديد منها لدرجة أنه طلب من الباني أن "يدفنها تحت الأنقاض". هذا هو الاعتبار الذي حظيت به تلك المحاولة الرائدة لترجمة جزء من الكتاب المقدس إلى الآرامية في اليهودية في زمن يهوشاوا (يسوع).[20]

إذا كان اليهود يستخدمون الآرامية للرثاء على الموتى، وإذا كانت الآرامية تُرى على أنها "لغة قوى الشر"، فإننا نرى أن استخدامها يمكن أن يشير إلى تأثير الحضور غير المرغوب فيه.

عندما كان يسوع على الصليب يصارع الموت، كان يحمل ثقل خطايا العالم. وكان محاطًا برجال أشرار يسخرون منه، وطوال الوقت كان الشيطان يضغط على قلبه فكرة أن أبيه قد تركه. والكلمات التي نطق بها يسوع بالآرامية وهو على الصليب وهول الظلمة التي كانت تكتنفه تبيّن لنا أن الآرامية هي لغة حزن ورثاء وموت.

نجد في هذا السياق أن لكتابة دانيال الأصحاح السابع باللغة الآرامية على عكس اللغة العبرانية التي كُتِب بها الأصحاح الثامن أهمية كبيرة.

ففي دانيال الأصحاح السابع يُرى الله من خلال سلطة خارجية. ولغة الدينونة والموت تُستخدم كعين يُرى من خلالها عمل الله في الدينونة. ولكن عندما يتم وصف الدينونة في دانيال الأصحاح الثامن فلا نجد مشهد دينونة ولا جلسة محكمة كما هو الحال في دانيال الأصحاح السابع. لكننا بكل بساطة نقرأ:

"فَقَالَ لِي: إِلَى أَلْفَيْنِ وَثَلاَثِ مِئَةِ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، **فَيَتَبَرَّأُ الْقُدْسُ**" (دانيال 8: 14).

"فَقالَ: سَيَبقَى هَذا ألفَيْنِ وَثَلاثَ مِئَةِ نَهارٍ وَلَيلَةٍ، **إلَى أنْ يُستَرَدَّ المَكانُ المُقَدَّسُ**" (دانيال 8: 14 – الترجمة العربية المبسطة).

---

[20] http://danielbenyaacovysrael.blogspot.com/2013/06/did-yehoshua-spoke-hebrew-or-aramaic.html

"فأجابه: إلى ألفين وثلاث مئة يوم **ثم يتطهر الهيكل**" (دانيال 8: 14 – الترجمة التفسيرية كتاب الحياة).

لا توجد في قدس الأُقداس بالمَقدِس كتب أو سجلات سوى الوصايا العشر وسفر الشريعة. ولا نجد أية رموز لمحكمة أو مشهد قضائي. لقد كُتِبت الأصحاحات 2 – 7 من سفر دانيال باللغة الآرامية لأنها تتكون من نبوات تعالج بشكل أساسي قضايا سياسية، وبالتالي فهي ذات أهمية للأمم (كانت الآرامية هي اللغة الشائعة والمهيمنة آنذاك). وفي دانيال الأصحاح السابع نجد أن هذه النظرة إلى الله باعتباره قاضي يجلس في قاعة محكمة حسب نظرة الإنسان له مذكورة باللغة الآرامية للتأكيد على أن هذه الفكرة هي فكرة غريبة عن فكر السماء، وأنها أعطيت للموضوع على قلبهم برقعًا (كورنثوس الثانية 3: 15)، لأن الآب لا يدين أو يحكم على أحد.

الآرامية هي مزيج من الكلدانية والعبرية. فهي تجمع بين لغة أورشليم ولغة بابل ولهذا مغزى كبير. فمشهد الدينونة في دانيال الأصحاح السابع يجمع بين دينونة الله ودينونة بابل.

أما في اللغة العبرانية التي كُتِب بها دانيال الأصحاح الثامن فما يتم وصفه هو تصحيح للأشياء التي حدث خللاً لها. فعندما ألقى آدم بالحكم والدينونة على الله لاعتقاده أن الله يريد أن يقتل زوجته، أحدث بذلك خللاً لهيكل عقله. ولم يكن في حالته الصحيحة.

وكما أن موت يسوع فتح أمام البشرية الاعتقاد بأن الله قد يغفر خطايانا بذبيحة لم تكن تعبر عن صفات الله، فإن البشر أيضًا من خلال تصوراتهم الخاطئة عن عملية الدينونة يعلمون ويفهمون أن الخطية سيتم معالجتها والتعامل معها بالطريقة الصحيحة. ولذلك فالإنسان مدعو بسبب هذا الاعتقاد لأن يقارن أفكاره المتعلقة بالدينونة بكلمات يسوع التي تخبرنا أن الله لا يدين أحدًا.

إن التزام الله الصمت في دانيال الأصحاح السابع بالإضافة إلى اللغة الآرامية المستعملة تغطي الآب بالغموض والظلام الذي ظن آدم أنه من صفات الله. ودليل آخر على ذلك هو أنه عندما كان يسوع على الصليب، وعندما حصل الانفصال الكامل بينه وبين أبيه وهو يحمل ثقل الخطية، صرخ قائلاً: "إلهي إلهي" بدلاً من "أبي أبي". فلم يقل: "أبي أبي، لماذا تركتني؟" إن يسوع، في كل مكان في الأناجيل الأربعة، يشير باستمرار إلى الله على أنه أبيه. لكن هذا هو المكان الوحيد الذي يدعو فيه يسوع الله "إلهي"، باستثناء الوقت الذي أراد فيه من مريم أن تفهم أن أبيه هو إلهه، وأنه هو أيضًا أبيها وإلهها (يوحنا 20: 17). الإنسان الذي عنده إيمان يسوع يرى الله باعتباره أبيه، أما الإنسان الذي لا يتخلى عن احتياجه للحكم على الآخرين وإدانتهم، فلن يرى الله، في ذلك اليوم الأخير، كأب بل سيراه كقاض ديان.

إذ ننظر إلى مشهد الدينونة في هذا الفصل، تنكشف أمام أعيننا الطريقة التي نرغب في التعامل

بها مع الأشرار. نظن أن الآب مثلنا لأنه يلتزم الصمت أمام أفكارنا الخاطئة. ومع ذلك، ففي ضوء حياة ابنه على الأرض، يوجِّه التوبيخ إلينا. كل معجزة رقيقة أجراها يسوع هي توبيخ لنا. كل صفعة تحملها على وجهه بصبر وطول أناة تصرخ إلينا وتخبرنا أن الآب لا يفكر كما نحن نفكر ولا يدين كما نحن ندين.

هل كانت للغة والكلمات التي قالها يسوع مغزى عندما كان على وشك الموت؟ وهل أشار إلى وجود عنصر غريب؟

وبالدينونة التي بها تدين ...

19. السياق الخاص بدينونة ما قبل المجيء

كما درسنا سابقًا، هناك فترة دينونة تسبق مجيء المسيح الثاني. ونعلم ذلك لأن تسلسل الأحداث الوارد في دانيال الأصحاح السابع يشير بكل وضوح لذلك. لكن السؤال الذي يحتاج لجواب هو: ما هي طبيعة هذه الدينونة؟ فنحن نعلم أن الله لا يدين ولا يصدر أحكامًا على أحد.

> "لاَ يَتَبَاطَأُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمٌ التَّبَاطُؤَ، لكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا، وَهُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ" (بطرس الثانية 3: 9).

إن أبانا لا يريد أحدًا من أبنائه أن يهلك، بل يريد لهم جميعًا الخلاص. وعندما ندرس دانيال الأصحاح السابع نرى أن المسيح من خلال عملية الدينونة باستطاعته الاستحواذ على مملكته.

> "كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ" (دانيال 7: 13 و14).

إن المملكة التي يقبلها المسيح هي مملكة تخدمه فيها كل الشعوب والأمم والألسنة بفرح وسعادة. وسلطان المسيح محبة عميقة ومشاعر قوية تربط شعبه به. سلطانه لا يقوم على القوة والإرغام بل على المحبة الإرادية الاختيارية.

أما الشيطان فيدعي امتلاكه لكل شخص على هذا الكوكب، ويزعم أن كل إنسان يخطئ فهو ملكه. وقبل عودة المسيح للمطالبة بأبنائه، يقف الشيطان المشتكي على الإخوة للاحتجاج على قيام أبناء الله المخلصين والواثقين به من الموت وافتدائهم.

> "وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا قَائِلًا فِي السَّمَاءِ: الآنَ صَارَ خَلاَصُ إِلهِنَا وَقُدْرَتُهُ وَمُلْكُهُ وَسُلْطَانُ مَسِيحِهِ، لأَنَّهُ قَدْ طُرِحَ **الْمُشْتَكِي عَلَى إِخْوَتِنَا، الَّذِي كَانَ يَشْتَكِي عَلَيْهِمْ** أَمَامَ إِلهِنَا نَهَارًا وَلَيْلًا. وَهُمْ غَلَبُوهُ بِدَمِ الْخَرُوفِ وَبِكَلِمَةِ شَهَادَتِهِمْ، وَلَمْ يُحِبُّوا حَيَاتَهُمْ حَتَّى الْمَوْتِ" (رؤيا 12: 10 و11).

يقدم لنا الكتاب المقدس نموذجًا للطريقة التي تتم بها دينونة الأموات. نجد هذا النموذج في حياة موسى.

> "وَأَمَّا مِيخَائِيلُ رَئِيسُ الْمَلاَئِكَةِ، فَلَمَّا خَاصَمَ إِبْلِيسَ مُحَاجًّا عَنْ جَسَدِ مُوسَى، لَمْ يَجْسُرْ أَنْ يُورِدَ حُكْمَ افْتِرَاءٍ، **بَلْ قَالَ: لِيَنْتَهِرْكَ الرَّبُّ!**" (يهوذا 1: 9).

بعد فترة من موت موسى، أُخِذ إلى السماء. كانت هذه هي المرة الأولى التي تحدث فيها قيامة من الأموات. يعلمنا الكتاب المقدس أنه عندما يموت الإنسان، فإنه يعود إلى الأرض التي أُخِذ

منها وينتظر في القبر حتى القيامة الأخيرة.

"لأَنَّ الأَحْيَاءَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ سَيَمُوتُونَ، **أَمَّا الْمَوْتَى فَلاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا**، وَلَيْسَ لَهُمْ أَجْرٌ بَعْدُ لأَنَّ ذِكْرَهُمْ نُسِيَ" (جامعة 9: 5).

"**وَالإِنْسَانُ يَضْطَجِعُ وَلاَ يَقُومُ. لاَ يَسْتَيْقِظُونَ حَتَّى لاَ تَبْقَى السَّمَاوَاتُ، وَلاَ يَنْتَبِهُونَ مِنْ نَوْمِهِمْ.** لَيْتَكَ تُوارِينِي فِي الْهَاوِيَةِ، وَتُخْفِينِي إِلَى أَنْ يَنْصَرِفَ غَضَبُكَ، وَتُعَيِّنُ لِي أَجَلًا فَتَذْكُرَنِي. إِنْ مَاتَ رَجُلٌ أَفَيَحْيَا؟ كُلَّ أَيَّامِ جِهَادِي أَصْبِرُ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ بَدَلِي. تَدْعُو فَأَنَا أُجِيبُكَ. تَشْتَاقُ إِلَى عَمَلِ يَدِكَ" (أيوب 14: 12 – 15).

على عكس ما يعتقده معظم الناس، فإن الروح أو النفس ليست خالدة.

"**أَالإِنْسَانُ** أَبَرُّ مِنَ اللهِ؟ أَمِ الرَّجُلُ أَطْهَرُ مِنْ خَالِقِهِ؟" (أيوب 4: 17).

إذا كان الإنسان بالفعل خالدًا، فلماذا يخبرنا الكتاب المقدس أن نطلب البقاء أو الخلود؟

"أَمَّا الَّذِينَ بِصَبْرٍ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ **يَطْلُبُونَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْبَقَاءَ**، فَبِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ" (رومية 2: 7).

الله وحده له الخلود وعدم الموت.

"الَّذِي سَيُبَيِّنُهُ فِي أَوْقَاتِهِ الْمُبَارَكُ الْعَزِيزُ الْوَحِيدُ: مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ، **الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ**، سَاكِنًا فِي نُورٍ لاَ يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ، الَّذِي لَهُ الْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ الأَبَدِيَّةُ. آمِينَ" (تيموثاوس الأولى 6: 15 و16).

هناك الكثير الذي نود مشاركته حول هذا الموضوع، ولكن النقطة المهمة التي نرغب في التركيز عليها هي أن الذين قاموا من بين الأموات وذهبوا إلى السماء حتى يومنا هذا عددهم قليل. باقي أبناء الله المفديين سيقومون عند المجيء الثاني.

"ثُمَّ لاَ أُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ **مِنْ جِهَةِ الرَّاقِدِينَ**، لِكَيْ لاَ تَحْزَنُوا كَالْبَاقِينَ الَّذِينَ لاَ رَجَاءَ لَهُمْ. لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ، فَكَذلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ، سَيُحْضِرُهُمُ اللهُ أَيْضًا مَعَهُ. فَإِنَّنَا نَقُولُ لَكُمْ هذَا بِكَلِمَةِ الرَّبِّ: إِنَّنَا نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ، لاَ نَسْبِقُ الرَّاقِدِينَ. **لأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ بِهُتَافٍ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلاَئِكَةٍ وَبُوقِ اللهِ، سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلًا. ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعًا مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ**، وَهكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ" (تسالونيكي الأولى 4: 13 – 17).

كان موسى حالة استثنائية لأنه أُصعِد إلى السماء. أخنوخ وإيليا أُصعِدا أيضًا إلى السماء،

لكنهما لم يمتا أولاً مثل موسى (راجع تكوين 5: 23 و24 وملوك الثاني 2: 11). وعندما نزل المسيح من السماء ليقيم موسى من بين الأموات، أتى الشيطان ليخاصمه ويتجادل معه بخصوص جثمانه وإذا كان يصح إقامته.

وكما ناقشنا في الفصل الثاني عشر، فسجل حياة موسى كان مكتوبًا في قلبه كما كان مكتوبًا أيضًا في قلب المسيح. والملائكة المكلفون بحمايتنا يسجلون أيضًا أحداث حياتنا لأنهم يتبعوننا في حياتنا ويرون كل الأشياء التي نقوم بها.

"مَلاَكُ الرَّبِّ حَالٌّ حَوْلَ خَائِفِيهِ، وَيُنَجِّيهِمْ" (مزمور 34: 7).

وإذ حاول الشيطان أن يخاصم المسيح ويتجادل معه بشأن حياة موسى، فإن سجل حياة موسى هو الذي يتحدث عنه في تلك اللحظة – لحظة الدينونة المتنازع عليها. كان المسيح يعرف كافة تفاصيل حياة موسى لأن المسيح من خلال روح الله استطاع أن يشهد كل الأحداث التي تمت فيها.

"يَا رَبُّ، قَدِ اخْتَبَرْتَنِي وَعَرَفْتَنِي. **أَنْتَ عَرَفْتَ** جُلُوسِي وَقِيَامِي. **فَهِمْتَ** فِكْرِي مِنْ بَعِيدٍ. مَسْلَكِي وَمَرْبَضِي **ذَرَّيْتَ**، وَكُلَّ طُرُقِي عَرَفْتَ. لأَنَّهُ لَيْسَ كَلِمَةٌ فِي لِسَانِي، إِلاَّ وَأَنْتَ يَا رَبُّ **عَرَفْتَهَا كُلَّهَا**" (مزمور 139: 1 – 4).

لقد أظهر سجل موسى بوضوح ثقته في مخلصه. وأظهر أنه كان يثق في استحقاقات المسيح وحدها. كان موسى قد حكم على هذا بنفسه قبل موته، وقد كُتِبَ ذلك في قلبه وكُتِبَ أيضًا في قلب المسيح كسجل دائم ودقيق.

"وَكَنِيسَةُ أَبْكَارٍ **مَكْتُوبِينَ فِي السَّمَاوَاتِ**، وَإِلَى اللهِ دَيَّانِ الْجَمِيعِ، وَإِلَى أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ" (عبرانيين 12: 23).

"جِئتُمْ إلَى جَماعَةٍ مِنَ الأبكارِ **الَّذينَ أسماؤُهُمْ مَكتُوبَةٌ فِي السَّماءِ**. جِئتُمْ إلَى اللهِ، قاضِي كُلِّ البَشَرِ. جِئتُمْ إلَى أرْواحِ أبْرارٍ مُكَمَّلِينَ" (عبرانيين 12: 23 – الترجمة العربية المبسطة).

أسكت المسيح إتهامات الشيطان لموسى قائلاً: "لينتهرك الرب". كل ما كان على المسيح فعله هو الكشف عن سجل حياة موسى. لقد حكم موسى على قضيته ووضعها في يد مخلصه، ولذلك عندما جاء الشيطان مطالبًا بجسد موسى، وقف المسيح دفاعًا عنه، وكانت لديه القدرة على إقامة موسى من رقاد الموت.

هذا هو النموذج الخاص بجميع أولئك الذين سيقومون للحياة في قيامة الأبرار الأولى. قبل أن يأتي المسيح ليقيم أبنائه الراقدين من الأموات، سيأتي الشيطان ليعترض على أحقية المسيح في إقامتهم. إن سجل القديسين الراقدين المكتوب في قلب المسيح مفتوح، وهذا السجل يثبت

ما إذا كانوا قد حكموا على أنفسهم بأنهم مستحقون للحياة الأبدية أم لا.

"لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا، **لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ**، وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ" (متى 7: 1 و2).

"فَجَاهَرَ بُولُسُ وَبَرْنَابَا وَقَالاَ: كَانَ يَجِبُ أَنْ تُكَلَّمُوا أَنْتُمْ أَوَّلًا بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلكِنْ إِذْ دَفَعْتُمُوهَا عَنْكُمْ، **وَحَكَمْتُمْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُسْتَحِقِّينَ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ**، هُوَذَا نَتَوَجَّهُ إِلَى الأُمَمِ" (أعمال 13: 46).

أولئك الذين يعرفون أنهم خطاة ويتكلون على استحقاقات نعمة الله، سوف يتوقفون عن الحكم على الآخرين وسيجدون الراحة في نعمة الله ورحمته. وعندما يصلون إلى نهاية حياتهم على الأرض ويراجعون سجل حياتهم، فإنهم يرون إخفاقاتهم ونقاط ضعفهم الكثيرة. يُجرَّبون للشك أنه لا يوجد شيء جيد في حياتهم، ويتخلون عن أي اعتقاد بأنهم يستحقون الحياة الأبدية باستحقاقاتهم الخاصة، ويتكلون فقط على رحمة الله ونعمته. لقد كُتِب ذلك في سجل حياتهم، وهذا السجل يُفتَح عندما يتحدى الشيطان حق المسيح في إقامتهم لأنهم منقوشون على كفتي المسيح.

لذلك، منذ عام 1844، والمسيح يجهز قائمة بالأشخاص الذين سيقيمهم عند المجيء الثاني. وطبعًا يعترض الشيطان على كل نفس من هذه الأنفس ويتنازع عليها مع المسيح. هناك بعضٌ ممن يرغب المسيح في تخليصهم، ولكن عندما يتنازع الشيطان معه بخصوص هؤلاء الأشخاص، فإن سجلهم يُظهِر أنهم لم يتمسّكوا بإيمانهم بالمسيح. ومزاعم الشيطان ضدهم ستقبل، وسيمنعهم المسيح من القيامة في المجيء الثاني. إنه لأمر مفجع بالنسبة للمسيح أن يقبل مزاعم الشيطان بخصوص هؤلاء الأشخاص لأن سجل حياتهم يكشف عن تخليهم عن إيمانهم.

إن الله، كما اكتشفنا في قصة الابن الضال وكذلك في مشهد الدينونة الوارد في دانيال الأصحاح السابع، لا يتكلم بكلمة ضد أي شخص عندما تتم المحاكمة. فكل إنسان كتب سجله الخاص به، وهذه السجلات تتحدث عن نفسها في الدينونة. يتذكر المسيح كل قضية لأنه يعرف كل شخص معرفة وثيقة ويعرف كل شيء عن تاريخه، وبالتالي يمكنه الدفاع عن أبناء الله عندما يقف الشيطان للتنازع على قضيتهم. إن الشيطان هو المدعي (مَنْ يُقِيمُ الدّعْوَى) أما المسيح فهو المحامي والمدافع. فالله وابنه يُسقِطان القرارات التي يتخذها الشيطان ضد أبناء الله ويحوِّل القضية والدينونة لصالحهم وينصفهم.

"وَكُنْتُ أَنْظُرُ وَإِذَا هذَا [الشيطان من خلال] الْقَرْنُ يُحَارِبُ الْقِدِّيسِينَ فَغَلَبَهُمْ، حَتَّى جَاءَ الْقَدِيمُ الأَيَّامِ، **وَأُعْطِيَ الدِّينُ لِقِدِّيسِي الْعَلِيِّ**، وَبَلَغَ الْوَقْتُ، فَامْتَلَكَ الْقِدِّيسُونَ الْمَمْلَكَةَ" (دانيال 7: 21 و22).

فقط مَنْ يعلنون أنهم أتباع المسيح هم الذين سيظهرون في هذه الدينونة. أما الذين لا يعترفون بالمسيح ولا يوجد دليل لعمل الروح القدس في حياتهم، ويصرِّحون بأنهم لا يريدون جسدًا سماويًا ممتلئًا بروح المسيح ويعيش من خلاله، فإن روحهم ترفض الخضوع إلى ترتيب مجتمع السماء الذي يقوم على المبدأ الأساسي المتمثل في المحبة التي لا تدين ولا تصدر أحكامًا على أحد. يؤكد الشيطان على ملكيته لأولئك الذين يقبلهم المسيح بمقتضى مبادئ الإرادة الحرَّة على الرغم من أن ذلك يتعارض مع رغبة المسيح في إقامة الجميع.

"اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ، **وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ،** لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ الْوَحِيدِ" (يوحنا 3: 18).

إن الذين لا يؤمنون بابن الله ليس لديهم طريقة للهروب من روح الدينونة الخاصة بهم. وعندما يواجهون خطاياهم، يدينون أنفسهم ويرغبون في الموت.

"وَمُلُوكُ الأَرْضِ وَالْعُظَمَاءُ وَالأَغْنِيَاءُ وَالأُمَرَاءُ وَالأَقْوِيَاءُ وَكُلُّ عَبْدٍ وَكُلُّ حُرّ، أَخْفَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي الْمَغَايِرِ وَفِي صُخُورِ الْجِبَالِ، وَهُمْ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ وَالصُّخُورِ: **اسْقُطِي عَلَيْنَا وَأَخْفِينَا عَنْ وَجْهِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَعَنْ غَضَبِ الْخَرُوفِ،** لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ يَوْمُ غَضَبِهِ الْعَظِيمُ. وَمَنْ يَسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ؟" (رؤيا 6: 15 – 17).

عندما يعود المسيح ويصرخ بصوت رئيس ملائكة قائلاً: "هلموا خارجًا"، فإن صوت الانتصار يخترق آذان القديسين الراقدين فيستيقظون من قبورهم ويخرجون للحياة الأبدية.

أما الموتى الأشرار الذين لا يؤمنون فإنهم يسدون آذانهم لكي لا يسمعون. لقد احتقروا توسلات روح الله من أجلهم ورفضوها، ولذلك فصوت المسيح غريب بالنسبة لهم. وهم لا يستجيبون للدعوة رغم أن الدعوة للخروج من القبور مقدمة للجميع.

"اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ، حِينَ يَسْمَعُ الأَمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ اللهِ، **وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ**" (يوحنا 5: 25).

إن الموتى الأشرار يقاومون هذه الدعوة، ولهذا السبب فإنهم يبقون في تراب الأرض حتى نهاية الألف سنة وبعد ذلك سيُقامون.

لن يلمس المسيح في المجيء الثاني الأرض بهيئته الإلهية وصورته الممجَّدة تمجيدًا تامًا. لأنه لو فعل ذلك، لخرج الجميع من الأرض. وما يدل على ذلك هو قيامة الأشرار بعد انتهاء الألف سنة ولمس المسيح الفعلي للأرض. لكن المسيح يدعو قديسيه الراقدين من الهواء لكي يخرج فقط مَنْ ماتوا في الإيمان من قبورهم.

"ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعًا مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ **لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ،** وَهكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ" (تسالونيكي الأولى 4: 17).

"فَيُرْسِلُ مَلاَئِكَتَهُ بِبُوق عَظِيمِ الصَّوْتِ، **فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الأَرْبَعِ الرِّيَاحِ، مِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاوَاتِ إِلَى أَقْصَائِهَا**" (متى 24: 31).

وعند إنتهاء الألف سنة، عندما يعود المسيح إلى الأرض ومعه المدينة السماوية، يقوم أولئك الذين رفضوا رحمة المسيح.

"هُوَذَا يَوْمٌ لِلرَّبِّ يَأْتِي فَيُقْسَمُ سَلَبُكِ فِي وَسَطِكِ. **وَأَجْمَعُ كُلَّ الأُمَمِ عَلَى أُورُشَلِيمَ لِلْمُحَارَبَةِ**، فَتُؤْخَذُ الْمَدِينَةُ، وَتُنْهَبُ الْبُيُوتُ، وَتُفْضَحُ النِّسَاءُ، وَيَخْرُجُ نِصْفُ الْمَدِينَةِ إِلَى السَّبْيِ، **وَبَقِيَّةُ الشَّعْبِ لاَ تُقْطَعُ مِنَ الْمَدِينَةِ.** فَيَخْرُجُ الرَّبُّ وَيُحَارِبُ تِلْكَ الأُمَمَ كَمَا فِي يَوْمِ حَرْبِهِ، يَوْمَ الْقِتَالِ. **وَتَقِفُ قَدَمَاهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ الَّذِي قُدَّامَ أُورُشَلِيمَ مِنَ الشَّرْقِ، فَيَنْشَقُّ جَبَلُ الزَّيْتُونِ مِنْ وَسَطِهِ نَحْوَ الشَّرْقِ وَنَحْوَ الْغَرْبِ وَادِيًا عَظِيمًا جِدًّا**، وَيَنْتَقِلُ نِصْفُ الْجَبَلِ نَحْوَ الشِّمَالِ، وَنِصْفُهُ نَحْوَ الْجَنُوبِ" (زكريا 14: 1 – 4).

"ثُمَّ رَأَيْتُ سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً، لأَنَّ السَّمَاءَ الأُولَى وَالأَرْضَ الأُولَى مَضَتَا، وَالْبَحْرُ لاَ يُوجَدُ فِي مَا بَعْدُ. **وَأَنَا يُوحَنَّا رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُهَيَّأَةً كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا**" (رؤيا 21: 1 و2).

نظرًا لأن روح المسيح لا يخاطب ضمائرهم، فإن الأشرار يُظهرون مشاعرهم الحقيقية تجاه الله والأبرار ورغبتهم في قتل مَنْ هم في المدينة.

"ثُمَّ مَتَى تَمَّتِ الأَلْفُ السَّنَةِ يُحَلُّ الشَّيْطَانُ مِنْ سِجْنِهِ، وَيَخْرُجُ لِيُضِلَّ الأُمَمَ الَّذِينَ فِي أَرْبَعِ زَوَايَا الأَرْضِ: جُوجَ وَمَاجُوجَ، لِيَجْمَعَهُمْ لِلْحَرْبِ، الَّذِينَ عَدَدُهُمْ مِثْلُ رَمْلِ الْبَحْرِ. **فَصَعِدُوا عَلَى عَرْضِ الأَرْضِ، وَأَحَاطُوا بِمُعَسْكَرِ الْقِدِّيسِينَ وَبِالْمَدِينَةِ الْمَحْبُوبَةِ**، فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُمْ" (رؤيا 20: 7 – 9).

للتعرف أكثر على الطريقة التي تنزل بها النار من عند الله وتهلك الأشرار، راجع الكتيب الذي بعنوان "نارٌ آكلةٌ" والمتاح على موقعنا الألكتروني *fatheroflove.info*

باختصار، إن عبء الآثام والذنوب الذي يحمله الخاطئ هو الذي سيهلكه في النهاية. وفي محضر الله والخروف حيث يواجهون سجل حياتهم الكامل، يدينون أنفسهم بالكامل وآثامهم تسحقهم.

باختصار، إن عبء الآثام والذنوب الذي يحمله الخاطئ هو الذي سيهلكه في النهاية. وفي محضر الله والخروف حيث يواجهون سجل حياتهم الكامل، يدينون أنفسهم بالكامل وآثامهم تسحقهم. وهذه الآلام الروحية والنفسية أكثر وجعًا بكثير من الآلام الجسدية.

"تَحْبَلُونَ بِحَشِيشٍ، تَلِدُونَ قَشِيشًا. **نَفَسُكُمْ نَارٌ تَأْكُلُكُمْ.** وَتَصِيرُ الشُّعُوبُ وَقُودَ كِلْسٍ، أَشْوَاكًا مَقْطُوعَةً تُحْرَقُ بِالنَّارِ" (إشعياء 33: 11 و12).

خلاصة القول هي أننا نكتشف معنى الدينونة الموصوفة في دانيال الأصحاح السابع. إن مشهد الدينونة الوارد في ذلك الأصحاح موجود لأن الشيطان لا يريد أن يخسر أيًا من الذين عبروا إلى القبر. ومثل الحراس الرومان الذين أُرسِلوا لحراسة قبر يسوع ليمنعوا عبثًا فكرة قيامة المسيح من الموت، كذلك أيضًا الشيطان يحيط بقبور الموتى الأبرار ويحاول منع هروبهم من الموت.

يوبخ المسيح الشيطان وينتهره لأن السجل يكشف بوضوح إيمان المسيحي الذي يزعم الشيطان أنه ملكه.

إن أولئك الذين ينظرون إلى وجه أبينا السماوي بالإيمان، من خلال صفات يسوع، يرون أن الله لا يدين أو يصدر أحكامًا بحق أي إنسان. إن الشيطان هو المشتكي، وهو الذي يريد إدانتنا، وهو الذي يحاول إسقاط صفاته الخاصة على الله ليجعلنا نظن أنه (أي الله) يديننا ويحكم علينا. لقد أرسل الله ابنه ليعلن صفاته ويُظهِرها، لا ليدين العالم (يوحنا 3: 17). في الدينونة يلتزم الله الصمت ويجعلنا نحكم على الطريقة التي نظن أنه سيتعامل بها مع الموقف. لذلك نرى الحقيقة الكاملة في الكلمات التي نطق بها المسيح:

"لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ، وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ" (متى 7: 2).

20. وقت ضيقة يعقوب

لقد وصفنا في الفصل السابق عملية الدينونة الخاصة بأولئك الذين يموتون قبل مجيء المسيح ويقومون من بين الأموات لملاقاة المسيح في الهواء. ماذا يحدث لأتباع المسيح الأمناء الذين يكونون "أحياء وباقين" وقت مجيء المسيح؟ كيف يتم التعامل معهم وكيف يُدانون؟ لأنه يجب علينا جميعًا أن نظهر أمام كرسي دينونة المسيح.

"فَهذِهِ الأُمُورُ جَمِيعُهَا أَصَابَتْهُمْ مِثَالًا، وَكُتِبَتْ لإِنْذَارِنَا نَحْنُ الَّذِينَ انْتَهَتْ إِلَيْنَا أَوَاخِرُ الدُّهُورِ" (كورنثوس الأولى 10: 11).

ستساعدنا قصص الكتاب المقدس نحن الذين نعيش في الأيام الأخيرة على فهم ما يحدث لشعب الله عندما يواجهون عملية الدينونة، كما ورد وصفها في دانيال الأصحاح السابع، قبل مجيء المسيح.

تطرقنا في الفصل العاشر إلى قصة المرأة التي أمسِكت وهي تزني وتأملنا في عملية الدينونة التي تعرضت إليها وهي على قيد الحياة. لقد أحضِرت إلى المسيح بواسطة أولئك الذين كانوا يزعمون أنهم أتباع الله. ومثل قادة اليهود، فهناك الكثير من المسيحيين الذين يقولون للناس في العالم أن الله سيحرقهم في الجحيم بسبب خطاياهم. إن كلماتهم وأفعالهم لها القدرة على إلقاء مَنْ يشتكون عليهم عند قدمي المسيح. وعلى الرغم من أن الكثيرين يتسمون بالغضب والعنف أثناء تعاملهم مع المشتكين، إلا أن البعض يتعامل بجدية مع التهم الموجهة إليهم ويطلبون غفران خطاياهم.

لذلك، في الأيام الأخيرة، تلعب الكنائس المسيحية دورها في مواجهة العالم بخطاياه وآثامه وإخبار الناس بالدينونة التي تنتظرهم. على الرغم من أن الكنائس لديها وجهة نظر خاطئة تمامًا عن الله، إلا أنها لا تزال تلعب دورها في تبكيت الناس على خطاياهم.

مع اقترابنا من الأيام الأخيرة، يخبرنا الكتاب المقدس أنه سيكون هناك زمان ضيق لم يحدث مثله من قبل. فالأحداث الأخيرة المتعلقة بجائحة كورونا والاضطرابات العنصرية التي اجتاحت الولايات المتحدة، بالإضافة إلى المضاعفات الناجمة عن الدمار البيئي، تشير إلى أننا على أعتاب زمان الضيق هذا.

"وَفِي ذلِكَ الْوَقْتِ يَقُومُ مِيخَائِيلُ الرَّئِيسُ الْعَظِيمُ الْقَائِمُ لِبَنِي شَعْبِكَ، **وَيَكُونُ زَمَانُ ضِيق لَمْ يَكُنْ مُنْذُ كَانَتْ أُمَّةٌ إِلَى ذلِكَ الْوَقْتِ**. وَفِي ذلِكَ الْوَقْتِ يُنَجَّى شَعْبُكَ، كُلُّ مَنْ يُوجَدُ مَكْتُوبًا فِي السِّفْرِ" (دانيال 12: 1).

عندما يرى الناس انهيار العالم، وتبدأ الكوارث في تأثيرها الحقيقي على المسكونة وما يقطنها من أمم، سيبدأ الكثيرون في التساؤل عما إذا كانت خطاياهم هي السبب في حدوث تلك

الكوارث على الأرض. وفى هذه الأوقات الصعبة ستظهر فئتان من المتدينين.

"وَكَانَ وَاحِدٌ مِنَ الْمُذْنِبَيْنِ الْمُعَلَّقَيْنِ يُجَدِّفُ عَلَيْهِ قَائِلًا: «إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ، فَخَلِّصْ نَفْسَكَ وَإِيَّانَا!» فَأجَابَ الآخَرُ وَانْتَهَرَهُ قَائِلًا: «أَوَلاَ أَنْتَ تَخَافُ اللهَ، إِذْ أَنْتَ تَحْتَ هذَا الْحُكْمِ بِعَيْنِهِ؟ أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدْل، لأَنَّنَا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا، وَأَمَّا هذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ». ثُمَّ قَالَ لِيَسُوعَ: «اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ»" (لوقا 23: 39 – 42).

صُلِب هذان الرجلان كلاهما مع الرب يسوع. قَبِلَ أحدهما أن البلايا تحل عليه بسبب خطيته. أما الآخر فقد انتهر يسوع بغضب وطالبه أن يقوم بتخليص الجميع إذا كان هو بالفعل المسيح كما يدعي. تاب أحدهما بندمٍ وحزنٍ ورجاء، أما الآخر فقد ظل غاضبًا متحديًا ورفض التوبة.

وبولس الرسول يخبرنا أن الأيام الأخيرة ستكون كالمرأة التي على وشك الولادة.

"لأَنَّكُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِالتَّحْقِيقِ أَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ هكَذَا يَجِيءُ. لأَنَّهُ حِينَمَا يَقُولُونَ: «سَلاَمٌ وَأَمَانٌ»، حِينَئِذٍ يُفَاجِئُهُمْ هَلاَكٌ بَغْتَةً، **كَالْمَخَاضِ لِلْحُبْلَى**، فَلاَ يَنْجُونَ" (تسالونيكي الأولى 5: 2 و3).

استخدم إرميا النبي أيضًا نفس التشبيه وكتب الكلمات التالية:

"لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: صَوْتَ ارْتِعَادٍ سَمِعْنَا. خَوْفٌ وَلاَ سَلاَمٌ. اِسْأَلُوا وَانْظُرُوا إِنْ كَانَ ذَكَرٌ يَضَعُ! **لِمَاذَا أَرَى كُلَّ رَجُل يَدَاهُ عَلَى حَقْوَيْهِ كَمَاخِضٍ**، وَتَحَوَّلَ كُلُّ وَجْهٍ إِلَى صُفْرَةٍ؟ آهِ! لأَنَّ ذلِكَ الْيَوْمَ عَظِيمٌ وَلَيْسَ مِثْلُهُ. **وَهُوَ وَقْتُ ضِيق عَلَى يَعْقُوبَ**، وَلكِنَّهُ سَيُخَلَّصُ مِنْهُ" (إرميا 30: 5 – 7).

إن البشر في نهاية المطاف سيعجزون عن كبت غضبهم، وسوف يتحوّل شعورهم بالفشل وخيبة الأمل إلى حالة من الغضب الشديد الذي سيتسبب في هلاكهم. سيفقد الكثيرون حياتهم خلال هذه الفترة من الاضطرابات الرهيبة.

"لاَ تَخْشَى مِنْ خَوْفِ اللَّيْلِ، وَلاَ مِنْ سَهْمٍ يَطِيرُ فِي النَّهَارِ، وَلاَ مِنْ وَبَإٍ يَسْلُكُ فِي الدُّجَى، وَلاَ مِنْ هَلاَكٍ يُفْسِدُ فِي الظَّهِيرَةِ. **يَسْقُطُ عَنْ جَانِبِكَ أَلْفٌ، وَرِبْوَاتٌ عَنْ يَمِينِكَ.** إِلَيْكَ لاَ يَقْرُبُ" (مزمور 91: 5 – 7).

وعندما يبدأ العالم في الانهيار، سيبحث الناس عن شيء ما أو شخص ما يضعون اللوم عليه بسبب كل الشرور التي تحدث. وسوف يصدر القادة الدينيون في العالم مرسومًا فيما يتعلق بالعبادة.

"ثُمَّ رَأَيْتُ وَحْشًا آخَرَ طَالِعًا مِنَ الأَرْضِ، وَكَانَ لَهُ قَرْنَانِ شِبْهُ خَرُوفٍ، وَكَانَ يَتَكَلَّمُ

كَثيّين، وَيَعْمَلُ بِكُلّ سُلْطَانِ الْوَحْشِ الأَوَّلِ أَمَامَهُ، وَيَجْعَلُ الأَرْضَ وَالسَّاكِنِينَ فِيهَا يَسْجُدُونَ لِلْوَحْشِ الأَوَّلِ الَّذِي شُفِيَ جُرْحُهُ الْمُمِيتُ، وَيَصْنَعُ آيَاتٍ عَظِيمَةً، حَتَّى إِنَّهُ يَجْعَلُ نَارًا تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الأَرْضِ قُدَّامَ النَّاسِ، وَيُضِلُّ السَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ بِالآيَاتِ الَّتِي أُعْطِيَ أَنْ يَصْنَعَهَا أَمَامَ الْوَحْشِ، قَائِلًا لِلسَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَصْنَعُوا صُورَةً لِلْوَحْشِ الَّذِي كَانَ بِهِ جُرْحُ السَّيْفِ وَعَاشَ. وَأُعْطِيَ أَنْ يُعْطِيَ رُوحًا لِصُورَةِ الْوَحْشِ، حَتَّى تَتَكَلَّمَ صُورَةُ الْوَحْشِ، وَيَجْعَلَ جَمِيعَ الَّذِينَ لاَ يَسْجُدُونَ لِصُورَةِ الْوَحْشِ يُقْتَلُونَ. وَيَجْعَلَ الْجَمِيعَ: الصِّغَارَ وَالْكِبَارَ، وَالأَغْنِيَاءَ وَالْفُقَرَاءَ، وَالأَحْرَارَ وَالْعَبِيدَ، تُصْنَعُ لَهُمْ سِمَةٌ عَلَى يَدِهِمِ الْيُمْنَى أَوْ عَلَى جَبْهَتِهِمْ، وَأَنْ لاَ يَقْدِرَ أَحَدٌ أَنْ يَشْتَرِيَ أَوْ يَبِيعَ، إِلاَّ مَنْ لَهُ السِّمَةُ أَوِ اسْمُ الْوَحْشِ أَوْ عَدَدُ اسْمِهِ" (رؤيا 13: 11 – 17).

لن يسعنا المجال هنا لدراسة كافة التفاصيل المتعلقة بهذه النبوة. للحصول على دراسة مفصلة حول هذه النبوة يرجى مراجعة كتاب "الصراع العظيم" المتاح عبر موقعنا الإلكتروني fatheroflove.info

النقطة الأساسية التي نريد التركيز عليها هنا هي أنه سيتم ممارسة الضغط على العالم لأجل التقيد والالتزام بدين واحد. ومَنْ يرفضون الخضوع والامتثال لسمة هذه السلطة سيتعرضون للتهديد بالموت بسبب رفضهم.

في هذا الوقت سوف يتعرَّض شعب الله لوقت ضيقة رهيب. ومثل المرأة التي أُمسِكت وهي تزني، سيتم القبض على الكثيرين وجرهم إلى المحاكم لرفضهم الالتزام بالقوانين الدينية المفروضة والخضوع لها.

هذا هو الوقت الذي يشير إليه الكتاب المقدس على أنه وقت ضيقة يعقوب. القصة المشار إليها هنا هي عندما غادر يعقوب مع زوجاته وأبنائه وترك والد زوجته الذي احتال عليه. كان يعقوب عائدًا إلى أرضه وعشيرته وكانت المعضلة تكمن فى شقيقه عيسو الذى أتى لمقابلته لتصفية حساب قديم حيث أن يعقوب كان قد خدع أبيه بسرقته البكورية التي كانت من حق أخيه. والبكورية هي ميراث روحي يُمنَح للأسرة من أجل مباركتها بالثروة الروحية والمادية على حدٍ سواء. أراد عيسو أخو يعقوب الثروة المادية لكنه لم يهتم كثيرًا بالعنصر الروحي. لقد كان يعقوب مهددًا بالموت بواسطة أخيه وكان عليه أن يواجهه، وكان أيضًا هاربًا من وجه حماه. وعندما اقترب من الوصول إلى البيت، جاءته الأخبار:

"فَرَجَعَ الرُّسُلُ إِلَى يَعْقُوبَ قَائِلِينَ: «**أَتَيْنَا إِلَى أَخِيكَ، إِلَى عِيسُو، وَهُوَ أَيْضًا قَادِمٌ لِلِقَائِكَ، وَأَرْبَعُ مِئَةِ رَجُل مَعَهُ**». فَخَافَ يَعْقُوبُ جِدًّا وَضَاقَ بِهِ الأَمْرُ، فَقَسَمَ الْقَوْمَ الَّذِينَ مَعَهُ وَالْغَنَمَ وَالْبَقَرَ وَالْجِمَالَ إِلَى جَيْشَيْنِ" (تكوين 32: 6 و7).

حاول يعقوب أن يبذل كل ما في وسعه من الناحية البشرية للاستعداد للأزمة، ثم صلَّى إلى الله لإنقاذه من ذلك الموقف الصعب للغاية.

"وَقَالَ يَعْقُوبُ: يَا إِلهَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَإِلهَ أَبِي إِسْحَاقَ، الرَّبَّ الَّذِي قَالَ لِيَ: ارْجعْ إِلَى أَرْضِكَ وَإِلَى عَشِيرَتِكَ فَأُحْسِنَ إِلَيْكَ. صَغِيرٌ أَنَا عَنْ جَمِيعِ أَلْطَافِكَ وَجَمِيعِ الأَمَانَةِ الَّتِي صَنَعْتَ إِلَى عَبْدِكَ. فَإِنِّي بِعَصَايَ عَبَرْتُ هذَا الأُرْدُنَّ، وَالآنَ قَدْ صِرْتُ جَيْشَيْنِ. نَجِّنِي مِنْ يَدِ أَخِي، مِنْ يَدِ عِيسُوَ، لأَنِّي خَائِفٌ مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَ وَيَضْرِبَنِي الأُمَّ مَعَ الْبَنِينَ" (تكوين 32: 9 – 11).

لجأ يعقوب إلى الله طلباً للمساعدة وكان يصلي بحزن ودموع. وفيما كان يصلي، تعرَّض فجأة للهجوم من قبل شخص يبدو وكأنه يرغب في مصارعته.

"فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ" (تكوين 32: 24).

ظلَّ يعقوب الليل كله يتصارع مع هذا الإنسان الغامض. وعند طلوع الفجر، أخيرًا، لمس هذا المُصارِع حُقَّ فخذ يعقوب فانخلع حُقَّ فخذ يعقوب في مصارعته معه. أدرك يعقوب على الفور أنه لم يكن يتصارع مع إنسان بل مع كائن سماوي.

"وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. وَقَالَ: «أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». فَقَالَ لَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «يَعْقُوبُ». فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ». وَسَأَلَ يَعْقُوبُ وَقَالَ: «أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ». فَقَالَ: «لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟» وَبَارَكَهُ هُنَاكَ. فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ «فَنِيئِيلَ» قَائِلًا: «لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ، وَنُجِّيَتْ نَفْسِي»" (تكوين 32: 25 – 30).

ورد وصف هذا الاختبار الغريب في إرميا 30: 7 وتخبرنا هذه الآية أن هذا الاختبار سيحدث مرة أخرى لشعب الله قبل مجيء المسيح ثانيةً.

بينما كان يعقوب يفكر في حياته، تذكر كل الأشياء الخاطئة التي قام بها. بدأ يشعر أنه في هذا الوضع بسبب إخفاقاته المتعددة. وقد جُرِّب لأن يشعر بأن الله قد تركه وتخلَّى عنه.

جاء ابن الله لمعونته، لكن يعقوب، بصفته ابنًا لآدم، كان خائفًا من أن ذلك الإنسان الذي يتصارع معه يريد إيذاءه. وقد ظلَّ يصارع ذلك الملاك الغريب لينجو بحياته دون أن يدرك أن ذلك الملاك لم يأت ليؤذيه بل لينقذه ويخلصه. ولكن ابن الله قد سمح باستمرار هذه المصارعة حتى يحدد ما إذا كان يعقوب سيسلم نفسه بالكامل له ويضع ثقته في الله وغفرانه، أم أنه سيفقد الأمل ويذعن لليأس والقنوط.

وخلال هذا الوقت، جرَّب الشيطان يعقوب وأخبره أن خطاياه عظيمة جدًا لدرجة أن الله لا يستطيع أن يغفرها. لقد رفع الشيطان دعوته على يعقوب وملأ قلبه بالشك، فبدأ يشعر وكأن الأوان قد فات. لكنه كان يصارع بشكوكه كما كان يصارع ذلك الإنسان. والإثنان يرمزان لبعضهما. تُروى نفس القصة بطريقة مختلفة في حياة يَهُوشَعَ رئيس الكهنة.

"وَأَرَانِي يَهُوشَعَ الْكَاهِنَ الْعَظِيمَ قَائِمًا قُدَّامَ **مَلاَكِ الرَّبِّ**، وَ**الشَّيْطَانُ** قَائِمٌ عَنْ يَمِينِهِ لِيُقَاوِمَهُ. فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «**لِيَنْتَهِرْكَ الرَّبُّ يَا شَيْطَانُ!** لِيَنْتَهِرْكَ الرَّبُّ الَّذِي اخْتَارَ أُورُشَلِيمَ! أَفَلَيْسَ هذَا شُعْلَةً مُنْتَشَلَةً مِنَ النَّارِ؟». وَكَانَ يَهُوشَعُ لاَبِسًا ثِيَابًا قَذِرَةً وَوَاقِفًا قُدَّامَ الْمَلاَكِ. فَأَجَابَ وَكَلَّمَ الْوَاقِفِينَ قُدَّامَهُ قَائِلًا: «انْزِعُوا عَنْهُ الثِّيَابَ الْقَذِرَةَ». وَقَالَ لَهُ: «انْظُرْ. قَدْ أَذْهَبْتُ عَنْكَ إِثْمَكَ، وَأُلْبِسُكَ ثِيَابًا مُزَخْرَفَةً»" (زكريا 3: 1 – 4).

نرى في هذه القصة سلسلة من الأحداث المشابهة لتلك التي وقعت عندما تنازع الشيطان مع المسيح حول جسد موسى، لكن الشيء المختلف في هذه القصة هو أن الشخص المعني لا يزال على قيد الحياة. لا تمثل هذه الدينونة دينونة الأموات بل دينونة الأحياء. لقد انتهر ملاك الرب الشيطان نيابةً عن يهوشع مثلما فعل مع موسى.

"وَأَمَّا **مِيخَائِيلُ رَئِيسُ الْمَلاَئِكَةِ**، فَلَمَّا خَاصَمَ **إِبْلِيسَ** مُحَاجًّا عَنْ جَسَدِ مُوسَى، لَمْ يَجْسُرْ أَنْ يُورِدَ حُكْمَ افْتِرَاءٍ، بَلْ قَالَ: «**لِيَنْتَهِرْكَ الرَّبُّ!**»" (يهوذا 1: 9).

إن ما حدث لموسى بعد موته حدث ليعقوب ويهوشع رئيس الكهنة والمرأة التي أُمسِكت وهي تزني وهم على قيد الحياة. يحاول الشيطان أن يدفع الخاطئ إلى اليأس والقنوط بسبب خطاياه. تبدو شكاوي الشيطان وإتهاماته المؤلمة وكأن الله نفسه هو الذي يدين الخاطئ. ويبدو أن الصوت الرقيق الذي يقدم الرجاء للخاطئ قد أغرقه صوت المشتكي. ومثل يسوع على الصليب، يبدو صوت الله وكأنه في حالة صمت لفترة وجيزة.

"إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي، بَعِيدًا عَنْ خَلاَصِي، عَنْ كَلاَمِ زَفِيرِي؟ إِلهِي، فِي النَّهَارِ أَدْعُو فَلاَ تَسْتَجِيبُ، فِي اللَّيْلِ أَدْعُو فَلاَ هُدُوَّ لِي" (مزمور 22: 1 و2).

في اللحظة التي يشعر فيها الخاطئ بالعجز واليأس التام، يتذكر الحقيقة التي تقول:

"وَأَمَّا النَّامُوسُ فَدَخَلَ لِكَيْ تَكْثُرَ الْخَطِيَّةُ. وَلكِنْ حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدًّا" (رومية 5: 20).

فسجل حياتنا بأكمله يُعرَض أمامنا ونشعر بالعجز. في تلك اللحظة نلتفت إلى المسيح ونتمسك به ونقول: "أؤمن أنك لن تتركني ولن تتخلى عني".

لكن أبناء الله ينتصرون على الشيطان وشكايته وإتهاماته لأنهم يختاروا الإيمان بأن صفات الله هي هي صفات يسوع، ويؤمنون أنه لن يتركهم أو يتخلى عنهم بسبب خطاياهم، ويتمسكون بوعد الحياة الأبدية على الرغم من حقيقة أن حياتهم بأكملها ملوثة بالخطية والأنانية. واسمهم يتغيّر من يعقوب الذي يعني "يحل محل" إلى إسرائيل الذي يعني "غالب أو منتصر".

يسعى الشيطان لإقناعنا بأن الله سيتخلى عنا في النهاية، إلا أن إيماننا سيظل ثابتًا وراسخًا رغم شعورنا باليأس والعجز بسبب شكاية الشيطان المستمرة وإتهاماته الموجَّهة ضدنا. فهو يرسم ماضينا بأغمق الألوان فنُجرَّب لأن نيأس ونفقد الأمل. فسجل حياتنا بأكمله يُعرَض أمامنا ونشعر بالعجز. في تلك اللحظة نلتفت إلى المسيح ونتمسك به ونقول: "أؤمن أنك لن تتركني ولن تتخلى عني. أطلب بركتك وأؤمن أنك ستمنحني إياها". هذه هي غلبة الإيمان التي كانت من نصيب المسيح وهو في الجلجثة، وهو يقدم هذه الغلبة لنا – إيمان يسوع (رؤيا 14: 12).

إن عملية الدينونة هذه هي اختبار صعب يجتاز فيه أبناء الله. وعندما نتأمل فيها، نُجرَّب لأن نشعر بالخوف الشديد أو التفكير فيما إذا كان هذا سيحدث حقًا. لكن السؤال الذي ينبغي طرحه هو: "لماذا يتعيّن على أبناء الله أن يجتازوا بهذا الامتحان العظيم؟ أليست هناك طريقة من هذه الطريقة؟

21. بِخَطِيَّةٍ وَاحِدَةٍ صَارَ الْحُكْمُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِلدَّيْنُونَةِ

ناقشنا في الفصل الرابع أصل الحُكم والإدانة في الجنس البشري. لقد كان السبب في هروب آدم وحواء من وجه الله في الجنة هو الحكم والدينونة التي أصدرها آدم بحق الله.

> "وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، **فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ** فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ" (تكوين 3: 8).

> "وَيُعْتِقَ أُولئِكَ الَّذِينَ- **خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ**- كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ" (عبرانيين 2: 15).

نشأ الخوف من الموت في قلب آدم لأنه ظن أن الله يريد أن يعاقب زوجته حواء بالموت. فقد أكل بتمرد وغضب من ثمر الشجرة المحرَّمة وقرر أن يتحمل معها مصيرها. لقد كان يوجد في قلب آدم حكمًا ودينونة تجاه الله وابنه. وقد تُرجِمت الكذبة القائلة بأن الله يريد قتلهما إلى رعب عندما اقترب منه ذاك الذي كان يخشاه ويبغضه (ملاخي 3: 5).

كان ابن الله، في حقيقة الأمر، يقترب من آدم بمحبة واهتمام ورحمة. لكن آدم كان يظن أنه يقترب منه وهو يحمل الحكم والدينونة ليقتله. ولكي يتمكن ابن الله من الاقتراب من آدم، كان عليه أن يحجب ألوهيته الكاملة. عندما يلتقي الخاطئ المُذنب الذي يبغض الله بوجه الله الكامل والمُحب، فإن الرعب يكتنفه ويسحقه فيموت.

الآية التالية توضح كيف يختبر الخاطئ الاقتراب من حضرة الله (أي وجهه) بخوف الله ودينونته في قلبه.

> "... فِي نَارِ لَهِيبٍ، مُعْطِيًا نَقْمَةً لِلَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ اللهَ، وَالَّذِينَ لاَ يُطِيعُونَ إِنْجِيلَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، **الَّذِينَ سَيُعَاقَبُونَ بِهَلاَكٍ أَبَدِيٍّ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ وَمِنْ مَجْدِ قُوَّتِهِ**" (تسالونيكي الثانية 1: 8 و9).

أما الله فينظر إلى ذلك بالطريقة التالية:

> "يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، **كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا! هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا**" (متى 23: 37 و38).

يا لها من فكرة مزعجة أن نعرف أن طبيعتنا البشرية التي ورثناها عن آدم لديها ميل إلى كره الله، وتظن دائمًا أن الله يرغب في قتلنا بسبب خطايانا أو تركنا والتخلي عنا لأننا غير صالحين بما فيه الكفاية.

"وَتَكَلَّمَ الشَّعْبُ عَلَى اللهِ وَعَلَى مُوسَى قَائِلِينَ: **لِمَاذَا أَصْعَدْتُمَانَا مِنْ مِصْرَ لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟** لأَنَّهُ لاَ خُبْزَ وَلاَ مَاءَ، وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْفُسُنَا الطَّعَامَ السَّخِيفَ" (سفر العدد 21: 5).

"لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ **عَدَاوَةٌ للهِ**، إِذْ لَيْسَ هُوَ خَاضِعًا لِنَامُوسِ اللهِ، لأَنَّهُ أَيْضًا لاَ يَسْتَطِيعُ" (رومية 8: 7). "فَالتَّفكِيرُ الخاضِعُ لِلطَّبِيعَةِ الجَسَدِيَّةِ **مُعادٍ للهِ**، لِأنَّهُ لا يَخضَعُ لِشَرِيعَةِ اللهِ، بَلْ وَلا يُمكِنُهُ أنْ يَخضَعَ!" (رومية 8: 7 – الترجمة المبسطة).

"فَإِذًا كَمَا بِخَطِيَّةٍ وَاحِدَةٍ [أي خطية آدم] صَارَ الْحُكْمُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِلدَّيْنُونَةِ" (رومية 5: 18).

خطية آدم كانت تتمثل في الإيمان بشيء غير حقيقي عن صفات الله. لقد اعتقد خطأ أن الله يريد قتل زوجته، وكان يظن زورًا أن الله يطلب الموت كعقاب للخطية والمعصية. فدخلت في قلبه بسبب هذه الخطية روح الحُكم والإدانة تجاه الله وابنه. وقد ورثنا نحن هذه العداوة لله الموجَّهة ضد المسيح ابنه. كشف الله لنا عن هذه الكراهية المستحكمة فينا عندما بذل ابنه ليعيش بيننا كإنسان لكننا رفضناه وقتلناه.

كما ناقشنا في الفصل الخامس، أسقط آدم حكمه الخاص على الله دفاعًا عن نفسه، أي أنه كان يطالب بوقوع الموت على الله. فيما يلي ملخص للطريقة التي يحدث بها ذلك:

1. يعتقد آدم أن عقوبة الموت بالقتل هي نتيجة مترتبة على كسر الناموس.
2. يتعدى آدم على الناموس وينتهكه.
3. يشعر آدم بالذنب.
4. يشعر آدم الآن أنه لا بد أن يموت.
5. يحاول آدم أن يُلقي باللوم على شخص آخر، فيضع عقوبة الموت على ابن الله.

في كل مرة يقترب فيها ابن الله منا أو يأتي إلى محضرنا، يحدث هذا التسلسل. وهكذا تعبر دينونة إنسان واحد إلى جميع الناس. توجد في كل إنسان طبيعة تطلب الموت لابن الله. فما حدث منذ ألفي عام يبيّن لنا ما يمكننا فعله عندما نحصل على الحرية للتعامل مع ابن الله كما يحلو لنا.

وحتى يتسنى له إزالة حكم الموت الساكن فينا والذي توارثته طبيعتنا، كان على المسيح أن يأخذ جسد طبيعتنا البشري، وينزعه بعد ذلك بموته وقيامته.

"وَلكِنِ الآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا بَعِيدِينَ، صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ. لأَنَّهُ هُوَ سَلاَمُنَا، الَّذِي جَعَلَ الاثْنَيْنِ وَاحِدًا، **وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ**

أَيِ الْعَدَاوَةَ. **مُبْطِلًا بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، [أحكام G1378] لِكَيْ يَخْلُقَ الاثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا،** صَانِعًا سَلاَمًا، وَيُصَالِحَ الاثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلًا الْعَدَاوَةَ بِهِ" (أفسس 2: 13 – 16).

بنى آدم حائطًا يفصل بينه وبين المسيح بالدينونة التي وضعها على ابن الله. لكن المسيح إتخذ طبيعة آدم ونقض حائط السياج المتوسط لكي يتمكن من الاقتراب منا والدخول إلى محضرنا دون أن نهلك أنفسنا بسبب خوفنا من العقوبة التي نظن أنها ستحل علينا.

يصرح معظم المفسرين بالقول أن هذه الآية تتحدث عن نقض حائط السياج بين اليهود والأمم، وأن لها تطبيق ثانوي. إلا أن كل العداوة بين الناس ليست سوى مظهر من مظاهر العداوة التي يشعر بها الناس تجاه الله.

عندما نأخذ كلمة "فرائض" الواردة في الآية السابقة ونبحث عنها في العهد القديم اليوناني لمعرفة الأماكن التي ذُكِرت فيها، سوف نكتشف أن لا علاقة لها بناموس موسى بل بأحكام ومراسيم البشر، وتحديدًا أحكام الموت التي يصدرها البشر. فيما يلي الآيات الوحيدة في العهد القديم اليوناني التي تستخدم هذه الكلمة [G1378] التي تُرجِمت إلى فرائض لكنها تعني أحكام أو مراسيم.

- عزرا 6: 8 – الأمر الفارسي ببناء الهيكل.
- حزقيال 20: 25 و26 – أعطاهم الله فرائض وأحكام غير صالحة، ونجَّسهم بعطاياهم.
- دانيال 2: 13 – الأمر بقتل الحُكماء.
- دانيال 3: 10 و29 – مرسوم الموت في بقعة دورا الذي أصدره ملك بابل.
- دانيال 4: 6 – الأمر بإحضار جميع حكماء بابل.
- دانيال 6: 8 و10 و12 و13 و15 و26 – إمضاء مرسوم الموت المتعلق بعدم السجود لإله آخر سوى الملك.

أما نفس الاستعمال لهذه الكلمة في العهد الجديد فهو على النحو التالي:

- لوقا 2: 1 – صدور أمر من أوغسطس قيصر.
- أعمال 16: 4 – الأحكام التي أصدرها الرُسُل لتقليل ما يتم تعليمه من ناموس موسى بسبب موقف بعض اليهود المُبالغ فيه بشأن هذه المسألة.
- أعمال 17: 7 – أحكام قيصر.
- أفسس 2: 15 – المسيح أبطل الوصايا المتضمنة في فرائض (بشرية).
- كولوسي 2: 14 – محو الفرائض البشرية التي كانت ضدًا لنا.

إن استعمال هذه الكلمة للإشارة إلى الفرائض يظهر أنه لا علاقة لها بالشرائع التي كتبها موسى في العهد القديم. لكنها عوضًا عن ذلك تتحدث عن التشريعات والأحكام البشرية.

لقد كان الحكم (الأمر) الأول الذي أصدره البشر يتمثل في أن ابن الله ينبغي أن يموت بسبب الأحداث التي وقعت في جنة عدن. وقد ورَّث آدم هذا الحكم (الدينونة) إلى جميع أبنائه، وبالتالي فإن هذه الدينونة تحل على جميع الناس وهم في حالتهم الطبيعية. إلا أن الطبيعة البشرية تحاول إخفاء هذه الكراهية وتزعم محبتها لله، تمامًا مثل رعايا الدول الديكتاتورية الذين يخشون الموت في حالة عدم التزامهم بالخضوع والانصياع لمشيئة الحاكم (كوريا الشمالية على سبيل المثال).

أما مَنْ يسيرون في طريق الخلاص، ويقبلون أن الحياة التي عاشها يسوع على هذه الأرض قبل 2000 عام هي إعلان كامل عن صفات الله، وأن الله يغفر خطايانا مجانًا، يبدأون في التحول من روح الدينونة والإدانة إلى روح المحبة والغفران.

> "وَأُعْطِيهِمْ قَلْبًا وَاحِدًا، وَأَجْعَلُ فِي دَاخِلِكُمْ رُوحًا جَدِيدًا، وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِهِمْ وَأُعْطِيهِمْ قَلْبَ لَحْمٍ، لِكَيْ يَسْلُكُوا فِي فَرَائِضِي وَيَحْفَظُوا أَحْكَامِي وَيَعْمَلُوا بِهَا، وَيَكُونُوا لِي شَعْبًا، فَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلهًا" (حزقيال 11: 19 و20).

إن صفاتنا الحقيقية ينبغي أن تُستَعلن وتنكشف حتى نُعتَق (نتحرر) بالكامل من روح الإدانة وحكم الموت التي ورثناها عن أبينا الأول. لا يمكننا تجنب الإحساس العميق بالإدانة والدينونة الذي يأتي من طبيعتنا عندما نقترب من ابن الله، ولكن يمكننا أن ندرك سبب حدوث ذلك ونسمح للمسيح بالعمل فينا بدلاً من رفضه وصلبه ثانيةً.

عندما نتمسك بوعود الله، بمساعدة روحه، ونواجه الدينونة التي سكبناها على المسيح وهي تنعكس علينا، عندئذٍ سنُختَم باسم الآب.

> "ثُمَّ نَظَرْتُ وَإِذَا خَرُوفٌ وَاقِفٌ عَلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ، وَمَعَهُ مِئَةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا، لَهُمُ اسْمُ أَبِيهِ مَكْتُوبًا عَلَى جِبَاهِهِمْ" (رؤيا 14: 1).

لم يقع الرب يسوع وهو في الجسد في تجربة الاعتقاد بأن أباه يدينه، ولم يدين أبيه بسبب الصعوبات التي واجهها أثناء حياته على الأرض. وهو على دراية تامة بصفات طبيعتنا بطريقة لا يمكننا أبدًا أن نفعل مثلها ما لم تكن لدينا البصيرة والقدرة على التمييز التي لديه. وإذا قبلنا حقًا أننا، مثل قايين، مجرمون بطبيعتنا وممتلئون بالكره، وأننا ينبغي أن نموت عن الذات ونثق في نعمته، فحينئذ ننال عطية حياته المجانية وسيغلب فينا.

> "وَلأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُحْتَاجًا أَنْ يَشْهَدَ أَحَدٌ عَنِ الإِنْسَانِ، لأَنَّهُ عَلِمَ مَا كَانَ فِي الإِنْسَانِ" (يوحنا 2: 25).

"بَلْ نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةِ اللهِ فِي سِرّ: الْحِكْمَةِ الْمَكْتُومَةِ، الَّتِي سَبَقَ اللهُ فَعَيَّنَهَا قَبْلَ الدُّهُورِ لِمَجْدِنَا، الَّتِي لَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هذَا الدَّهْرِ، لأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ" (كورنثوس الأولى 2: 7 و8).

قريباً ستنطلق قوى الظلام بالكامل على هذا العالم، لكن الملائكة في الوقت الحالي يصدون رياح الصراع والنزاع ويمنعوها من تدمير الأرض بالكامل إلى أن يُختَم شعب الله بصفات الآب (أي اسمه).

"وَبَعْدَ هذَا رَأَيْتُ أَرْبَعَةَ مَلاَئِكَةٍ وَاقِفِينَ عَلَى أَرْبَعِ زَوَايَا الأَرْضِ، مُمْسِكِينَ أَرْبَعَ رِيَاحِ الأَرْضِ لِكَيْ لاَ تَهُبَّ رِيحٌ عَلَى الأَرْضِ، وَلاَ عَلَى الْبَحْرِ، وَلاَ عَلَى شَجَرَةٍ مَا. وَرَأَيْتُ مَلاَكًا آخَرَ طَالِعًا مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ مَعَهُ خَتْمُ اللهِ الْحَيِّ، فَنَادَى بِصَوْتٍ عَظِيمٍ إِلَى الْمَلاَئِكَةِ الأَرْبَعَةِ، الَّذِينَ أُعْطُوا أَنْ يَضُرُّوا الأَرْضَ وَالْبَحْرَ، قَائِلًا: لاَ تَضُرُّوا الأَرْضَ وَلاَ الْبَحْرَ وَلاَ الأَشْجَارَ، حَتَّى نَخْتِمَ عَبِيدَ إِلهِنَا عَلَى جِبَاهِهِمْ" (رؤيا 7: 1 – 3).

هذا الإطار الجديد مبني على كلام المسيح أنه لا هو ولا أبيه يدين أحدًا.

إن الختم الذي يُختَم به أبناء الله هو نزع طبيعة الحكم والدينونة التي ورثناها عن آدم والتي تصدر أحكام الموت بحق الآخرين. سيُختَم أبناء بصفات تمتنع عن إدانة أحدٍ أو إصدار أحكام بحق أي إنسان، لكنهم سيتكلون إتكالاً كاملاً على صلاح الله ورحمته.

ولهذا السبب يتعيّن على أبناء الله أن يمروا بوقت ضيقة يعقوب. فالتفكير الخاضع للطبيعة الجسدية المُحِب لإصدار الأحكام هو السبب الرئيسي في أن ولادة المسيح فينا (أو تغيرنا لنصبح مثل المسيح في الصفات) تشبه آلام المخاض الشديدة.

"لأَنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا كَمَاخِضَةٍ، ضِيقًا مِثْلَ ضِيقِ بِكْرِيَّةٍ. صَوْتَ ابْنَةِ صِهْيَوْنَ تَزْفِرُ. تَبْسُطُ يَدَيْهَا قَائِلَةً: وَيْلٌ لِي، لأَنَّ نَفْسِي قَدْ أُغْمِيَ عَلَيْهَا بِسَبَبِ الْقَاتِلِينَ" (إرميا 4: 31).

سيكون الإطار الذي وضعنا فيه العديد من هذه الآيات جديدًا بالنسبة لأولئك الذين هم على دراية بتعاليم الكتاب المقدس المتعلقة بالختم والأحداث الأخيرة من تاريخ الأرض. هذا الإطار الجديد مبني على كلام المسيح أنه لا هو ولا أبيه يدين أحدًا.

فكيف ستدين؟

22. كرسي دينونة المسيح

طرحنا في نهاية الفصل الثالث التساؤل هل إننا حقًا نفهم ما هو عدل الله؟ وقد تناولنا العديد من النقاط للتأكيد على أن الله لا يحكم على أحد ولا يدين أي إنسان. نتذكر جملة ذكرناها في الفصل الثالث:

> "الاعتقاد الشائع هو أن الله صاحب السيادة والسلطان، وأن جميع قادة المجتمع الذين يحكمون بين الناس يحصلون أيضًا على هذا السلطان منه، وبالتالي يؤسسون العدل على سلطة استخدام السيف (أي استخدام القوة للإرغام والإكراه). فالعدل لديهم هو الحكم على الأفعال بأنها جيدة أو سيئة، وبالتالي فالحسنات تُكافئ والسيئات تُعَاقب".

هذه الصورة عن الله ترى أن الرحمة تعمل كمبدأ مخالف للعدل. إن فهمنا البشري لهذين المبدأين هو أنه لا يمكن لهما العمل في نفس الوقت. فإن أُعطيِت الرحمة لنا، فلا بد أن تتحقق مطالب العدالة وتأخذ مجراها. وإن استوفت العدالة مطالبها، فتكون الرحمة قد نضبت.

لو صار فهمنا لعدل الله خاليًا من مبدا القوة والإرغام (سواء من الناحية الجسدية أو العقلية) والتهديد بالموت، فإن العلاقة بين الرحمة والعدل تتغير بالكامل.

> "الْعَدْلُ وَالْحَقُّ قَاعِدَةُ كُرْسِيِّكَ. الرَّحْمَةُ وَالأَمَانَةُ تَتَقَدَّمَانِ أَمَامَ وَجْهِكَ" (مزمور 89: 14).

> "البر والقضاء قاعدتا عرشك، الرحمة والحق يتقدمان حضرتك" (مزمور 89: 14 – الترجمة التفسيرية).

هذه الآية في سفر المزامير مهمة جدًا لأنها تتحدث عن العلاقة بين العدل والرحمة. لقد اقتبست نسختين مختلفتين لأن إحداهما تستخدم فاصلة منقوطة لربط الجملتين معًا، بينما تستخدم الثانية نقطتين رأسيتين (هذا الفرق موجود في النسختين الإنجليزيتين المُشار إليهما). فما هو الفرق بينهما؟

> تُؤسّسُ الفاصلة المنقوطة اتصالًا وثيقًا بين جملتين. كأن تكون الجُملة الأولى سببًا أو دليلاً للثَّانية، أو العكس. أما النقطتان الرأسيتان فينبغي استخدامهما للدلالة على العلاقة القوية والمباشرة. وينبغي أن يقدما تأكيدًا أو مثالاً أو تفسيرًا". [21]

الآية الأولى المقتبسة من نسخة الملك جيمس (بالإنجليزية) تعطي إرتباطًا أقوى بين العدل

---

[21] http://crosstalk.cell.com/blog/colons-vs-semicolons

والرحمة. ففي جوهرها تقول أن عدل الله ودينونته يظهران على أنهما رحمة وحق. واستخدام الفاصلة المنقوطة في النسخة الثانية يدل على أن العدل والرحمة مرتبطان ببعضهما. وهو ما يدعم نفس الفكرة، لكن الصلة بين الفكرتين في النسخة الثانية أقل قوة. بغض النظر عن هذا، فإن مبدأ التوازي [22] العبراني الذي تتضمنه الآية يشير إلى تكرار نفس الفكرة، ولكن بطريقة مختلفة.

إن الحق الجميل الموجود في هذه الآية هو أن عدل الله يظهر على أنه رحمة. فالعدل هو القيام بما هو صائب وفي محله. ووفقًا لصفات الله، فإن الشيء الصائب الذي في محله الذي هو إظهار الرحمة والإحسان.

> "**أَبُو الْيَتَامَى وَقَاضِي الأَرَامِلِ**، اَللهُ فِي مَسْكِنِ قُدْسِهِ" (مزمور 68: 5).

> "تَأَوَّهَ الْوُدَعَاءِ قَدْ سَمِعْتَ يَا رَبُّ. تُثَبِّتُ قُلُوبَهُمْ. **تُمِيلُ أُذُنَكَ لِحَقِّ الْيَتِيمِ وَالْمُنْسَحِقِ**، لِكَيْ لاَ يَعُودَ أَيْضًا يَرْعَبُهُمْ إِنْسَانٌ مِنَ الأَرْضِ" (مزمور 68: 5).

> "لأَنَّكَ أَنْتَ يَا رَبُّ صَالِحٌ وَغَفُورٌ، وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ لِكُلِّ الدَّاعِينَ إِلَيْكَ" (مزمور 86: 5).

إن الشيء الصائب الذي في محله هو الاهتمام باليتامى والفقراء. والشيء الذي في محله هو إظهار الرحمة والإحسان والعفو عن الآخرين. هذا هو العدل في ملكوت الله. تحتوي أسفار الوحي المقدسة على العديد من النصوص التي تتحدث عن الدينونة التي يدين بها الله الناس. لكننا بالطبيعة نعتقد أن هذه النصوص تتحدث عن الدينونة التي تحكم على الناس، وليست الدينونة التي تجلب الإبراء والشفاء.

> "مِنْ صِهْيَوْنَ، كَمَالِ الْجَمَالِ، اللهُ أَشْرَقَ. يَأْتِي إِلهُنَا وَلاَ يَصْمُتُ. نَارٌ قُدَّامَهُ تَأْكُلُ، وَحَوْلَهُ عَاصِفٌ جِدًّا. يَدْعُو السَّمَاوَاتِ مِنْ فَوْقُ، وَالأَرْضَ إِلَى مُدَايَنَةِ شَعْبِهِ: «اجْمَعُوا إِلَيَّ أَتْقِيَائِي، الْقَاطِعِينَ عَهْدِي عَلَى ذَبِيحَةٍ». وَتُخْبِرُ السَّمَاوَاتُ بِعَدْلِهِ، لأَنَّ اللهَ هُوَ الدَّيَّانُ" (مزمور 50: 2 – 6).

> "هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ قَائِلًا: اقْضُوا قَضَاءَ الْحَقِّ، وَاعْمَلُوا إِحْسَانًا وَرَحْمَةً، كُلُّ إِنْسَانٍ مَعَ أَخِيهِ. وَلاَ تَظْلِمُوا الأَرْمَلَةَ وَلاَ الْيَتِيمَ وَلاَ الْغَرِيبَ وَلاَ الْفَقِيرَ، وَلاَ يُفَكِّرْ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَرًّا عَلَى أَخِيهِ فِي قَلْبِكُمْ" (زكريا 7: 9 و10).

إن العمل الذي تتضمنه دينونة الله يتمثل في شفاء شعبه وإنقاذهم. فيقول لنا:

> "وَادْعُنِي فِي يَوْمِ الضِّيقِ أُنْقِذْكَ فَتُمَجِّدَنِي" (مزمور 50: 15).

---

[22] https://bit.ly/2Ojx35p

لكن السؤال العاجل الذي يطرح نفسه هو ماذا عن العقوبة التي يحصل عليها فاعلي الشر؟ ألا يقوم الله بتقييد أولئك الذين يريدون فعل الشر؟ دعونا نواصل قراءتنا في الأصحاح الخمسين من سفر المزامير:

"وَلِلشِّرِّيرِ قَالَ اللهُ: مَا لَكَ تُحَدِّثُ بِفَرَائِضِي وَتَحْمِلُ عَهْدِي عَلَى فَمِكَ؟ وَأَنْتَ قَدْ أَبْغَضْتَ التَّأْدِيبَ وَأَلْقَيْتَ كَلاَمِي خَلْفَكَ. إِذَا رَأَيْتَ سَارِقًا وَافَقْتَهُ، وَمَعَ الزُّنَاةِ نَصِيبُكَ. أَطْلَقْتَ فَمَكَ بِالشَّرِّ، وَلِسَانُكَ يَخْتَرِعُ غِشًّا. تَجْلِسُ تَتَكَلَّمُ عَلَى أَخِيكَ. لابْنِ أُمِّكَ تَضَعُ مَعْثَرَةً. هذِهِ صَنَعْتَ وَسَكَتُّ. ظَنَنْتَ أَنِّي مِثْلُكَ. أُوَبِّخُكَ، وَأَصُفُّ خَطَايَاكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ" (مزمور 50: 16 – 21).

يخبر الرب الأشرار بمكان خطئهم والخطر العظيم الذي يقعون فيه. وتخبرنا الآيات السابقة أنه يضع هذا أمام أعينهم. أما نهاية هذا الأصحاح فهي على النحو التالي:

"افْهَمُوا هذَا يَا أَيُّهَا النَّاسُونَ اللهَ، لِئَلاَّ أَفْتَرِسَكُمْ وَلاَ مُنْقِذَ. ذَابحُ الْحَمْدِ يُمَجِّدُنِي، وَالْمُقَوِّمُ طَرِيقَهُ أُرِيهِ خَلاَصَ اللهِ" (مزمور 50: 22 و23).

تترجم معظم نسخ الكتاب المقدس الآية الواردة في مزمور 50: 22 على أساس أن الله سيمزق الأشرار ويقطّعهم إربًا. تعكس هذه الترجمة الطريقة التي نتوقع أن يتصرف الله بها، إلا أن النص في حقيقة الأمر لا يصرِّح بذلك عندما يتم فحصه فحصًا دقيقًا.

"افهموا هذا يا أيها الناسون الله، لئلا أدمُعُ، ولا مُنقِذ" (مزمور 50: 22 – ترجمة يونغ الحرفية).

إن الكلمة العبرانية المستخدمة للتعبير عن كلمة "أفترسكم" تعني بكل بساطة "يمزّق" أو "يدمع". لكنها لا تعني التمزيق أو التقطيع إربًا. ونفس صيغة الكلمة العبرانية [23] المستخدمة للإشارة إلى "الدموع" مستخدمة أيضًا في سفر هوشع، وتخبرنا بالضبط ما يعنيه الله في هذه الحالة.

"لأَنِّي لأَفْرَايِمَ كَالأَسَدِ، وَلِبَيْتِ يَهُوذَا كَشِبْلِ الأَسَدِ. **فَإِنِّي أَنَا أَفْتَرِسُ وَأَمْضِي وَآخُذُ وَلاَ مُنْقِذٌ. أَذْهَبُ وَأَرْجعُ إِلَى مَكَانِي حَتَّى يُجَازَوْا وَيَطْلُبُوا وَجْهِي.** فِي ضِيقِهِمْ يُبَكِّرُونَ إِلَيَّ" (هوشع 5: 14 و15).

التمزيق هنا يعني عودة الله إلى مكانه وسماحه للأشرار بمكابدة النتائج المترتبة على قراراتهم واختياراتهم. لنتبع التسلسل التالي:

---

[23] لقد وردت الكلمة العبرانية في صيغة الكال أي المصدر. إذا كان القصد من الكلمة التقطيع أو التمزيق إربًا، لكان من الضروري أن تأتي إما في صيغة النيفال أو في صيغة البوال.

1. عينا الرب تدمع فيذهب.
2. لا منقذ للأشرار.
3. يرجع الله إلى مكانه وينتظر.
4. إلى أن يُجازى الأشرار بسبب مكابدة النتائج المترتبة على أفعالهم.
5. يحصل الأشرار على الفرصة لطلب حضور الله في ضيقتهم.

يتعذَّب الله عندما يترك أيًا من أبنائه يواجه نتيجة شره. ويؤلمه ذلك بشدة لدرجة أن عينيه تدمعان. فهو يعلم أن أبنائه سيعانون ويتألمون ولكن لأنهم لن يسمعوا، فيتعيّن على الله أن يتركهم لمواجهة النتائج المترتبة على قراراتهم واختياراتهم.

ونرى في وقت الضيق هذا أن الأشرار لديهم الفرصة للرجوع إلى الله ونيل الشفاء. هذا هو ما يعنيه الله في الآية الأخيرة من المزمور الخمسين.

"ذَابِحُ الْحَمْدِ يُمَجِّدُنِي، وَالْمُقَوِّمُ طَرِيقَهُ أُرِيهِ خَلاَصَ اللهِ" (مزمور 50: 23).

قيلت هذه الكلمات للأشرار. إن دينونة الله للأشرار هي السماح لهم باختبار عواقب شرورهم، فالأشرار ينبغي أن يذوقوا مُرَّ أفعالهم على أمل أن يرجعوا إلى الله وينالوا الشفاء. إن الله بمقدوره التشفع إلى حد ما في هذه العواقب حتى تقع على الأشرار بأفضل طريقة تساعدهم على التعرف على خداع النفس الذي تُحدثه الخطية (لاحظ على سبيل المثال كيف وقعت الضربات على أرض مصر بطريقة أظهرت عجز الآلهة المصرية عن أن تُخلِّص). "وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ" (كولوسي 1: 17). إذا رأى الشرير في أي وقت نعمة في الله وتاب، فإن الله سيلتفت إليه مرة أخرى ويرحمه ويحسن إليه. فأفعال الله في الدينونة هي دائمًا للشفاء والإبراء، وليست للإدانة والإهلاك.

يصف الكتاب المقدس القضاء الجزائي (العقابي) على النحو التالي:

"مَعْرُوفٌ هُوَ الرَّبُّ. قَضَاءً أَمْضَى. الشِّرِّيرُ يَعْلَقُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ" (مزمور 9: 16).

نسأل مرة أخرى: كيف يتعامل الله مع العصاة الذين يفعلون الشر؟ يسمح لهم بالوقوع في المصائد التي يصنعونها للآخرين. ويرجع الله إلى مكانه إلى أن يُجازوا. هذا المبدأ مكتوب في الوصايا العشر نفسها.

"لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ، **أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ**، وَأَصْنَعُ إِحْسَانًا إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّيَّ وَحَافِظِي وَصَايَايَ" (خروج 20: 5 و6).

إن عدل الله يتمثل في إظهار الرحمة وجلب الشفاء، ولكن إذا رُفِضت رحمته، فإنه يسمح

للناس بأن يجنوا العواقب الطبيعية المترتبة على قراراتهم واختياراتهم وذلك بسبب احترامه العطوف لحرية الإنسان وإرادته. وعندما يشعر الناس بالضيق الشديد بسبب المحن والنكبات التي تحل عليهم نتيجة حماقتهم، يحاول الله أن يُرجِعهم إليه لكي يشفيهم. فإذا أصرَّ الناس على التمرد وعدم الاستماع، فسوف يهلكون في شرهم. يختلف نظام العدالة هذا اختلافًا كاملاً عن نظام قيصر (أي السلطة البشرية) الذي يُلحِق الأذى والسجن والموت للمخالف. هذه إحدى الطرق التي يجلب بها طرق البشر على رؤوسهم، فهو يسمح لعدالة قيصر أن توجد ويسمح لهذا النظام الآثم بمعاقبة مَنْ يفعلون الشر. وهذه هي نقمة الله التي يشير إليها الكتاب المقدس.

"فَإِنَّ الْحُكَّامَ لَيْسُوا خَوْفًا لِلأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بَلْ لِلشِّرِّيرَةِ. أَفَتُرِيدُ أَنْ لاَ تَخَافَ السُّلْطَانَ؟ افْعَلِ الصَّلاَحَ فَيَكُونَ لَكَ مَدْحٌ مِنْهُ، لأَنَّهُ خَادِمُ اللهِ لِلصَّلاَحِ! **وَلكِنْ إِنْ فَعَلْتَ الشَّرَّ فَخَفْ، لأَنَّهُ لاَ يَحْمِلُ السَّيْفَ عَبَثًا، إِذْ هُوَ خَادِمُ اللهِ، مُنْتَقِمٌ لِلْغَضَبِ مِنَ الَّذِي يَفْعَلُ الشَّرَّ**" (رومية 13: 3 و4).

إن المبادئ الواردة في رومية 13: 3 و4 هي تعبير عن مبدأ الوصايا العشر المتعلق بافتقاد أفعال الإنسان الشريرة. بهذه الطريقة يصبح قيصر خادم الله للانتقام من الشر. وهذا لا يعني أن قيصر يعيش وفقًا لصفات الله أو أنه يمثل الله بأي شكل من الأشكال، ولكن الله يسمح للنتائج المترتبة على نظام عدالة الإنسان الخاطئ بالارتداد عليه.

لقصير والمسيح على حدٍ سواء كرسي دينونة.

"فَقَالَ بُولُسُ: **أَنَا وَاقِفٌ لَدَى كُرْسِيِّ وِلاَيَةِ قَيْصَرَ (أي محكمة قيصر)** حَيْثُ يَنْبَغِي أَنْ أُحَاكَمَ. أَنَا لَمْ أَظْلِمِ الْيَهُودَ بِشَيْءٍ، كَمَا تَعْلَمُ أَنْتَ أَيْضًا جَيِّدًا" (أعمال 25: 10).

"**لأَنَّهُ لاَبُدَّ أَنَّنَا جَمِيعًا نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ**، لِيَنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا" (كورنثوس الثانية 5: 10). "**إِذْ يَنبَغِي أَنْ نَقِفَ جَمِيعاً أمامَ كُرسِيِّ قَضاءِ المَسِيحِ**، لِكَي يَنالَ كُلُّ واحِدٍ جَزاءَ ما فَعَلَهُ وَهُوَ فِي هَذا الجَسَدِ، خَيراً كانَ أمْ شَرّاً" (كورنثوس الثانية 5: 10 – الترجمة المبسطة).

كرسيا الدينونة هذان غير متشابهين. فكرسي قضاء المسيح يسير على مبدأ مختلف تمامًا عن قضاء قيصر. ونظام عدالة السماء لا يستخدم القوة والإرغام أو التهديد بالموت لدعم مبادئه. فاستخدام القوة منافي لمبادئ مملكة المسيح ويتعارض معها.

"أَجَابَ يَسُوعُ: مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لاَ أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلكِنِ الآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا" (يوحنا 18: 36).

مبدأ القتال أو الجهاد هو مبدأ القوة في هذا السياق. لكن مملكة المسيح لا تلجأ لاستعمال القوة. ما معنى الوقوف أمام كرسي قضاء (دينونة) المسيح لكي ينال كل واحد جزاء ما فعله وهو في الجسد؟ قد يبدو هذا وكأنه تهديد، أليس كذلك؟

"وَأَمَّا أَنْتَ، فَلِمَاذَا تَدِينُ أَخَاكَ؟ أَوْ أَنْتَ أَيْضًا، لِمَاذَا تَزْدَرِي بِأَخِيكَ؟ لأَنَّنَا جَمِيعًا سَوْفَ نَقِفُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ" (رومية 14: 10).

يطرح الرسول بولس السؤال: لماذا تدين أخاك؟ ثم يحذرنا قائلاً أننا سنقف أمام كرسي دينونة المسيح. هل تعد هذه العبارة تهديدًا للحض على السلوك الجيد؟ هذا مستحيل. فليس من المنطقي أننا لا ينبغي إدانة الآخرين، في حين أن المسيح سيديننا. إذا كان لا يتوجب علينا إدانة الآخرين، فنحن بحاجة إلى مثال كامل في المسيح نتعلّم من خلاله عدم الحكم والدينونة. وهذا هو بالضبط ما يخبرنا به الرب يسوع، فهو لا يدين أحدًا (يوحنا 8: 15).

فما هو إذن معنى الوقوف أمام كرسي دينونة المسيح؟

"لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ. فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ" (رومية 12: 19 و20).

إن الوقوف أمام يسوع، الذي هو جوهر المحبة والعفو والرحمة، هو عذاب للنفس الأنانية. عندما وقف قادة اليهود أمام المسيح وهو يكتب على الأرض، دفعهم حضوره وما قام بكتابته ليدينوا أنفسهم ويخرجوا من محضره.

إن الوقوف أمام يسوع، الذي هو جوهر المحبة والعفو والرحمة، هو عذاب للنفس الأنانية.

لمحبة الله ورحمته قوتها الفطرية القادرة على الإقناع والتبكيت. ولرحمة الله غير المحدودة قدرة غير متناهية تبكت النفس بمدى نقاء الله ومدى شرورنا. وكل يوم يتحمل مخلصنا الرعب الناجم عن حالات الانتحار والقتل والجرعات الزائدة من المخدرات وحالات الإجهاض التي لا حصر لها. إن احتماله لهذه الأشياء يعبر عن محبة واسعة جدًا نعجز عن سبر أغوارها أو التمكن من فهمها فهمًا كاملاً.

لهذه المحبة قوة بحيث أنه عندما يقف الخاطئ أمام كرسي دينونة المسيح هذا دون أن تُغتَفَر خطاياه، فإن ذنب أنانيته سيسحقه. ليس الله هو الذي يدين الخاطئ، فالدينونة لا تأتي من الله بل من الشيطان وآدم.

اقبل رحمة الله اليوم، فهذه هي عدالته، أن يغفر لك مجانًا ويحررك من ذنبك.

23. تطهير المَقدِس ويوم الكفارة

يقع عيد الفصح وعيد الفطير في بداية التقويم اليهودي، وهذا يمثل بداية عملية المصالحة التي تركز على الذبيحة ومغفرة الخطية. وتجد هذه العملية مركزها في الدار الخارجية ومذبح الذبيحة.

يوم كيبور أو يوم الكفارة باللغة العربية هو أقدس يوم في السنة بالنسبة لليهود. لقد كانت الأحداث التي تقع في هذا اليوم تسهِّل اكتمال عملية المصالحة. وهذا اليوم يقع في اليوم العاشر من الشهر السابع في التقويم اليهودي، ويوجد عمله الرئيسي في قدس الأقداس بالمَقدِس. في هذا الوقت الشعب مدعو إلى الصيام والتذلل والتواضع أمام الله، وعليهم إصلاح علاقتهم بالله لأن هذا اليوم هو يوم الدينونة.

تتضمن الطقوس الرئيسية المرتبطة بهذا اليوم تيسين من المَعزِ.

> "يَلْبَسُ قَمِيصَ كَتَّانٍ مُقَدَّسًا، وَتَكُونُ سَرَاوِيلُ كَتَّانٍ عَلَى جَسَدِهِ، وَيَتَنَطَّقُ بِمِنْطَقَةِ كَتَّانٍ، وَيَتَعَمَّمُ بِعِمَامَةِ كَتَّانٍ. إِنَّهَا ثِيَابٌ مُقَدَّسَةٌ. فَيَرْحَضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ وَيَلْبَسُهَا. **وَمِنْ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَأْخُذُ تَيْسَيْنِ مِنَ الْمَعْزِ لِذَبِيحَةِ خَطِيَّةٍ**، وَكَبْشًا وَاحِدًا لِمُحْرَقَةٍ. وَيُقَرِّبُ هَارُونُ ثَوْرَ الْخَطِيَّةِ الَّذِي لَهُ، وَيُكَفِّرُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ بَيْتِهِ. **وَيَأْخُذُ التَّيْسَيْنِ وَيُوقِفُهُمَا أَمَامَ الرَّبِّ لَدَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. وَيُلْقِي هَارُونُ عَلَى التَّيْسَيْنِ قُرْعَتَيْنِ: قُرْعَةً لِلرَّبِّ وَقُرْعَةً لِعَزَازِيلَ.** وَيُقَرِّبُ هَارُونُ التَّيْسَ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ لِلرَّبِّ وَيَعْمَلُهُ ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ. وَأَمَّا التَّيْسُ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ لِعَزَازِيلَ فَيُوقَفُ حَيًّا أَمَامَ الرَّبِّ، لِيُكَفِّرَ عَنْهُ لِيُرْسِلَهُ إِلَى عَزَازِيلَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ" (لاويين 16: 4 – 10).

أشرنا في الفصل الرابع عشر إلى أن المَقدِس لا يعبِّر بشكل كامل عن صفات الله، ولكنه يمثل العملية التي يتصالح الإنسان من خلالها مع الله. بتقدمة وذبيحة لا يُسرُّ الله (مزمور 40: 6). هذا يعني أن هذا الحدث يعكس فهمنا أو تصورنا البشري للدينونة.

أحد التيسين يُدعى تيس الرب، والآخر يُدعى تيس عزازيل. لماذا يتم استخدام التيوس وليس الحملان؟

المثير للدهشة هو أن الكلمة العبرانية التي تعني "مَعز" هنا يمكن استخدامها بثلاث طرق مختلفة:

1) مكسو بالشعر (صفة)
2) تيس ، ذَكَرُ الأيِّل (اسم مذكر)
- كذبيحة

- ساتير، **إشارة لتيس به شيطان،** كالشياطين التي دخلت خنازير كُورَةِ الْجِرْجَسِيِّينَ (متى 8: 30 – 32).

تتم عملية اختيار التيسين عن طريق القرعة. ويمكن أن تقع القرعة على أي منهما ليكون تيس الرب أو تيس عزازيل. هذا هو أول مكان يُذكَر فيه إلقاء قرعة في الكتاب المقدس. يقدم آدم كلارك، المفسِّر الشهير للكتاب المقدس في القرن التاسع عشر، الطريقة التي تُجرَى بها القرعة، فيقول:

> "يخبرنا اليهود أنه يتم إلقاء قرعتين إما من الخشب أو الحجر أو أي نوع من المعدن. يُكتب على الواحدة "لاشيم" للإشارة إلى "يهوه" اسم الله الذي لا يكتبه اليهود ولا ينطقونه، وعلى الأخرى يُكتَب لعزازيل. ثم يضعون القرعتين في وعاء يُدعى "كالبي"، ويقف التيسان ووجههما نحو الغرب. وبعد ذلك يأتي الكاهن، ويقف التيسان أمامه، أحدهما عن اليمين والآخر عن اليسار. ثم يقوم الكاهن بهز الوعاء "الكالبي"، ويضع يداه الإثنان في الوعاء ويُمسِك بقرعة في كل يد. القرعة التي يمسكها بيده اليمنى كان يضعها على التيس الواقف جهة اليمين، والقرعة التي يمسكها بيده اليسرى يضعها على التيس الواقف جهة اليسار. وحسب المكتوب في القرعة كان يتم تحديد تيس عزازيل وتيس الذبيحة الذي للرب (تعليق على لاويين 16: 8).

كان الأوريم والتميم يستعملان في العهد القديم، وعن طريقهما كانت تُعلَن إرادة الله. وهما عبارة عن حجرين يوضعان على كتفي رئيس الكهنة. وكان الله يعلن إرادته إما بإضاءة حجر منهما أو جعل الحجر الآخر معتمًا. ولكن في يوم الكفارة كان يتم إلقاء القرعة بدلاً من استعمال الأوريم والتميم، وهذه الوسيلة أبسط بكثير من الوسيلة الأخرى ويبدو أنها تتم بطريقة اعتباطية. ويمكن القول أن الرب هو من يختار التيس الذي تقع عليه القرعة، ولكن الأمر يبدو وكأنه يتم بطريقة عشوائية تمامًا.

كان مبدأ وضع ذنب الأمة على إنسان أو حيوان أمرًا شائعًا في الثقافات الوثنية. وهذا يتناسب تمامًا مع الطريقة التي يُعالج بها الإنسان الطبيعي شعوره بالذنب. يقدم آدم كلارك بعض المعلومات التاريخية المثيرة للاهتمام في تعليقه على لاويين 16: 10 إذ يقول:

> "معظم الأمم القديمة كانت تقدم ذبائح للتكفير عن الخطايا، وكانوا يقومون بشعائر وطقوس معينة ينتقل من خلالها ذنب الجماعة ككل إلى تلك الذبائح، بنفس الطريقة التي كان يستعمل بها اليهود كبش الفداء. العجل الأبيض الذي كان يقدمه المصريون لإلههم آبيس كان أيضًا من هذا النوع، فكانوا يقطعون رأسه وبعد ذلك يقومون بتعبئتها باللعنات حتى ينصرف عنهم أي شر عالق بهم أو بأرض مصر وحتى يستقر على هذه الرأس. وبعد ذلك كانوا يبيعونها إما لليونانيين أو يقومون بإلقائها

في النيل".

ويقول بيترونيوس أربيتر أنه كان من المعتاد بين سكان مرسيليا القدماء أنهم كلما أصيبوا بأي وباء، أن يأخذوا أحد المواطنين الفقراء الذي يوافق على تقديم نفسه كذبيحة، وكانوا يطعمونه لمدة سنة كاملة بأطهر وأفضل الأطعمة، وكانوا يزينونه برعي الحمام ويلبسونه ثيابًا مقدسة. وبعد ذلك كانوا يلفون به حول مدينتهم ويصبون عليه اللعنات، وبعد أن يقوموا بالصلاة عليه لكي تحل عليه كل الشرور التي تعرضت لها المدينة، يقومون بعد ذلك برميه من أعلى الصخرة – ساتيريكون. يُلاحظ أنه كان من المعتاد تكريس رجل سنويًا للموت من أجل سلامة الشعب بهذه الكلمات Περιψήμα ημων γενου التي تعني "فلتكن أنت مطهرنا". وبعد أن يتم قول ذلك، يُلقى الشخص في البحر كذبيحة لنبتون.

ربما يكون هذا هو نفس المبدأ الذي تم تطبيقه على يونان عندما طلب ممن كانوا حوله أن يلقوا به من السفينة كذبيحة، فيأخذ كل الذنب معه وتنتهي العاصفة.

عندما خرج الإسرائيليون من مصر كانوا على دراية بعادات المصريين الخاصة بالتكفير أو الكفارة. وقد أدخِلت هذه المبادئ في نظام العبادة الإسرائيلي لتعريف الشعب أن الله سيتعامل مع معضلة الخطية وأنه سيرفع الذنب عن الأمة. وهو نفس المبدأ الذي استجدى به قيافا رئيس الكهنة في زمن المسيح عندما اقترح أنه من الأفضل أن يموت إنسانٌ واحدٌ عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها.

> "وَلاَ تُفَكِّرُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلاَ تَهْلِكَ الأُمَّةُ كُلُّهَا!" (يوحنا 11: 50).

وفي محاولة منه لإنقاذ حياة يسوع، عرض بيلاطس على الجمع الاختيار بين التضحية بيسوع أم التضحية بباراباس.

> "وَلَكُمْ عَادَةٌ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ وَاحِدًا فِي الْفِصْحِ. أَفَتُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ مَلِكَ الْيَهُودِ؟ فَصَرَخُوا أَيْضًا جَمِيعُهُمْ قَائِلِينَ: «لَيْسَ هذَا بَلْ بَارَابَاسَ!». وَكَانَ بَارَابَاسُ لِصًّا" (يوحنا 18: 39 و40).

وكما كانت هناك عشوائية في اختيار تيسي الكفارة وقرعة تقرر من منهما يموت ومن يعيش، فقد حدث الشيء ذاته في الأحداث المصاحبة لصلب المسيح. فالجمع الذي كان متقلبًا في مزاجه وكانت تحركه مشاعره المضطربة اختار باراباس ليعيش وأسلموا المسيح للموت.

إن قصة يوم كيبور هي محاولة من الله لمخاطبة البشرية وتعريفهم أنه قد صالحنا لنفسه، ولكن الطريقة التي يعلن بها عن هذا هي من خلال أساليب تفكيرنا. فأفكار الله ليست أفكارنا،

ولكي يتسنى له الوصول إلينا كان لزامًا أن يتحدث إلينا بالطريقة التي نفهمها.[24]

إن قصة يوم كيبور ترجع بنا حقًا إلى البداية، لأن الأمور لا يمكنها أن تنتهي إلا من حيث بدأت؛ بمعنى أنه لا يمكن للمصالحة أن تحدث إلا عندما تُعالج القضايا التي تسببت في حدوث الصراع.

في الجنة، ألقى آدم بذنبه على إثنين آخرين:

> "فَقَالَ آدَمُ: **الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا** مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ" (تكوين 3: 12).

كان المسيح هو الحمل المذبوح منذ تأسيس العالم وبالتالي يمثله تيس الرب. كان على حواء أن تتحمل مسؤولية قيادة زوجها إلى الخطية. فأصبحت كبش فداء آدم. وكان اختبارها كالعيش في البرية وفي النهاية هلكت وهي قرابة الـ 1000 سنة.

في ختام تاريخ هذه الأرض، سيضغط القادة الدينيون في الكنائس على العالم للعبادة وفقًا لإملاءاتهم. وسوف يكون لزامًا على الجميع أن يقبلوا سمة الوحش حتى يتمكنوا من البيع والشراء. وكما أشرنا في الفصل العشرين، فإن الذين يرفضون مشروع العبادة يوم الأحد المفروض عليهم سيُصدَر بحقهم حكمًا بالموت. وسيبدأ العالم في اختبار كوارث وضيقات شديدة نتيجة التشريعات المفروضة ضد شريعة الله التي توصينا بحفظ اليوم السابع من الأسبوع أي يوم السبت مقدسًا.

سوف يلام شعب الله على الكوارث القادمة على الأرض. وسيُقتل بعضهم كذبيحة على أمل واهنٍ أن تتوقف اضطرابات الطبيعة والبشرية. عندما يظهر المسيح ليخلص شعبه، سيدرك الأشرار أنهم قد انخدعوا. حينئذ يحاولون أن يضعوا غضبهم الشديد على القادة الدينيين الذين خدعوهم، ويبحثون عن الكفارة بقتل هؤلاء القادة الدينيين.

إن الشيطان في نهاية المطاف هو مَنْ يضل العالم ويخدعهم، وبعد أن يُختَطف القديسين إلى السماء ويهلك الأشرار بسبب النتائج المترتبة على قراراتهم واختياراتهم، يُترَك الشيطان على الأرض لمدة ألف سنة.

> "وَرَأَيْتُ مَلاَكًا نَازِلًا مِنَ السَّمَاءِ مَعَهُ مِفْتَاحُ **الْهَاوِيَةِ**، وَسِلْسِلَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى يَدِهِ. فَقَبَضَ عَلَى التِّنِّينِ، الْحَيَّةِ الْقَدِيمَةِ، الَّذِي هُوَ إِبْلِيسُ وَالشَّيْطَانُ، **وَقَيَّدَهُ أَلْفَ سَنَةٍ**" (رؤيا 20: 1 و2).

القيود التي يُقيّد بها الشيطان وملائكته هي قيود ظروفهم وأحوالهم.

---

[24] راجع الفصل السادس عشر من كتاب أغابي المتاح عبر موقعنا الألكتروني

"لأَنَّهُ إِنْ كَانَ اللهُ **لَمْ يُشْفِقْ عَلَى مَلاَئِكَةٍ قَدْ أَخْطَأُوا**، بَلْ فِي **سَلاَسِلِ الظَّلاَمِ** طَرَحَهُمْ فِي جَهَنَّمَ، وَسَلَّمَهُمْ مَحْرُوسِينَ لِلْقَضَاءِ" (بطرس الثانية 2: 4).

لم يشفق الشيطان على أحد على مدار التاريخ البشري. لقد حكم وأدان واشتكى على البشر أجمعين. وبمثل الدينونة التي يدين بها، يتعيّن عليه الجلوس في صمت هذه الأرض الخَرِبة لمدة ألف سنة ويواجه دينونته. يسمي الكتاب المقدس هذا المكان بالهاوية أو الهوة السحيقة. فعمق اليأس والشقاء الذي يختبره الشيطان لا نهاية له. وسوف يكون سجينًا لعدم رحمته وقسوة قلبه وفشله في العفو. يلمِّح يسوع إلى هذه الحقيقة في أحد الأمثال التي قالها. فنقرأ:

"حِينَئِذٍ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ بُطْرُسُ وَقَالَ: «يَا رَبُّ، كَمْ مَرَّةً يُخْطِئُ إِلَيَّ أَخِي وَأَنَا أَغْفِرُ لَهُ؟ هَلْ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: لاَ أَقُولُ لَكَ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ، بَلْ إِلَى سَبْعِينَ مَرَّةً سَبْعَ مَرَّاتٍ. لِذلِكَ يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا مَلِكًا أَرَادَ أَنْ يُحَاسِبَ عَبِيدَهُ. فَلَمَّا ابْتَدَأَ فِي الْمُحَاسَبَةِ قُدِّمَ إِلَيْهِ وَاحِدٌ مَدْيُونٌ بِعَشْرَةِ آلاَفِ وَزْنَةٍ. وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يُوفِي أَمَرَ سَيِّدُهُ أَنْ يُبَاعَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَأَوْلاَدُهُ وَكُلُّ مَا لَهُ، وَيُوفَى الدَّيْنُ. فَخَرَّ الْعَبْدُ وَسَجَدَ لَهُ قَائِلًا: يَا سَيِّدُ، تَمَهَّلْ عَلَيَّ فَأُوفِيَكَ الْجَمِيعَ. فَتَحَنَّنَ سَيِّدُ ذلِكَ الْعَبْدِ وَأَطْلَقَهُ، وَتَرَكَ لَهُ الدَّيْنَ. وَلَمَّا خَرَجَ ذلِكَ الْعَبْدُ وَجَدَ وَاحِدًا مِنَ الْعَبِيدِ رُفَقَائِهِ، كَانَ مَدْيُونًا لَهُ بِمِئَةِ دِينَارٍ، فَأَمْسَكَهُ وَأَخَذَ بِعُنُقِهِ قَائِلًا: أَوْفِنِي مَا لِي عَلَيْكَ. فَخَرَّ الْعَبْدُ رَفِيقُهُ عَلَى قَدَمَيْهِ وَطَلَبَ إِلَيْهِ قَائِلًا: تَمَهَّلْ عَلَيَّ فَأُوفِيَكَ الْجَمِيعَ. فَلَمْ يُرِدْ بَلْ مَضَى وَأَلْقَاهُ فِي سِجْنٍ حَتَّى يُوفِيَ الدَّيْنَ. فَلَمَّا رَأَى الْعَبِيدُ رُفَقَاؤُهُ مَا كَانَ، حَزِنُوا جِدًّا. وَأَتَوْا وَقَصُّوا عَلَى سَيِّدِهِمْ كُلَّ مَا جَرَى. فَدَعَاهُ حِينَئِذٍ سَيِّدُهُ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْعَبْدُ الشِّرِّيرُ، كُلُّ ذلِكَ الدَّيْنِ تَرَكْتُهُ لَكَ لأَنَّكَ طَلَبْتَ إِلَيَّ. أَفَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّكَ أَنْتَ أَيْضًا تَرْحَمُ الْعَبْدَ رَفِيقَكَ كَمَا رَحِمْتُكَ أَنَا؟ **وَغَضِبَ سَيِّدُهُ وَسَلَّمَهُ إِلَى الْمُعَذِّبِينَ حَتَّى يُوفِيَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ.** فَهكَذَا أَبِي السَّمَاوِيُّ يَفْعَلُ بِكُمْ إِنْ لَمْ تَتْرُكُوا مِنْ قُلُوبِكُمْ كُلُّ وَاحِدٍ لأَخِيهِ زَلاَتِهِ" (متى 18: 21 – 35).

نرى في هذا المثل أن الرجل الذي كان مدينًا لسيده بالكثير استدار وأدان إنسانًا آخرًا كان مدينًا له بمبلغ أقل. مغزى هذه القصة هو أن مَنْ لا يرحمون ويعفون عن الآخرين سيواجهون سجن العذاب الذي يختبرون فيه إدانة الذات وتبكيت الضمير والحسرة. من المهم أن نلاحظ أن الله لا يعذبهم، لكنه يسمح لهم بمواجهة عواقب قراراتهم واختياراتهم. وهو العذاب الذي يخشى الملائكة الساقطون مواجهته.

"فَلَمَّا رَأَى يَسُوعَ صَرَخَ وَخَرَّ لَهُ، وَقَالَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «مَا لِي وَلَكَ يَا يَسُوعُ ابْنَ اللهِ الْعَلِيِّ؟ **أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ لاَ تُعَذِّبَنِي!**». لأَنَّهُ أَمَرَ الرُّوحَ النَّجِسَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الإِنْسَانِ. لأَنَّهُ مُنْذُ زَمَانٍ كَثِيرٍ كَانَ يَخْطَفُهُ، وَقَدْ رُبِطَ بِسَلاَسِلَ وَقُيُودٍ مَحْرُوسًا، وَكَانَ يَقْطَعُ الرُّبُطَ وَيُسَاقُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَى الْبَرَارِي. فَسَأَلَهُ يَسُوعُ قَائِلًا: «مَا

اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «لَجِئُونُ». لأَنَّ شَيَاطِينَ كَثِيرَةً دَخَلَتْ فِيهِ. **وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ لاَ يَأْمُرَهُمْ بِالذَّهَابِ إِلَى الْهَاوِيَةِ.** وَكَانَ هُنَاكَ قَطِيعُ خَنَازِيرَ كَثِيرَةٍ تَرْعَى فِي الْجَبَلِ، فَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ بِالدُّخُولِ فِيهَا، فَأَذِنَ لَهُمْ. فَخَرَجَتِ الشَّيَاطِينُ مِنَ الإِنْسَانِ وَدَخَلَتْ فِي الْخَنَازِيرِ، **فَانْدَفَعَ الْقَطِيعُ مِنْ عَلَى الْجُرُفِ إِلَى الْبُحَيْرَةِ وَاخْتَنَقَ**" (لوقا 8: 28 – 33).

نرى في هذه القصة الصلة بين مفهومي العذاب والهاوية. فالملائكة الساقطون يسعون لإلقاء اللوم على ابن الله بسبب العذاب الذي سيواجهونه، لكنهم يُسقِطون خوفهم من الدينونة الصادرة بحقهم على المسيح لأنهم أدانوا كل المحيطين بهم. إن الخنازير المختنقة (الغارقة) ترمز إلى الملائكة الذين رفضوا اللؤلؤة الكثيرة الثمن. لقد داس هؤلاء الملائكة على ابن الله بأرجلهم واحتقروا صلاحه وإحسانه لهم.

"لاَ تُعْطُوا الْقُدْسَ لِلْكِلاَبِ، **وَلاَ تَطْرَحُوا دُرَرَكُمْ قُدَّامَ الْخَنَازِيرِ**، لِئَلاَّ تَدُوسَهَا بِأَرْجُلِهَا وَتَلْتَفِتَ فَتُمَزِّقَكُمْ" (متى 7: 6).

إن طرح الخنازير في البحر يعكس عذاب النفس الذي سيختبره الملائكة الأشرار عندما تطغي عليهم سلاسل القسوة والظلم التي صنعوها بأنفسهم. هؤلاء الملائكة لديهم شعار:

لن نغفر ولن ننسى

تعود هذه الكلمات لتطارد الملائكة الساقطين. فكل ما فعلوه لا يمكنهم نسيانه، ولأنهم لا يرحمون ولا يغفرون، فليس لديهم القدرة على الإيمان بأنهم سينالون الغفران. لذلك، يظلون محبوسين لمدة ألف سنة حتى يواجهوا مجد الله الكامل، وفي ذلك الوقت سيكتنفهم تبكيت الضمير بسبب خطاياهم فيختنقون (يغرقون) كالخنازير في البحر.

"يُنَزِّلُونَكَ إِلَى الْحُفْرَةِ، **فَتَمُوتُ مَوْتَ الْقَتْلَى فِي قَلْبِ الْبِحَارِ**" (حزقيال 28: 8).

عندما ينتهي هذا العالم سيكون خَرِبًا ومقفرًا تمامًا. يصف الكتاب المقدس وقتًا لا يوجد فيه إنسان على وجه الأرض ويكون كل شيء خَرِبًا ومحطَمًا.

"نَظَرْتُ وَإِذَا لاَ إِنْسَانَ، وَكُلُّ طُيُورِ السَّمَاءِ هَرَبَتْ. نَظَرْتُ وَإِذَا الْبُسْتَانُ بَرِّيَّةٌ، وَكُلُّ مُدُنِهَا نُقِضَتْ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ، مِنْ وَجْهِ حُمُوِّ غَضَبِهِ. لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: خَرَابًا تَكُونُ كُلُّ الأَرْضِ، وَلكِنَّنِي لاَ أُفْنِيهَا" (إرميا 4: 25 – 27).

يُترَك الشيطان على الأرض ولا يوجد إنسان ليجرّبه، والملائكة الساقطون لا يوجد لديهم شيئًا يفعلونه. إنهم يندفعون إلى بحر اليأس ويختنقون بالمرارة والدينونة والعذاب. ونظرًا لأن البشر أجمعين إما أن يكونوا في القبر أو في السماء، فهم (أي الملائكة الساقطون) الوحيدون المتبقون ويتحملون آثار الخطية على الأرض. وتاريخ الإنسان الملطخ بالعنف والفساد

والفسق والفجور يقع الآن على الشيطان وملائكته.

"فَالآنَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا لِتَقْبَلَ دَمَ أَخِيكَ مِنْ يَدِكَ" (تكوين 4: 11).

واللعنة الآن تحل على الشيطان من الأرض التي فتحت فاها لتقبل الدم الذي ألهم الشيطان وملائكته البشر بسفكه.

في الطقس الخاص بيوم الكفارة، كان رئيس الكهنة يضع يديه الإثنتين على التيس الحي ويعترف أو يقر بالخطايا والذنوب على التيس كما يقول الأصل العبري.

"وَيَضَعُ هَارُونُ يَدَيْهِ عَلَى رَأْسِ التَّيْسِ الْحَيِّ وَيُقِرُّ عَلَيْهِ بِكُلِّ ذُنُوبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكُلِّ سَيِّئَاتِهِمْ مَعَ كُلِّ خَطَايَاهُمْ، وَيَجْعَلُهَا عَلَى رَأْسِ التَّيْسِ، وَيُرْسِلُهُ بِيَدِ مَنْ يُلاَقِيهِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ" (لاويين 16: 21).

ماذا يعني هذا؟ هل يفعل المسيح ما فعله به آدم في البدء؟ هل يلوم الشيطان على كل شيء؟

لقد أخبرنا يسوع أنه لا يحكم أو يدين. إلا إننا نتذكر ما يحدث في كرسي دينونة المسيح.

"مَعْرُوفٌ هُوَ الرَّبُّ. قَضَاءً أَمْضَى. الشِّرِّيرُ يَعْلَقُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ" (مزمور 9: 16).

"فَإِنَّهُ قَرِيبٌ يَوْمُ الرَّبِّ عَلَى كُلِّ الأُمَمِ. كَمَا فَعَلْتَ يُفْعَلُ بِكَ. عَمَلُكَ يَرْتَدُّ عَلَى رَأْسِكَ" (عوبديا 1: 15).

"لاَ تَضِلُّوا! اَللهُ لاَ يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا" (غلاطية 6: 7).

سيواجه الشيطان العقوبة التي اخترعها. مثل هامان الذي أعدَّ خشبة لصلب مردخاي (أستير7: 10)، سيواجه الشيطان نفسه العقوبة التي طلبها هو نفسه للآخرين.

وكالرجال الذين أحضروا المرأة التي أُمسكِت وهي تزني ليدينوها لكن يسوع كتب على الأرض وجعلهم يتذكرون أفعالهم، فقد رأى المسيح أيضًا حياة الشيطان بأكملها. وكل شيء فعله الشيطان مكتوب في المسيح، وكل خطية ارتكبها البشر محفورة في يسوع. "وهارون ... يقرّ عليه (أي التيس) بجميع ذنوب بني إسرائيل ...". الكلمة المستخدمة هنا هي "يقر" أو "يعترف"، ولا تعني النطق بالهلاك. جزء من معنى كلمة "يقر" هو كما يلي:

(بأيدي ممدودة)؛ التحسر الشديد (بفرك اليدين).

ومثل قصة قايين، لم ينطق المسيح بكلمات الهلاك على قايين عندما أخبره أو أقرَّ بالأفعال التي قام بها وماذا ستكون نتائج هذه الأفعال. لكنه تكلّم بها بدموع وحزن على ما سيصيبه.

"فَالآنَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا لِتَقْبَلَ دَمَ أَخِيكَ مِنْ يَدِكَ. مَتَى عَمِلْتَ الأَرْضَ لاَ تَعُودُ تُعْطِيكَ قُوَّتَهَا. تَائِهًا وَهَارِبًا تَكُونُ فِي الأَرْضِ" (تكوين 4: 11 و12).

مثل قايين، سيكون الشيطان تائهًا وهاربًا في الأرض لمدة ألف سنة، باستثناء أنه سيكون في بيئة ملوثة بالخطية لمدة 6000 سنة. يقر المسيح بهذا على الشيطان، كما أقرَّ لقايين بما سيحدث له بسبب شره.

من منظور إنساني، نقرأ هذا على أنه تحويل اللوم إلى مصدر المشكلة الأصلي، وبالتالي إزالة الذنب عن بقية الأمة. لكن عدالة الله لا تتطلب هذا النوع من تحويل الدين، بل إن عدالة الشيطان القائمة على أساس أن الخطية لا يمكنها أن تُنزَع وتُشفى وتُغتفَر، هي التي تتطلب هذا الإجراء. فبالنسبة لله، فهذه المسألة هي مسألة استئذان بالانصراف. إنها لحظة الحقيقة التي لا بد للشيطان أن يواجه فيها الأعمال التي قام بها. ولا يفعل المسيح هذا بروح الدينونة أو تحويل اللوم. فأفكاره ليست أفكارنا. فقد غفر المسيح والآب كافة خطايا المُخلَّصين مجانًا. ولا يحتاجون إلى ذبيحة كي ما تُغفَر خطاياهم.

من خلال الرمز المتعلق بكيفية فهم البشر للتكفير وإزالة الذنب، يقتنع البشر بأن الله يخبرنا أن معضلة الخطية ستحل.

يعتقد الكثيرون أن تيس عزازيل (كبش الفداء) هو المسيح إذ يتم الاعتراف بكل ذنوب وخطايا الشعب عليه. لنتذكر أن تيسا المعز يتم اختيارهما بالقرعة، وأي منهما يمكنه القيام بهذا الدور. وكلمة "معز" أو "تيس" بالعبرية تتضمن أيضًا معنى الشيطان، وكذلك أيضًا كلمة "عزازيل" الاسم المُعطى للتيس أو كبش الفداء[25]. إن الطقس بأكمله يعالج نظام عدالة الشيطان ويؤكد لنا أن الخطية ستُزال وتُعزَل من الكون في النهاية.

لم يطلب الله أن توضع كل خطايانا وآثامنا على المسيح لإنهاء مشكلة الخطية. لكننا نحن كبشر طالبنا بذلك لأن آدم في البدء طالب بذلك. إنها الطريقة الوحيدة التي نفهم من خلالها إمكانية إزالة الذنوب وعزلها.

"ثُمَّ مَتَى تَمَّتِ الأَلْفُ السَّنَةِ يُحَلُّ الشَّيْطَانُ مِنْ سِجْنِهِ، وَيَخْرُجُ لِيُضِلَّ الأُمَمَ الَّذِينَ فِي أَرْبَعِ زَوَايَا الأَرْضِ: جُوجَ وَمَاجُوجَ، لِيَجْمَعَهُمْ لِلْحَرْبِ، الَّذِينَ عَدَدُهُمْ مِثْلُ رَمْلِ الْبَحْرِ. فَصَعِدُوا عَلَى عَرْضِ الأَرْضِ، وَأَحَاطُوا بِمُعَسْكَرِ الْقِدِّيسِينَ وَبِالْمَدِينَةِ

[25] 1906 Jewish Encyclopedia entry: http://jewishencyclopedia.com/articles/2203-azazel

الْمَحْبُوبَةِ، فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُمْ" (رؤيا 20: 7 و9).

لم يطلب الله أن توضع كل خطايانا وآثامنا على المسيح لإنهاء مشكلة الخطية. لكننا نحن كبشر طالبنا بذلك لأن آدم في البدء طالب بذلك.

وفي نهاية الألف سنة، يُبعَث الأشرار إلى الحياة من جديد، ويستأنف الشيطان على الفور عمل الخداع والضلال الذي يقوم به ضد الأشرار من بني البشر. وهكذا يتحرر من قيود الظلمة التي كان مقيدًا بها لأن لديه الآن ما يلهيه ويَشغِل انتباهه. لكنه لم يتغيّر. لم يغفر ولم يرحم، وبالتالي يعتقد أنه لا يمكن أن يُغفَر له. وبعد ذلك يقنع الشيطان الأشرار بمحاولة الاستيلاء على المدينة. ونقرأ في الكتاب أنهم عقدوا العزم على قتل سكان المدينة النازلة من السماء إلى الأرض.

يحاول الأشرار الاستيلاء على مدينة الله، لكن مجد صفات الله المُعلَن في ابنه يغمرهم فيسحقهم الشعور بالذنب. وشعورهم بالرعب وهم يقتربون من وجه ابن الله في ألوهيته الكاملة، يجعل دينونتهم السافكة الدماء ترتد عليهم. وكلما كان كرههم للمسيح والمؤمنين أكثر، ازداد شعورهم بالذنب وهم يرون أمجاد الله وابنه. وأخيرًا وبسبب يأسهم وانعدام الرجاء فيهم ينقلبون على بعضهم البعض ويقتلون أنفسهم، حتى عندما يسحقهم حكم الموت الذي أصدروه على أبناء الله الأمناء، فيغرقون مثل الخنازير في البحر.

"وَأَسْتَدْعِي السَّيْفَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ جِبَالِي، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَيَكُونُ سَيْفُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَى أَخِيهِ" (حزقيال 38: 21).

"وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ اضْطِرَابًا عَظِيمًا مِنَ الرَّبِّ يَحْدُثُ فِيهِمْ، فَيُمْسِكُ الرَّجُلُ بِيَدِ قَرِيبِهِ وَتَعْلُو يَدُهُ عَلَى يَدِ قَرِيبِهِ" (زكريا 14: 13).

"لأَنَّ كُلَّ سِلاَحِ الْمُتَسَلِّحِ فِي الْوَغَى وَكُلَّ رِدَاءٍ مُدَحْرَجٍ فِي الدِّمَاءِ، يَكُونُ لِلْحَرِيقِ، مَأْكَلًا لِلنَّارِ" (إشعياء 9: 5).

"لِذلِكَ هأَنَذَا أَجْلِبُ عَلَيْكَ غُرَبَاءَ، عُتَاةَ الأُمَمِ، **فَيُجَرِّدُونَ سُيُوفَهُمْ عَلَى بَهْجَةِ حِكْمَتِكَ وَيُدَنِّسُونَ جَمَالَكَ. يُنَزِّلُونَكَ إِلَى الْحُفْرَةِ، فَتَمُوتُ** مَوْتَ الْقَتْلَى فِي قَلْبِ الْبِحَارِ" (حزقيال 28: 7 و8).

مثل فرعون وجيوشه الذين غرقوا في البحر أثناء محاولتهم قتل شعب الله، وكالخنازير التي اختنقت في البحر، هكذا ينتهي الشيطان والأشرار.

عندما ننظر إلى تيسي المعز، دعونا نرى فيهما نظامنا البشري الخاص بإلقاء اللوم على الآخرين بسبب خطايانا. فليتنا نتوب ونتواضع أمام الله ونفهم النقطة الرئيسية من تيسي المعز،

ألا وهي أن البشر ينبغي أن يلقوا اللوم على شخص آخر ويضعوا ذنبهم على آخر. وبهذا الرمز (أي التيسين)، يعكس لنا الرب قلبنا الشرير في مرآة، ويعود بنا إلى آدم في الجنة وخطية إلقاء اللوم على آخر والبحث عن كبش فداء ليدفع ثمن خطايانا.

ليت نفوسنا تتواضع أمام الله ونتوقف عن لوم الآخرين على مشاكلنا. فكم عدد الأزواج والزوجات الذين يلومون شركاء حياتهم ويضعون ذنبهم عليهم للتكفير عن خطاياهم؟ وكم عدد الذين يخاطرون لتحديد مَنْ الذي ينبغي أن يتحمل اللوم بسبب شعورهم بالذنب؟ يدعونا يوم الكفارة إلى الكف عن تحميل الآخرين مسؤولية ألمنا ومعاناتنا. فليتنا نتوقف عن الحكم على الآخرين ونضع أنفسنا في أحضان أبينا المُحِب الذي سيجعل كل الأشياء تعمل معًا من أجل خيرنا.

> "يَعُودُ يَرْحَمُنَا، يَدُوسُ آثَامَنَا، وَتُطْرَحُ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ جَمِيعُ خَطَايَاهُمْ. تَصْنَعُ الأَمَانَةَ لِيَعْقُوبَ وَالرَّأْفَةَ لإِبْرَاهِيمَ، اللَّتَيْنِ حَلَفْتَ لآبَائِنَا مُنْذُ أَيَّامِ الْقِدَمِ" (ميخا 7: 19 و20).

24. بدون شفيع

كما ناقشنا في عدد من الأماكن، يتضمن فهمنا البشري للعدالة فترة من المراقبة يحصل فيها الأشخاص المشتبه بهم على الوقت لتغيير سلوكهم. فيُمنَحون فترة من الرحمة لوضع الأمور في نصابها. في نظام القضاء الأرضي هناك محامون يتوسطون للشخص المتهم لتأجيل تنفيذ الحكم الصادر بحقه عندما يتعذر نقضه أو الطعن فيه.

إذا صدر الحكم بإدانة الشخص بعد نفاذ فترة الرحمة، فإن العدالة التنفيذية تأخذ مجراها وتتوقف عملية التوسط أو الشفاعة. وتنفيذ العدالة في المفهوم الأرضي يتطلب توقف كل الأعمال التشفعية والتوسطية ومعاقبة المذنب وفقًا للقانون. وبمجرد أن يتم استنفاد جميع سبل الاستئناف، لا يمكن للوسيط أو المحامي التشفع من أجل الشخص المذنب فيما بعد.

أما المسيح فهو حي في كل حين ليشفع فينا.

> "وَأَمَّا هذَا فَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَبْقَى إِلَى الأَبَدِ، لَهُ كَهَنُوتٌ لاَ يَزُولُ. فَمِنْ ثَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى التَّمَامِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللهِ، **إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ**" (عبرانيين 7: 24 و25).

عندما يدرك الإنسان أنه مذنب بسبب تعديه على شريعة الله، فإنه يلجأ إلى المسيح بصفته شفيعه، واثقًا في أن المسيح سيتشفع له أمام الله ليرحمه.

> "يَا أَوْلاَدِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هذَا لِكَيْ لاَ تُخْطِئُوا. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ" (يوحنا الأولى 2: 1).

نظرًا لمفهومنا البشري عن العدل والعدالة، يُنظر إلى المسيح على أنه يتشفع من أجلنا حتى يرحمنا الله. لكن الله سيعطي في كل حين الرحمة لمن يطلبها منه لأن الله محبة.

الحقيقة هي أن المسيح يتشفع فينا حسب فهمنا البشري عن العدل والعدالة. فهو يقابلنا في المكان الذي نوجد فيه، ويُمسِك بيدنا طوعًا واختيارًا ويقرّبنا إلى الآب.

نظرًا لأن المسيح قد عاش كإنسان وكان على استعداد للموت من أجلنا، يمكننا الوثوق في أن الله سيقبل شفاعة ابنه نيابة عنا.

> "لأَنْ لَيْسَ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ. فَلْنَتَقَدَّمْ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ" (عبرانيين 4: 15 و16).

في بداية مسيرتنا المسيحية نشعر بأن المسيح يقنع الآب بوقف دعواه المتمثلة في قتلنا بسبب

خطايانا. إلا أن الحقيقة هي أن المسيح يسير معنا في فهمنا الخاطئ عن أبيه، وفي نفس الوقت يقربنا إليه حتى ندرك أن الإدانة تأتي منا وليس من الله.

إن تشفع المسيح لأجلنا هو في حقيقة الأمر لنا لكي نؤمن أن أباه على استعداد للعفو والمغفرة، وأنه كثير الرحمة والإحسان، وحتى نتعرف على الله كما يعرفه المسيح. الشيء الوحيد الذي يحتاج المسيح لإقناع أبيه بشأنه هو استعداده لمواصلة حمل أثقال خطايا العالم كله (إشعياء 63: 9).

> "كَمَا أَنَّ الآبَ يَعْرِفُنِي وَأَنَا أَعْرِفُ الآبَ. وَأَنَا أَضَعُ نَفْسِي عَنِ الْخِرَافِ" (يوحنا 10: 15).

أولئك الذين يرفضون قبول الحق المتعلق بصفات الله، وأنه إله لا يدين، سوف يتحملون الدينونة التي يعتقدون أن الله ينبغي أن يمارسها. وعندما يصبحون على دراية بخطاياهم وذنوبهم، يشعرون أنهم ينبغي أن يُقطعوا ويموتوا، بدون شفيع، بسبب خطاياهم.

سيسمح الله لكل مَنْ يؤمن بالله باختبار هذه العملية. هذا هو وقت ضيقة يعقوب التي ناقشناها سابقًا. نظرًا لأننا جميعًا قد خُتِمنا بمبادئ عدالة آدم، فسنختبر جميعًا في نهاية الزمان الشعور بأننا سنُقَطع ونُرفَض بسبب خطايانا.

> "فَرَأَى أَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانٌ، وَتَحَيَّرَ مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ شَفِيعٌ. فَخَلَّصَتْ ذِرَاعُهُ لِنَفْسِهِ، وَبِرُّهُ هُوَ عَضَدَهُ" (إشعياء 59: 16).

تنطبق هذه الآية بصورة رئيسية على مجيء المسيح في المرة الأولى. لقد كان الله يبحث عن أناس قبل أن يأتي المسيح ليعكس نور الحق ويعلن صفاته، لكنه لم يجد أحدًا. فأرسل الله ابنه إلى العالم ليعلن بره. تؤكد لنا أسفار الوحي المقدسة أن هذه الأشياء كلها قد كُتِبت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور (كورنثوس الأولى 10: 11). يتحدث الكتاب المقدس عن وقت سيوقف فيه المسيح عمل شفاعته في السماء.

> "وَامْتَلأَ الْهَيْكَلُ دُخَانًا مِنْ مَجْدِ اللهِ وَمِنْ قُدْرَتِهِ، **وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ الْهَيْكَلَ حَتَّى كَمِلَتْ سَبْعُ ضَرَبَاتِ السَّبْعَةِ الْمَلاَئِكَةِ**" (رؤيا 15: 8).

> "وَفِي ذلِكَ الْوَقْتِ يَقُومُ مِيخَائِيلُ الرَّئِيسُ الْعَظِيمُ الْقَائِمُ لِبَنِي شَعْبِكَ، وَيَكُونُ زَمَانُ ضِيق لَمْ يَكُنْ مُنْذُ كَانَتْ أُمَّةٌ إِلَى ذلِكَ الْوَقْتِ. وَفِي ذلِكَ الْوَقْتِ يُنَجَّى شَعْبُكَ، كُلُّ مَنْ يُوجَدُ مَكْتُوبًا فِي السِّفْرِ" (دانيال 12: 1).

عندما ينحدر العالم نحو الفوضى المطلقة في الأيام الأخيرة ويواجه قديسو الله الموت، تظهر كل آثامهم أمامهم ويُجرَّبون بالشعور باليأس وفقدان الرجاء.

وأولئك الذين يدركون أن الله لا يرفض أحدًا على الإطلاق، وأنه إله كلي الرحمة والإحسان، فسوف يجدون أن نصرتهم بذراعهم، وبرٌّهم هو يعضدهم ويؤيدهم (إشعياء 59: 16). وهذا يعني أنهم لأنهم متمسكون بوعود الله ويؤمنون بأن يسوع هو الإعلان الكامل للآب، وثقتهم بأن الله لن يتركهم أو يتخلى عنهم، فهذا الإيمان يعضدهم ويؤيدهم. وهذا هو معنى مجد الله الذي يملأ الهيكل. فأبناء الله يرون أن صفات الله الحقيقية هي رحمة ورأفة وإحسان على الرغم من وجود خطية في حياتهم، والمسيح لا يعد بحاجة فيما بعد لشغل قدس الأقداس كشفيع للخطية، فالقديسون يتغلبون على شعورهم بإدانة الذات ويتوقفون عن الاعتقاد بأن الله يدينهم. كما قال يسوع للمرأة: "ولا أنا أدينك".

إن إيمان القديسين الذي يؤيدهم ويعضدهم دائمًا ما يكون إيمان يسوع ذاته الذي يمدّهم به المسيح. لا يعتمد هؤلاء القديسون على مزاياهم أو استحقاقاتهم الخاصة، ولكنهم تعلموا الوثوق في المسيح وحده. وهم يخرجون من وقت ضيقة يعقوب مختومين بحقيقة أن الله لن يدينهم أبدًا، ويختاروا قبول دينونته المُحِبة عليهم بدلاً من دينونتهم السابقة التي يدينون بها أنفسهم.

هذا يعني أن القديسين الأبرار يمكنهم العيش بدون شفيع للخطية. فالخطية هي التعدي على الناموس، والناموس هو نسخة من صفات الله. أولئك الذين يتوقفون عن الإيمان بأن الله يدين ويقتل، يُختَمون في هذا الإيمان وذلك من خلال اختبارهم لضيقة يعقوب. وفي الأيام الأخيرة من تاريخ البشرية ستتعاظم الخطية البشرية المتمثلة في الإيمان بأن الله يرفض الناس حتى يُختَم أبناء الله في الحق. وعندما يُختَبَر أبناء الله بفكرة أنهم سيُرفَضون (سيُقطَعون) بسبب خطاياهم، فإن إيمان المسيح الساكن فيهم يعضددهم ويضغط بشدة على محبة الله فيرفضون الإذعان للشك، لأنهم غالبون ومنتصرون، وهم شعب الله.

ولهذا، يمكنهم العيش بدون وسيط يطلب منهم تغطية رؤوسهم ولا يخشون أن الله سيعاقبهم أو يؤذيهم. إذ أن المسيح لم يعد بحاجة لمساعدة أبناء الله بهذه الطريقة. فهم يَقبِلون إلى النور الكامل لحق الإنجيل، والمسيح حي في كل حين ليشفع فيهم للبر، وليعطهم كل ما يطلبون منه. لكنهم لا يخشون البتة من الإدانة، ولا يشعرون بالحاجة إلى أن يُسفك الدم من أجل خلاصهم. بل يتحررون من نظام العدالة القائم على التقدمات والذبائح.

أما أولئك الذين لا يَقبِلون إلى نور الحق فيما يتعلق بصفات الله سيواجهون الدينونة التي يعتقدون أن الله سيمارسها. إنهم يشعرون بالانفصال عن الله بسبب خطاياهم، ويشعرون أن المسيح قد تخلى عنهم وتركهم لغضب الله فيشعرون بالرفض والانفصال.

"إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لاَ تَتَذَلَّلُ فِي هذَا الْيَوْمِ عَيْنِهِ تُقْطَعُ مِنْ شَعْبِهَا" (لاويين 23: 29).

أما أولئك الذين يتواضعون خلال الفترة الأخيرة من تاريخ الأرض ويعترفون بخطيتهم المتمثلة في الاعتقاد بأن الله هو المُهلِك والمُدين للأشرار، لن يُقطَعون أو يرفَضون في

الأحداث الأخيرة من تاريخ الأرض لأنهم يعرفون إلههم وقد انتظروه فيفرحون ويبتهجون بخلاصه.

"وَالْمُتَعَدُّونَ عَلَى الْعَهْدِ يُغْوِيهِمْ بِالتَّمَلُّقَاتِ. **أَمَّا الشَّعْبُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ إِلهَهُمْ فَيَقْوَوْنَ** وَيَعْمَلُونَ" (دانيال 11: 32).

إن الذين لا يفحصون الكتاب المقدس أو يدرسونه للتعرف على صفات الله الحقيقية، سينسحقون ويختنقون بسبب خطاياهم. ونظرًا لأنهم يتمسكون بنظام عدالة آدم (أي نظام العدالة البشري)، فإنهم سيُقطعون من شعب الله.

السبب الوحيد لاضطرار شعب الله لاجتياز الامتحان النهائي المتمثل في عدم وجود شفيع لهم هو بسبب اعتقاد البشر أنه عندما تنفد الرحمة، فلا توجد شفاعة. المسيح حي في كل حين ليمنح البركة والنعمة والمحبة لمَنْ يقبلونها ويؤمنون بها. لن يتوقف أبدًا عن تقديم هذا لمن يؤمنون. ولن يكون من الممكن الإيمان بذلك إلا خلال وقت ضيقة يعقوب إذا تخلينا عن فهمنا الخاطئ لصفات الله وأقبلنا إلى نظام عدالته الحقيقي. فعدله يتمثل في تقديم الرحمة وإغداق النعمة مجانًا على كل من يطلبها.

لا يوجد لدينا ما نخشاه أثناء الوقت الذي نعيش فيه بدون شفيع. فالأبرار يفقدون خوفهم تمامًا مما كانوا يظنون ويعتقدون أنه عدل الله، ويتمسكون بحقيقة أنهم لا يحتاجون إلى الشفاعة كي يرفع الله غضبه عنهم ويكف عن قتلهم بسبب خطاياهم. أما الأشرار، فإن أفكارهم الخاطئة ستطغي عليهم وتسحقهم ويتوقفون عن طلب النعمة من المسيح، لأنهم لم يعودوا يؤمنون بأنها متاحة أو يمكنهم الحصول عليها. في هذه الحالة يكون البكاء وصرير الأسنان. فأقبل إلى نور الحق المتعلق بهذا القضية وافرح بالأخبار السارة بأنه لن يكون هناك شفيع للخطية عند إغلاق باب الشفاعة.

25. خرونوس وغلق باب الشفاعة

سوف نتطرق الآن إلى عنصر مهم آخر يتعلق بمبادئ العدالة والدينونة التي قبلها الجنس البشري، وهذا العنصر يتعلق بسيكولوجية الزمن (أي علم النفس المتعلق بالزمن).

يوجد في أسطورة سانتا كلوز عنصر متعلق بالزمن. فمن الأفضل أن تحذر لأن سانتا كلوز قادم إلى المدينة يوم 25 ديسمبر في نهاية العام.

لقد نشأنا كأطفال مطلوب منهم إجراء الاختبارات في حدود زمنية أو مواعيد محددة. وكلمة الموعد المحدد أو الموعد النهائي باللغة الإنجليزية deadline تحتوي على كلمة dead أي ميت. فما هي الصلة بين كلمة "موت" ومفهوم الموعد المحدد أو النهائي؟

وما هو الاختلاف النفسي بين توفير كل الأدوات والموارد لشخص ما والطلب منه أن يستخدمها لعمل شيء ما، وفعل الشيء ذاته ولكن هذه المرة بتحديد جدول زمني معين؟ المواعيد النهائية هي استعمال للقوة لتحقيق نتيجة معينة لمن يتحكم في الوقت.

وعندما يصاحب الموعد المحدد (النهائي) تهديدًا بالعقاب أو الموت، فإن الضغط الناجم عن ذلك هو في الواقع إساءة نفسية.

أجريت دراسة لاستكشاف العلاقة بين الضغط الذي تسببه الجداول الزمنية المحددة والقدرة على الابتكار والإبداع، فوجد أن:

> "الجداول الزمنية ذات المستويات متوسطة الشدة أو عالية الشدة التي ينبغي الالتزام بها في المنظمات المعاصرة، لها تأثير سلبي مباشر على التفكير الإبداعي والعمليات العقلية المعرفية". [26]

لا يرى الكثير من الناس أن تهديد الأشخاص بالعقاب إذا لم يتصرفوا في إطار زمني معين له في الواقع تأثير معاكس للنتيجة المقصودة.

كم عدد الآباء الذين أصدروا الأمر التالي لأبنائهم: "سأعد إلى ثلاثة، وإذا لم تفعل ما أطلب

---

[26] https://www.hbs.edu/faculty/Publication%20Files/02-073_03f1ecea-789d-4ce1-b594-e74aa4057e22.pdf

منك القيام به، فستتلقى صفعة أو سيتم إرسالك إلى غرفتك!"؟

إن إصدار المواعيد الزمنية المحددة يعني المراقبة والحكم والمعاقبة لعدم الطاعة والانصياع للأوامر المحددة. إن استخدام الوقت كمحفز للسلوك ينطلق من إطار تشاؤمي يتوقع من الشخص المستمع (أي الطفل في المثال السابق) ألا يقوم بالمهمة ما لم يكن هناك موعد زمني محدد، وبالتالي فإن ضغط الوقت في الواقع يدعو المستمع إلى التمرد وعدم الطاعة.

إن إصدار المواعيد الزمنية المحددة يعني المراقبة والحكم والمعاقبة لعدم الطاعة والانصياع للأوامر المحددة.

لماذا يُستخدَم الوقت كوسيلة لإنفاذ الأوامر والقوانين؟ الجواب البسيط هو أننا جميعًا نموت، وبالتالي لدينا وقتًا محدودًا. فالوقت من الموارد النادرة التي يحصل عليها بنو البشر وبالتالي يمكن استخدامه كمحفز لتغيير السلوك البشري.

لكن الأمر مختلف تمامًا مع الله، إذ نقرأ:

> "لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ الْعَلِيُّ الْمُرْتَفِعُ، سَاكِنُ الأَبَدِ، الْقُدُّوسُ اسْمُهُ: فِي الْمَوْضِعِ الْمُرْتَفِعِ الْمُقَدَّسِ أَسْكُنُ، وَمَعَ الْمُنْسَحِقِ وَالْمُتَوَاضِعِ الرُّوحِ، لأُحْيِيَ رُوحَ الْمُتَوَاضِعِينَ، وَلأُحْيِيَ قَلْبَ الْمُنْسَحِقِينَ" (إشعياء 57: 15).

يقول الكتاب أن أبانا الذي في السماء يسكن الأبد. نظرًا لوجوده الأبدي، فإن الوقت لا يعد سلعة يعتز بها مثلما نعتز بها نحن. فكِّر في ذلك في إطار العرض والطلب. فالله لديه كمية (عرض) غير محدودة من الوقت، ولذلك فتأثير الوقت على الله يختلف عن تأثيره علينا. وعندما يُشار إلى الوقت، فالأمر مختلف تمامًا.

> "وَلكِنْ لاَ يَخْفَ عَلَيْكُمْ هذَا الشَّيْءُ الْوَاحِدُ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ: أَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ" (بطرس الثانية 3: 8).

إن الله مشغول كل يوم في الاهتمام بكل خليقته. في يوم واحد، يقوم أبونا بعمل ألف سنة في حسابنا وأكثر. وعلى العكس من ذلك، فإن تركيزه على أبنائه ورعايته غير المحدودة لنا جميعًا يجعلان الألف سنة تمر وكأنها يوم. ونشعر بهذا الشيء عندما نكون مع من نحبهم وننخرط معهم في محادثات عميقة، فننسى الوقت. وبعد عدة ساعات ننظر إلى الساعة ونُصدَم من مرور الوقت بهذه السرعة. في تلك اللحظات يمكننا أن نتذوق الشعور بالأبدية، إلا أن أفكارنا حول الوقت لا تزال مختلفة. وهذا يرجع لحقيقة واحدة بسيطة، ألا وهي أننا جميعًا نموت.

إن الموت يغيّر قيمة الوقت. للوقت قيمة كبيرة جدًا بالنسبة لغالبية الناس، وبالتالي فهو أحد

أهم السلع التي نتعامل بها. ولهذا السبب توجد لدينا تعبيرات مثل "الوقت من ذهب" و"قضاء" الوقت.

وحيث أن الإغريق كانوا على دراية بهذه الأشياء، كان لديهم إله يسمى خرونوس وهو تشخيص الزمن في فلسفتهم. تعد الأساطير اليونانية معقدة ومائعة، وقد خلطت بعض الحكايات بينه وبين كرونوس لكن هذا ليس إلا تأثيل شعبي، إذ أنه لا علاقة بين الإثنين. إلا أن كرونوس كان يعبر عن ويلات الزمن عند التيتان. ولهذا نجد أن الزمن يقتل أبنائه. يصوَّر كرونوس على أنه إله يأكل أبنائه. وقد تم دمج حكاية هاتين الشخصيتين لتصبح زمن الأب.[27]

ومن المثير للاهتمام أيضًا أن نلاحظ أن خرونوس كان يُعتقد أنه على شكل ثعبان بثلاثة رؤوس. وكانت هذه الرؤوس عبارة عن رأس إنسان ورأس ثور ورأس أسد. [28]

وحسب أسطورة خرونوس، المعروف أيضًا باسم آيون، فهو من صنع الذات ولم يتلق أي ميراث من أي شخص، ويُصوَّر على أنه رجل عجوز ذو لحية، يحمل منجلاً للدلالة على حصده للبشرية وويلات الزمن.

وكانت أنانكي إحدى الآلهة الأخرى القديمة في الأساطير اليونانية، وهي تشخيص الحتمية والقدر في ميثولوجيا الإغريق. وتوصف على شكل سيدة تحمل مغزلاً، كانت موجودة عندما خُلِق الكون مع زوجها خرونوس (الزمن). كانت أنانكي وخرونوس يُصوَّران على شكل حيَّة، وكانا متشابكين ويدوران حول البيضة الكونية القديمة.[29]

إن الفكرة المتعلقة بالأب الكائن المنبثق من ذاته وله لحية طويلة ويعيش إلى الأبد تجعل من السهل على الناس الخلط بين هذه الشخصية والإله الوارد في الكتاب المقدس.

---

[27] https://en.wikipedia.org/wiki/Chronos
[28] https://www.greekmythology.com/Other_Gods/Primordial/Chronos/chronos.html
[29] https://www.greekmythology.com/Other_Gods/Primordial/Ananke/ananke.html

بالنسبة لجميع الذين يعيشون تحت سلطان الموت والخوف منه، فهم لا يجدون صعوبة في الخلط بين الإله الحقيقي والعديد من الجوانب من شخصية خرونوس. أما بالنسبة لأولئك الذين لديهم يقين الحياة الأبدية، فالزمن يفقد قوته والخوف من الموت ينهزم، ويستطيعون فضح الأصل الحقيقي لشخصية الإله خرونوس.

إن الأزلية هي وجود مختلف تمامًا عن الزمن. فالزمن المرتبط بالخوف من الموت يجعلنا نشعر بالغضب تجاه أولئك الذين "يضيعون" وقتنا أو لا يؤدون أعمالهم بكفاءة. أما الأزمنة الأزلية فهي اختبار الراحة الكاملة والطمأنينة والسلام. وهذه الفكرة مرتبطة بيوم السبت. ففي سفر التكوين، نلاحظ باهتمام أنه في الأسبوع الأول من الخليقة لا يقول الكتاب عن اليوم السابع "وكان مساء وكان صباح يومًا سابعًا". لا تستخدم هذه العبارة إلا مع أول ستة أيام من أيام الخليقة. فهناك حالة من الخلود واللازمنية المرتبطة بيوم السبت. إنه اليوم الذي نرتبط فيه بقوة بأبينا السماوي ونتذوق بعمق سلام الله في ذلك الوقت المقدس.

صرَّح الرسول بولس، بصفته ضليعًا في العلم والمعرفة، بعدد من العبارات التي شكلت تحديًا قويًا بالنسبة للقراء اليونانيين في عصره.

> "فَلاَ تَخْجَلْ بِشَهَادَةِ رَبِّنَا، وَلاَ بِي أَنَا أَسِيرَهُ، بَلِ اشْتَرِكْ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ لأَجْلِ الإِنْجِيلِ بِحَسَبِ قُوَّةِ اللهِ، الَّذِي خَلَّصَنَا وَدَعَانَا دَعْوَةً مُقَدَّسَةً، لاَ بِمُقْتَضَى أَعْمَالِنَا، بَلْ بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَالنِّعْمَةِ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ" [G166] [G5550] [قبل خرونوس، أيونيوس] (تيموثاوس الثانية 1: 8 و9).

يتحدث بولس عن وجود المسيح قبل خرونوس آيون. لقد كانت وجهة النظر هذه مختلفة تمامًا عما كان يفهمه اليونانيون. الكلمة المركزية في الأصل العبري التي تشير للأزمنة الأزلية هي "عولام" والتي تعني "الزمن الذي يتجاوز العقل أو الأنظار" و "ما وراء الأفق". وتُستخدم هذه الكلمة "عولام" عند الحديث عن المسيح على النحو التالي:

> "أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمِ أَفْرَاتَةَ، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا، فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ، مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ (عولام)" (ميخا 5: 2).

من المستحيل على العقل الإغريقي اليوناني أن يقبل أن الشخص الموجود منذ أيام الأزل له أصل أو مخارج. إلا أن هذا ليس بالأمر الصعب على العقل العبراني. فالمسيح مخارجه (أصله) في مكان قبل الأزمنة الأزلية. وهو مكان يعجز العقل البشري الطبيعي عن فهمه. وهو ما يسمح بسهولة لأصل المسيح والمفهوم العبراني للأزمنة الأزلية أن يتواجدا معًا فيه.

الزمن بالنسبة للعقل الإغريقي اليوناني هو الإله العظيم الموجود بذاته (ذو وجود مستقل).

ومن المستحيل تصور إطار خارج الزمن. والمسيحيون الذين يسعون إلى تقديم المسيح بصفته الإله الحقيقي يكرمون دون وعي خرونوس عندما يقولون ويطالبون بأن المسيح كان لزامًا عليه أن يعيش في الأزمنة الأزلية وألا يكون له أصل أو مخارج. إلا أن هذا يجعل الزمن والأبدية فكرة واحدة.

إن محاولة دمج المفهوم العبراني للأبدية مع المفهوم اليوناني للزمن (خرونوس) يقضي على إمكانية أن يكون المسيح هو ابن الله الحقيقي المولود في الأزمنة الأزلية. فوفقًا للأساطير اليونانية، يقفز خرونوس من عالم الزمن اليوناني المحدود ويذهب إلى غرفة عرش الأزلية ويقتل ابن يهوه. يقول خرونوس أن الله لا يمكن أن يكون له ابن ذا طبيعة إلهية، لأن صفة الألوهية وفقًا لخرونوس تعني الانبثاق وعدم وجود أب.

لا يستطيع المسيحيون أن يقبلوا أن المسيح كان لديه أصل في وقت ما في أزمنة الأزل، لأن هذا، حسب الفكر اليوناني، يجعله أقل مرتبة من خرونوس/آيون. فلكي يكون المسيح مساويًا للإله الأعلى، لا يمكن أن يكون له أصل على الإطلاق، وهذا يقضي على حقيقة الميراث الذي ورثه عن أبيه. وكما ذكرنا سابقًا، يرى العقل الإغريقي اليوناني الزمن والأزلية على أنهما نفس الشيء، وأن الأزلية مجرد كمية لا نهاية لها من الزمن. لكن هذا المفهوم لا يشير إلى الأزلية، بل إلى الوجود السرمدي.[30]

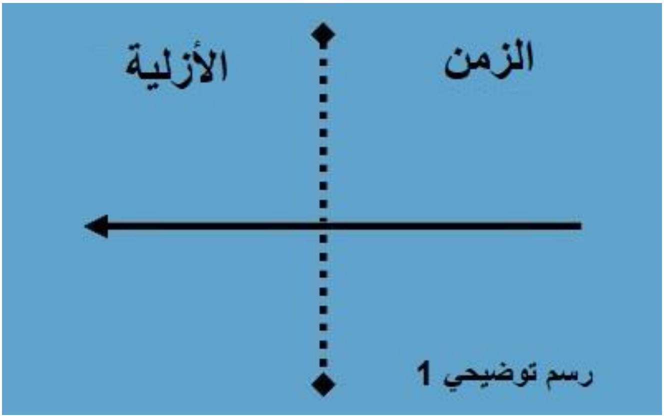

أما الفكرة العبرانية فهي مختلفة:

[30] https://en.wiktionary.org/wiki/sempiternity - states (philosophy) Existence within time but infinitely into the future, as opposed to eternity, understood as existence outside time.

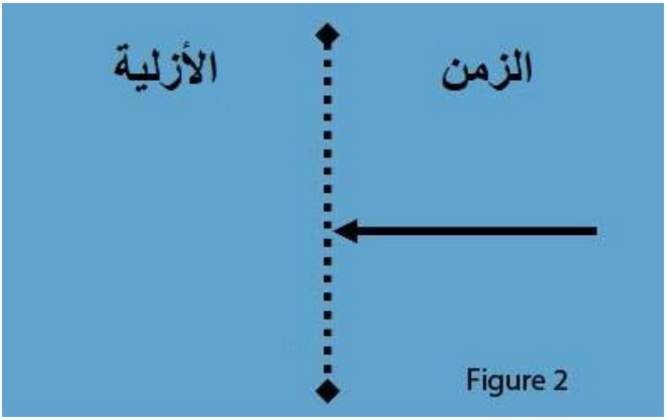

المسيح موجود قبل الزمن أو خرونوس كما أوضح الرسول بولس. فقد أتى من عالم الأزلية والخلود إلى الزمان، ومع ذلك فهو يعيش دائمًا في اختبار الخلود والأزلية لأنه لا يخشى الموت، كما أنه لا يمتلك قدرًا محدودًا من الزمن. يخبرنا الرسول بولس مرة أخرى عن هذا المبدأ عندما يقول:

"عَلَى رَجَاءِ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، الَّتِي وَعَدَ بِهَا اللهُ الْمُنَزَّهُ عَنِ الْكَذِبِ، قَبْلَ [G4253] الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ (الموعود بها قبل خرونوس آيون)" (تيطس 1 :2).

السبب في أن اختبارنا الحياتي يركز بشكل أساسي على الزمن هو الخوف من الموت. فنحن في الأصل عبيد لخرونوس لأننا لا نستطيع أن نتخيل كيف يمكن للعالم أن يعمل بدون موت. ولكن من خلال المسيح يمكننا اختبار الأبدية الآن إذا كان لدينا يقين الحياة الأبدية، وهذا يعني أننا لا نتمنى أو نرجو ذلك بشكل عبثي، بل نعلم علم اليقين أننا سننالها في المسيح يسوع.

يمكن تشبيه الفرق بين الزمن والخلود (الأزلية) بالموسيقى الجميلة التي نسمعها أثناء العزف على الجيتار. فالموسيقى لها إيقاع، لكنها ليست الشيء الذي يتم التركيز عليه. فالتركيز ينصب على الكلمات، والتوقيت الموسيقي إنما يحافظ على العناصر الموسيقية والصوت والألحان الثانوية معًا. ولكن لو تم إضافة آلات موسيقية أخرى إلى جانب موسيقى الجيتار الهادئة بحيث يسود الصوت الصادر من هذه الآلات على موسيقى الجيتار، فإن الاختبار في هذه الحالة يتغيّر تمامًا. والرسالة التي من المفترض أن تأتي من الموسيقى تُغمَر بسبب التركيز الزائد عن حده على الآلات الموسيقية الأخرى. عندما دخل الموت إلى العالم، فقد أضاف ذلك إيقاع إلى اختبارنا الحياتي يدفعنا نحو الأداء والإنجاز. ونظرًا لأن الوقت يمر في حياتنا بسبب كميته المحدودة، فذلك يدفعنا إلى الأمام لتحقيق ما يمكننا تحقيقه وإنجازه قبل الموت. ولكن عندما نعلم أننا سننال الحياة الأبدية، فإن الإيقاع يرجع إلى دوره الهادئ والمطمئن ويحافظ على الأشياء معًا بطريقة منظمة، فتعود الطمأنينة وراحة البال ويتسع المجال للتفكير والتأمل.

يلعب عنصر الوقت هذا دورًا مهمًا في فهم عملية الدينونة في الكتاب المقدس. لقد تناولنا في الفصل الخامس عشر الإطار النبوي الذي يخبرنا متى ستبدأ الدينونة. أُخبِر دانيال أن عملية تطهير المَقدِس ستستغرق 2300 سنة، وأن المبادئ المطبقة في يوم كيبور (يوم الكفارة) ستجد إتمامًا نهائيًا لها من عام 1844 فصاعدًا.

إن الله يفحص منذ ذلك الحين السجلات والأسفار في الدينونة ليرى من الذي سيعيش ومن الذي سيموت. إلا أن سياق الدينونة، كما اكتشفنا في الفصل التاسع عشر، هو أن الله يدافع عن شعبه من تهم الشيطان الموجَّهة ضدهم. ينظر غالبية الناس إلى هذا الحدث من منظور مختلف تمامًا. فيتم النظر إلى الدينونة على أنها اختبار يتوجب علينا الحذر منه.

وبذلك تتحول الدينونة إلى اختبار مفاده أنك "لديك قدر معين من الوقت لكي تتصرف بشكل صحيح وإذا لم تفعل ذلك فسوف تُقتَل". إلا أن هذه الطريقة المتعلقة بفهم الدينونة لها تأثير معاكس على الخاطئ من النتيجة المقصودة. فالخوف الذي يخلقه هذا الفهم يجعل الانتصار على الخطية أمرًا مستحيلاً لأنه لا يوجد خوف في المحبة (يوحنا الأولى 4: 18).

إن التعليم القائل بأن الدينونة تحدث في وقت معين قبل المجيء الثاني يزيد في الواقع من رغبتنا في الإنجاز المرتبطة بالزمن، كما أنه يكشف عن ابتعادنا عن الإله الحقيقي والشرك به. يرفض معظم المسيحيين فكرة الدينونة قبل المجيء الثاني، لذا فهم يتجنبون دخول الناموس مسيرتهم الروحية لكي تَكثُرَ الخطية (رومية 5: 20). وإذ يسمِّرون (خطأً) الناموس على الصليب، فإنهم ينزعون الوسيلة التي يستخدمها الله للإشارة إلى خطايانا حتى نأتي بها إلى المسيح.

إن دينونة ما قبل المجيء هامة جدًا لأنها تكشف عبادتنا القائمة على الدينونة والوقت. هذه الدينونة مرآة لرؤية نفوسنا الفاسدة. ولكن عندما تَكثُر هذه الخطية، فإن نعمة الله العظيمة تزداد جدًا!

والكتاب المقدس يخبرنا أن نتيجة الدينونة هي نهاية خرونوس.

> "وَأَقْسَمَ بِالْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ، الَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَمَا فِيهَا وَالأَرْضَ وَمَا فِيهَا وَالْبَحْرَ وَمَا فِيهِ: **أَنْ لاَ يَكُونَ زَمَانٌ (خرونوس) بَعْدُ!"** (رؤيا 10: 6).

> إن دينونة ما قبل المجيء هامة جدًا لأنها تكشف عبادتنا القائمة على الدينونة والوقت.

الدينونة التحقيقية هي لقاح روحي يرينا فيروس الحكم والإدانة والزمن الذي فينا. وفي ضوء الحق المختص بالمسيح، الذين لا يدين أحدًا، يعمل هذا اللقاح بشكل عجيب لتحريرنا من الدينونة المرتبطة بالوقت. لهذا السبب يتوقف شعب الله في عملية الدينونة عن الاهتمام بخرونوس أو القلق بشأنه. فهم يبدأون في اختبار

الأبدية الآن لأنهم لم يعودوا يخشون الموت.

عندما كنت طفلاً، كنت أخشى قراءة الفقرة التالية من الكتاب المقدس:

> "وَقَالَ لِي: لاَ تَخْتِمْ عَلَى أَقْوَالِ نُبُوَّةِ هذَا الْكِتَابِ، لأَنَّ الْوَقْتَ قَرِيبٌ. مَنْ يَظْلِمْ فَلْيَظْلِمْ بَعْدُ. وَمَنْ هُوَ نَجِسٌ فَلْيَتَنَجَّسْ بَعْدُ. وَمَنْ هُوَ بَارٌّ فَلْيَتَبَرَّرْ بَعْدُ. وَمَنْ هُوَ مُقَدَّسٌ فَلْيَتَقَدَّسْ بَعْدُ" (رؤيا 22: 10 و11).

لقد قيل لي أنه سيكون هناك وقت يصنع الله فيه خطًا في الرمال؛ وقت يقول الله فيه كفى فيهلك غير المستعدين. صحيح أنه سيأتي وقت يقول فيه الله مَنْ هو نجس فليتنجس بعد، لكن ذلك ليس لنفاد الوقت من الله وعقده العزم بعد ذلك لإدانة أولئك الذين لم يستمعوا إليه.

أظهر الله من خلال ابنه كيف يمكن إغلاق باب الشفاعة للأمة كمثال على نهاية الزمان. عندما رفض قادة اليهود المسيح ورفضوا رفضًا قاطعًا أن يفتحوا قلوبهم له، بكى بالدموع على أورشليم. وأخيرًا صرخ يسوع وقال: "هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا" (متى 23: 38). إن باب الشفاعة لا يُغلَق بواسطة الله، بل الإنسان الذي يغلقه ويضطر الله لقبول ذلك لأنه يحترم قراراتنا واختياراتنا.

يخبرنا الكتاب المقدس أن رحمة الله هي إلى الأبد (مزمور 100: 5 ؛ 107: 1 ؛ 136: 1 ؛ عزرا 3: 11 ؛ إرميا 33:11). وهو دومًا على استعداد لمنحها. إلا أن الإنسان بإمكانه إنهاء رحمة الله برفضه قبولها. سيتلقى العالم في الأحداث الأخيرة من تاريخ هذه الأرض رسالة عن صفات الله الحقيقية ومحبته غير المحدودة واللاعنف المرتبط بشخصيته وذلك في سياق الكتاب المقدس. وسيرى العالم كله هذه الصفات وهي معلنة في شعب الله، وسوف يستنير بمجدها.

> "ثُمَّ بَعْدَ هذَا رَأَيْتُ مَلاَكًا آخَرَ نَازِلًا مِنَ السَّمَاءِ، لَهُ سُلْطَانٌ عَظِيمٌ. وَاسْتَنَارَتِ الأَرْضُ مِنْ بَهَائِهِ" (رؤيا 18: 1).

وجميع الناس إما أن ينضموا إلى صفوف شعب الله أو يرفضوا الانضمام ويحاولوا قتلهم. ولذا سيتخذ العالم كله قراره وسيغلق باب الشفاعة للجنس البشري.

هناك الكثير اليوم ممن يحاولون التنبؤ بالمستقبل باستخدام الجداول الزمنية والنبوات ويحددون فترات زمنية ويزعمون أنها تشير إلى الوقت الذي سيقوم فيه الله بغلق باب الشفاعة البشري. لكنهم بذلك يقدمون الولاء والإجلال لخرونوس ويعكسون أسطورة ساننتا المزيفة أنه يتوجب عليك أن تتوخى الحذر!

إن الضغط على الناس بعنصر الوقت وتهديدهم بالموت لن ينتج عنه أناس مختومون بصفات الله. فالناس بحاجة إلى الإقبال لاختبار الأبدية وعدم السماح لخرونوس بالتحكم في حياتهم.

"بِهذَا تَكَمَّلَتِ الْمَحَبَّةُ فِينَا: أَنْ يَكُونَ لَنَا ثِقَةٌ فِي يَوْمِ الدِّينِ، لأَنَّهُ كَمَا هُوَ فِي هذَا الْعَالَمِ، هكَذَا نَحْنُ أَيْضًا. لاَ خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ، بَلِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ لأَنَّ الْخَوْفَ لَهُ عَذَابٌ. وَأَمَّا مَنْ خَافَ فَلَمْ يَتَكَمَّلْ فِي الْمَحَبَّةِ" (يوحنا الأولى 4: 17 و18).

فلنتخلى عن شركنا وعبادتنا لخرونوس، ولنخلع عرش الآلهة التي تزعم بأن الألوهية لا يمكنها أن تُنسَب إلا للكائنات التي تجتاز امتحان خرونوس آيون. فيهوه وابنه ليسا مدينين لخرونوس لإثبات ألوهيتهما لنا. ونكرر:

"عَلَى رَجَاءِ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، الَّتِي وَعَدَ بِهَا اللهُ الْمُنَزَّهُ عَنِ الْكَذِبِ، قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ (آيون)" (تيطس 1: 2).

إذا كان علينا أن نثبت ألوهية ابن الله، فلنفعل ذلك من خلال صفة المحبة الكاملة التي أظهرها كإنسان. فهذا هو ما أعطاه الله لنا للفحص والدراسة، وليس ما هو "عولام" أي "الزمن الذي يتجاوز العقل أو الأنظار" و "ما وراء الأفق".

"وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا" (يوحنا 1: 14).

هل طبيعة المسيح الأزلية هي التي كان يريد من تلاميذه دراستها عندما كان معهم لمدة ثلاث سنوات ونصف؟ كلا! بل أرادهم أن يدرسوا صفات محبته المجيدة "أغابي" وأن يُعرّفوا العالم أن الله محبة وحياة، وليس خرونوس وموت. فهو لا يُقاس بالزمن، لأنه هو الذي صنع الزمن. فدعونا نستغرق في التفكير في صفات الله والعلاقة التي تربطه بابنه، تاركين الجوانب المبهمة من الأزلية والأبدية حتى يكشفها لنا أبونا السماوي.

26. تطهير الهيكل الروحي وتكميله

النقاط الأساسية التي استعرضناها في هذا الكتاب هي على النحو التالي:

1. الله لا يدين أو يحكم على أي إنسان (يوحنا 5: 22).
2. المسيح لا يدين أحدًا (يوحنا 8: 15).
3. ناموس الله روحي ويعالج القضايا التي تمس القلب. شريعة الله في ملكوته ليست شريعة قانونية يقوم برفضها، بل انعكاسًا لصفاته وتحيا بفرح في قلوب أبنائه من خلال روحه.
4. المسيح على الأرض هو الإعلان الكامل لصفات الله. وهذا الإعلان يُضيء بقية الأسفار المقدسة فيما يتعلق بصفات الله.
5. نشأت الدينونة في العائلة البشرية من خلال آدم، الذي ألهمه الشيطان عندما أدان ابن الله وحواء على خطيته المتمثلة في الأكل من شجرة معرفة الخير والشر.
6. دينونة الله تعني فعل ما هو صحيح وسديد، والشيء الصحيح هو أن يكون الله مُحبًا ومُحسنًا ورحيمًا ورؤوفًا، وأن يسمح للعواقب المترتبة على قرارات الإنسان واختياراته إما أن تكافئه أو تعاقبه.
7. الطريقة الإلهية لخلاصنا معلنة في النظام المتعلق بالمَقدِس. فكل جزء منه كان يُظهِر للإنسان تفكيره الخاطئ. لقد أظهر الله للإنسان رغبته (أي رغبة الإنسان وليس رغبة الله) في تقديم الذبائح، وذلك بوضع النظام المتعلق بتقديم الذبائح. وبذلك بيّن للإنسان طبيعته التي تحب الإدانة من خلال عملية الدينونة.
8. إن رسالة الملاك الأول التي تؤكد أن "ساعة دينونته قد جاءت" تعني أننا الآن ينبغي أن نحكم على شخصية الله وصفاته. وإذ نفكر في صفاته ونحكم عليها، سنحكم أيضًا على أنفسنا بهذا الفهم.
9. لا يحتفظ الله بكتب أو سجلات الغرض منها إدانة الخطاة.
10. نكتشف من قصة المرأة التي أمسِكت وهي تزني أن قادة الكنيسة هم مَنْ يطالبون بعملية الدينونة. وما ينتج عن عملية الدينونة هو أن الأول يكون أخيرًا والأخير يكون أولاً، وكل إنسان يقوم بالحكم على قضيته.
11. الشيطان هو الذي يقوم بدور المدعي في الدينونة. والله يفحص السجل المرتبط بتاريخ حياتنا في الدينونة للدفاع عنا ضد إتهامات الشيطان وشكايته.
12. فكر الله المتعلق بالزمن يختلف تمامًا عن فكرنا. فالله لا يستعمل الوقت كوسيلة للتلاعب بنا وإجبار خليقته على الإلتزام بالسوك الجيد. إن الدينونة القائمة على الوقت في الكتاب المقدس تُظهِر للإنسان خطيته وتشجعنا على التوبة.

نستطيع من خلال هذه النقاط الأساسية الثمينة المتعلقة بالدينونة أن نقترب إلى الله. فالكتاب

المقدس يخبرنا:

"وَأَقْتَرِبُ إِلَيْكُمْ لِلْحُكْمِ" (ملاخي 3: 5).

وإذ يقترب المسيح إلينا بمحبة من خلال عملية الدينونة، فهو الشاهد الأمين. يبيّن لنا المسيح ما هي مشكلتنا، ليس لإدانتنا بل لشفائنا.

في سنواتي الأولى كمسيحي، كنت أرتعد من فكرة الدينونة. ورغم أنني وجدت الراحة والعزاء في يسوع، كنت أتساءل كيف يمكنني اجتياز الدينونة. فالضغط المتعلق بالوقت الذي وضِع عليَّ واعتقادي بأن الله سيُظهِر روح الإدانة في وقت ما سبب لي قلقًا شديدًا.

حاولت تهدئة مخاوفي، ومثل العديد من أعضاء الكنائس، بدأت أفكر في كل الأشرار في العالم الذين كانوا "أسوأ" مني. ووجدت أن أعضاء الكنائس يحتاجون إلى أن يكون الناس في العالم أشرارًا حتى يشعروا هم (أي أعضاء الكنائس) بتحسن تجاه أنفسهم في ضوء الله الذي يدين ويهلك المذنبين الذين لا يفعلون الشيء الصحيح في إطار زمني معين. وفي هذا الإطار، كنت أفكر أن الله لن يقتل الجميع، ولذلك فلو حكمت على نفسي بأنني أفضل من جميع الذين أعرفهم، فإنني ينبغي أن أعيش وأذهب إلى السماء. لا يمكن لأي شخص بهذا الفكر أن يرتاح على الإطلاق وسيرى الناس باستمرار على أنهم منافسون.

صلاتي هي أن تكون قد حصلت في هذا الكتاب على بعض الأدوات الأساسية لترى بنفسك أن الله لم يدينك على الإطلاق، ولا حتى مرة واحدة، وأنه لن يدينك على الإطلاق. لقد أعطاني هذا الفهم، على الصعيد الشخصي، حرية، وقد ساهم بشكل كبير في إزالة الخوف مني والسماح للحق الكامل المختص بمحبة الآب بالدخول إلى قلبي.

وفي ضوء هذه النقاط الرئيسية التي استعرضناها في هذا الكتاب، يمكننا مواصلة بناء الهيكل الروحي المدعوين للمشاركة فيه.

> "فَلَسْتُمْ إِذًا بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلًا، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللهِ، مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ، الَّذِي فِيهِ كُلُّ الْبِنَاءِ مُرَكَّبًا مَعًا، يَنْمُو هَيْكَلًا مُقَدَّسًا فِي الرَّبِّ. الَّذِي فِيهِ أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيُّونَ مَعًا، مَسْكَنًا للهِ فِي الرُّوحِ" (أفسس 2: 19 – 21).

ويمكننا حقًا القول أن المَقدِس قد تطهّر، والدم كله يمكن أن يُزال من قدس الأقداس، لأن الله لا يطلب هذه الأشياء للتكفير. لكنه كان مضطرًا أن يبيّن لنا هذه الأشياء ليكشف لنا قلوبنا الممتلئة خطية حتى نتوب عن إلقاء اللوم على الآخرين والبحث عن كبش فداء ليحمل ذنبنا.

> "مَنْ يَغْلِبُ فَسَأَجْعَلُهُ عَمُودًا فِي هَيْكَلِ إِلهِي، وَلاَ يَعُودُ يَخْرُجُ إِلَى خَارِجٍ، وَأَكْتُبُ عَلَيْهِ اسْمَ إِلهِي، وَاسْمَ مَدِينَةِ إِلهِي، أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةِ النَّازِلَةِ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ

إِلهِي، وَاسْمِي الْجَدِيدَ" (رؤيا 3: 12).

الاسم الجديد الذي سيكتبه علينا الله هو اسم يخلو من الدينونة، وهو اسم مكون من الرأفة والرحمة والإحسان. وإذ ننظر إلى أبينا العجيب من خلال ابنه بلا دينونة في أي منهما، صلاتي هي أن نتغير إلى تلك الصورة عينها "كما من الرب الروح". آمين!

يوم الدينونة! تتمسك معظم الثقافات حول العالم بالمبدأ القائل بأن الجميع سيواجهون الدينونة بسبب الأشياء التي فعلوها في هذه الحياة. يقدم الرب يسوع المسيح مبدأً بسيطًا لاجتياز عملية الدينونة هذه.

"لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا" (متى 7: 1).

ما هو شعورك عندما تعيش في عالم تتوقف فيه عن إدانة الآخرين والحكم عليهم؟ هل يمكن أن يحدث ذلك؟ فنحن نحكم باستمرار على مظاهر الناس الخارجية وطولهم ووزنهم ومهاراتهم. ونحكم على الناس على أساس لون بشرتهم وانتمائهم الديني ووضعهم الاجتماعي ودخلهم وفكرهم.

إلى أين يمكن أن نلجأ لنجد النموذج المثالي لشخص لا يحكم أو يدين كي نتمكن من اتباع مثاله؟

"أَنْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ تَدِينُونَ، أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ أَدِينُ أَحَدًا" (يوحنا 8: 15).

أحقًا ما يقوله يسوع أنه لا يدين أحدًا؟ كيف يمكن للعدالة أن تأخذ مجراها ما لم يدين أو يحكم على أحدٍ؟ تأمل أيضًا فيما يقوله يسوع عن أبيه.

"أَنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَدًا، بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ" (يوحنا 5: 22).

ألا يتحدث الكتاب المقدس عن دينونة الله التي ينال فيها كل إنسان جزاء أعماله؟ كيف يتوافق هذا مع ما قاله الرب يسوع؟ سوف تتعرّف في هذا الكتاب على أسرار التغلب على الدينونة التي نشعر بها عندما نفشل، والازدراء الذي نشعر به تجاه الآخرين عندما يخذلوننا.

أقبل إلى نور الحق حيث لا توجد دينونة على الإطلاق.